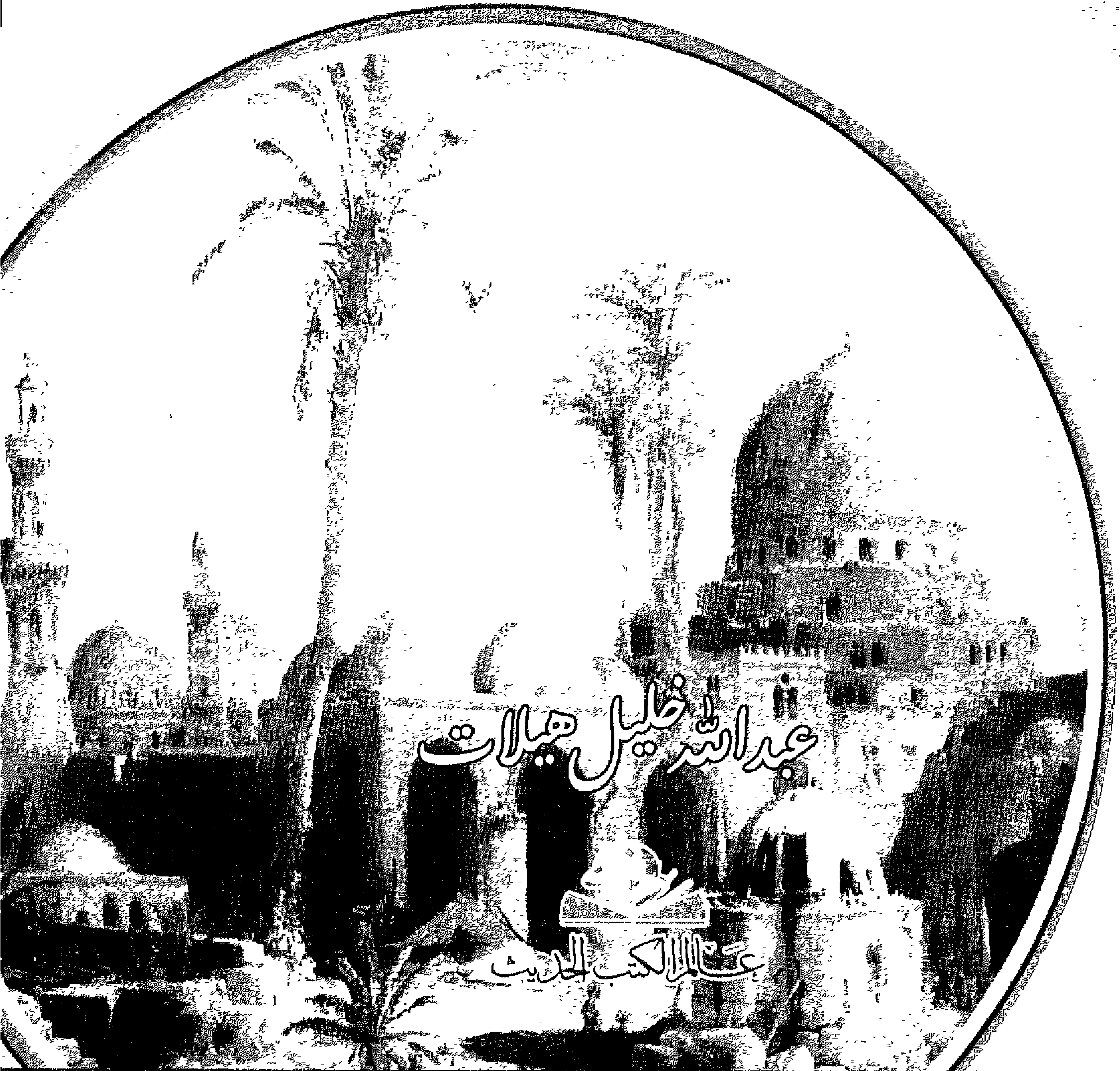
الأمن الجماعي في الإسلام



إهــــــــداء ٢٠٠٧
عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع
الأردن

الأمن الجماعي في الإسلام

تأليف

عبد الله خليل هيلات

عالم الكتب الحديث

إربد - الأردن

٢٠٠٦

الطبعة الأولى

٢٠٠٦

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٦/١/١٠٢)

٢٦٨

هيلات، عبدالله خليل

الأمن الجماعي في الإسلام/ عبدالله خليل هيلات.- إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦.

(   ) ص.

ر.إ.: (٢٠٠٦/١/١٠٢).

الواصفات:/الجهاد//الحقوق المدنية والإسلام//المجتمع الإسلامي/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-466-25-9 (ردمك)



عالم الكتب الحديث

للنشـر والتـوزيـع

إربد- شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي

تلفاكس: (٧٢٧٢٢٧٢- ٩٦٢)   خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣/ ٠٧٩

صندوق البريد: (٣٤٦٩)   الرمزي البريدي: (٢١١١٠)

الموقع على الإنترنت:

WWW.ALMALKTOB.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـــات

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيّره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا تواري منه سماءٌ سماءً ولا أرضٌ أرضاً ولا بحر ما في قعره ولا جبل ما في وعره أجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتيمه وخير أيامي يوم ألقاك فيه ويا من عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابس إلا في كتاب مبين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيّه وخليله أرسله للناس كافة بين يدي الساعة إلى قيام الساعة، أشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمّة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتنكبها إلا ضال، يارب لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملئ السماوات والأرض وملئ ما بينهما أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللّهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللّهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ولا فهم لنا إلا ما فهمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللّهم لا سهل إلاّ ما جعلته سهلاً، إنك إن شئت تجعل الحزن سهلاً إنك على كل شيءٍ قدير.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي أما بعد..

فإن خير الحديث حديث الله جل جلاله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة ظلالة، يقول ربنا تبارك وتعالى وسبحانه وجل جلاله في محكم الكتاب العزيز، بعد أن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"، ويقول ربنا أيضاً: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿﴾ "[1].

ويقول ربنا: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿﴾"[2]، ويقول ربنا: "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"[3]، ويقول ربنا تبارك وتعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿﴾ "[4]، ويقول ربنا جل جلاله وعمّ نواله: "قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿﴾ "[5].

والآيات كثيرة في كتاب الله التي تحث على الدعوة والجهاد في سبيله وأكثر من أن تُحصى إذ أن آيات القرآن الكريم ما يقارب ٦٢٣٦ آية منها ٥٠٠ آية من آيات الأحكام، وباقي آيات القرآن الكريم تتضمن لنا دعوة الأنبياء لأقوامهم، إذ لم يبين لنا الحق جل جلاله في كتابه العزيز عن كيفية صلاة نوح عليه السلام أو عن صيامه أو عن عبادته ولا عن صلاة إبراهيم عليه السلام

(١) آل عمران، آية ١١٠.
(٢) فصلت، آية ٣٣.
(٣) النحل، آية ١٢٥.
(٤) العنكبوت، آية ٦٩.
(٥) التوبة، آية ٢٣.

أو موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام أو محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن بيّن لنا وبالتفصيل عن دعوة هؤلاء الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، ويقول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، وهذا الحديث متواتر، فهذا هو نصاب الدعوة إلى الله عز وجل أن يحفظ المسلم آية من كتاب الله لا بل كل من يقول لا إله إلا الله هو مُطالب بأن يُبلغ هذه الكلمة إلى غيره وكلمة بلّغوا التي وردت في بداية الحديث فعل أمر تفيد الوجوب إذاً أنت أخي المسلم مطالب بتبليغ دين الله شئت أم أبيت فهذا واجب عليك، وليس شرطاً أن يكون هذا المسلم عالماً حتى يُبلغ دين الله فتبليغ دين الله جل جلاله لا يحتاج إلى العلم الكثير ولكن إن كان عندك أخي المسلم العلم والمعرفة في دين الله جل جلاله فهذا بلا شك أفضل بكثير، ولكن لا يتطلب منك الأمر أن تنتظر أن تلم بجميع العلوم كي تقوم بتبليغ دين الله ودعوة الناس لهذا الدين.

فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً وهو في مكة يقول للناس: يا ناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ويطوف بالناس بعد منتصف الليل ويقول يا ناس جاءت الرادفة تتبعها الراجفة جاء الموت بما فيه يا ناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ويطرق الأبواب.

وورد أنه طرق باب أبي جهل أكثر من مئة مرة يدعوه لهذا الدين.

فيا أخي لا يحتاج منك التبليغ لدين الله والدعوة إليه أكثر من أن تحفظ آية من كتاب الله وأن تذكّر المسلمين بلا إله إلا الله وتدعو غير المسلم لهذه الكلمة وتذكر المسلم، وهذه الكلمة ليست بسيطة أخي المسلم فكما ورد في الحديث أنه لو وُضعت لا إله إلا الله في كفة ووُضعت السموات وعامرهنّ غير الله والأرض وما فيها في كفّة لرجحت بها لا إله إلا الله، فهذه أعظم كلمة على الإطلاق لا إله إلا الله عليها نعيش وعليها نموت، وعليها نُبعث يوم القيامة إن شاء الله.

أخرج ابن سعد عن مسروق وهو من كبار أصحاب عبدالله ابن مسعود وهو تابعي يقول شاممت أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فوجدت أن العلم أنتهى إلى ستة منهم، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه والى علي بن أبي طالب رضي الله عنه والى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه والى معاذ بن جبل رضي الله عنه والى أبو الدرداء والى زيد بن ثابت رضي الله عنهم جميعاً.

وشاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبدالله بن مسعود، ويقول أيضاً مسروق قال عبدالله بن مسعود لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عشّره منا أحد، وزاد النضر في هذا الحديث: نعم ترجمان القرآن ابن عباس وكان ابن عباس رضي الله عنه يُسمى البحر من كثرة علمه، ولكن في حجة الوداع قبل وفاة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام بعدة أشهر كان عدد الصحابة مائة وأربعة وعشرون ألفاً كلهم انتشروا يبلغون دين الله إلا القليل منهم كما تشير بعض الروايات أن عدد الذين ماتوا في المدينة ومكة من الصحابة هم فقط عشرة آلاف، وباقي الصحابة ماتوا خارج الجزيرة العربية قبورهم تشهد عليهم انتشروا في جميع أنحاء المعمورة، وفي الأردن وفلسطين ما يُقارب ٣٦ ألف من الصحابة وفي اسطنبول وفي جبال الهملايا وفي الصين أقصى الشرق وفي أقصى الغرب قبورهم شاهدة عليهم، ما الذي أخرجهم والصلاة في الحرم المكي بمئة ألف صلاة وفي الحرم المدني بألف صلاة والنظر إلى وجه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلام عبادة، ولكن هذا المسلم له مقصد عظيم خليفة الله في أرض الله فهو ليس مُطالب بالعبادة فقط ولكن المقصد الأعظم لهذا المسلم هو تبليغ دين الله جل جلاله حيثما كان وحيثما حل مطالب بالدعوة إلى الله جل جلاله.

يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: أنت على ثغرة من ثغر الإسلام. فلا يأتين من قبلك فأنت أخي المسلم عظيم وكريم عظيم ما عظم هذا الدين في قلبك وكريم ما كان هذا الدين في قلبك ولكنك تهون على الله إن انصرفت عن أوامر الله جل جلاله وأتباع نبينا المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وأعظم ما في هذا الدين الدعوة إلى الله حيث يقول الرسول لأن يهدي الله رجلٌ واحدٌ على يديك خيرٌ لك من حُمْر النعم أو خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، وسأل رجلٌ الرسول صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله فقال عليه الصلاة والسلام: الصلاة على وقتها فقال له ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال جهاد في سبيل الله، ويقول الرسول أيضاً: كل براً فوقه بر حتى يُقتل الرجل في سبيل الله فليس فوق ذلك برّ.

من هنا ندرك قيمة وفضل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وأخرج ابن سعد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان أمة خاشعاً حنيفاً ولم يكُ من المشركين فقلت والقائل هو فردة بن نوفل الأشجعي: غلط أبو عبدالرحمن إنما قال الله تعالى: "إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾"[1]، فأعادها عبدالله فقال إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين، فعرفت أنه تعمد الأمر تعمداً فسكتُ فقال أتدري ما الأمة وما القانت فقلت الله أعلم فقال الأمة الذي يُعلم الناس الخير والقانت المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يُعلم الناس الخير وكان مطيعاً لله ولرسوله، ومن كتم علماً علّمه الله إياه ألجمه يوم القيامة بلجام من النار.

(١) النحل، آية ١٢٠.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود عن قيس بن حازم قال: لما وُلي أبو بكر رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله ثم قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ"(١) وإنكم تضعونها على غير مواضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبو بكر الصديق رضي الله عنه قعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سُمي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم مدّ يديه ثم وضعهما على مجلس النبي الذي يجلس عليه من منبره، ثم قال: سمعت الحبيب وهو جالس على هذا المجلس يتأول هذه الآية "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ"(٢)، ثم فسّرها فكان تفسيره لنا أن قال: "نعم ليس من قوم عُمل فيهم بمنكر ويُفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه و لم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يُستجاب لهم"، ثم أدخل اصبعيه في أذنيه فقال: أن لا أكون سمعته من الحبيب فصمتا.

وإذا عمل قوم بالمعاصي بين ظهراني قوم هم أعز منهم فلم يغيروه عليهم أنزل الله عليهم بلاء ثم لم ينزعه منهم.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عثمان رضي الله عنه قال: مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر قبل أن يُسلط الله عليكم شراركم ويدعوا عليهم خياركم فلا يُستجاب لهم.

---

(١) المائدة، آية ١٠٥.

(٢) المائدة، آية ١٠٥.

وعن علي رضي الله عنه قال: لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتَجدِّن في أمر الله أو ليسومنكم أقوام يعذبونكم ويعذبهم الله، وقال أيضاً: أيها الناس إنما أهلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي و لم تنههم الربانيون والأحبار كلما تمادوا في المعاصي و لم تنههم الربانيون والأحبار أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن يترل بكم مثل الذي نزل بهم، وأعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يُقرب أجلاً، ثم قال: الجهاد ثلاثة: جهاد بيد وجهاد بلسان وجهاد بقلب، فأول ما يُغلب عليه من الجهاد جهاد اليد ثم جهاد اللسان ثم جهاد القلب، فإذا كان القلب لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً نُكس وجُعل أعلاه أسفله كما ينكس الجراب فينثر ما فيه.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، وقال: بل هلك من لم يعرف قلبه المعروف وينكر المنكر وقال: الناس ثلاثة فما سواهم فلا خير فيه، رجل رأى فئة تقاتل في سبيل الله فجاهد بماله ونفسه ورجلٌ جاهد بلسانه فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ورجل عرف الحق بقلبه وقال جاهدوا المنافقين بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فأكفهروا في وجوههم، وقال: إذا رأيت المنكر فلم تستطيع له تغييراً فحسبك أن يعلم الله أنك تكرهه بقلبك، وقال أيضاً أن الرجل يشهد المعصية يُعمل بها فيكرهها فيكون كمن غاب عنها ويغيب عنها فيرضاها فيكون كمن شهدها، وقال أيضاً يذهب الصالحون أسلافاً ويبقى أهل الريّب من لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: إن كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيصير فيها منافقاً وإني لاسمعها منكم بالمقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعرون ولتنهون عن المنكر وتحضن على الخير أو ليسحقنكم الله جميعاً بعذاب، وقال لعن الله من ليس منّا، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتقتتلوا فيما بينكم فليظهرنّ شراركم على خياركم

فيقتلنهم حتى لا يبقى أحد يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ثم تدعون الله عز وجل فلا يجيبكم بمقتكم، وعنه أيضاً قال ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر.

وقال عدي وأبو الدرداء أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأن منكركم اليوم معروف زمان يأتي وإنكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم تنكرون ولا تنكرون ما كنتم تعرفون، وما قام عالمكم يتكلم غير مستخف، وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال لا أعلمنّ أحداً وقع في شيء ممّا نهيت عنه إلاّ ضاعفت له العقوبة، وأوصى عمير بن حبيب ولده وكان قد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم عند احتلامه اوصى ولده فقال: يا بني إياك ومجالسة السفهاء، فإن مجالستهم داء ومن يحلم عن السفيه يُسرّ ومن يجيبه يندم ومن لا يرضى بالقليل ممّا يأتي به السفيه يرضى بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى وليثق بالثواب من الله تعالى فإنه من يثق بالثواب من الله جل جلاله لم يضره من الأذى.

وأخرج الطبراني عن عبدالعزيز بن أبي بكره رضي الله عنه أنه تزوج إمرأة من بني غدانة وأنها هلكت فحملها إلى المقابر فحال أخوها بينه وبين الصلاة عليها، فقال لا تفعلوا فإني أحق بالصلاة منكم قالوا صدق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليها، ثم إنه دخل القبر فدفعوه دفعاً عنيفاً فوقع مغشياً عليه فحُمل إلى أهله فصرخ عليه يومئذ عشرون من ابن وبنت له فقال عبدالعزيز لأحد أبناءه وهو يومئذ أصغرهم فلما أفاق قال لا تصرخوا عليّ فوالله ما من نفس تخرج أحب إليّ من نفس أبو بكره ففزع القوم وقالوا: سيأتي علينا زماناً لا أستطيع أن آمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر ولا خير يومئذ.

وأخرج الطبراني عن علي بن زيد قال: كنت في القصر مع الحجّاج وهو يستعرض الناس للقتل أو التوبة من أجل ابن الأشعث فجاء أنس بن مالك رضي الله عنه حتى دنا من الحجّاج فقال له الحجاج: ماذا تريد يا خبيث يا جوال في الفتن مرة مع علي ومرة مع ابن الزبير ومرة مع الأشعث، أما والذي نفسي بيده لأستأصلنك كما تُستأصل المصمغة ولأجردنّك كما يُجرد الضب أي لأسلخنك سلخ الضب، لأنه إذا شُوي جرد من جلده، فقال من يفي الأجر أصلحه الله ، قال الحجاج إياك عني —أصم الله سمعك— فاسترجع فقال إنّا لله وإنا إليه راجعون، ثم خرج من عنده فقال لولا إني ذكرت ولدي فخشيته عليهم لكلمته في مقامي لا يستحيين بعده أبداً، أي لا يبقى حياً بعد أن يسمع كلامي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت الحجاج يخطب فذكر كلاماً أنكرته فأردت أن أغيّر فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه"، قال قلت يا رسول الله كيف يذل نفسه، قال: "يتعرض من البلاء لما لا يطيق".

لا بد للمسلم بشكل عام وللمؤمن بصورة خاصة أن يتمتع بصفات عديدة حتى يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن أهم هذه الصفات أن يعرف المعروف ويعرف المنكر، أي يعرف أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، ويكون على دراية بالسنة النبوية، ويجب عليه أن يمارس هذه الصفة، وكل حسب موقعه في المجتمع، حيث قال صلوات الله عليه الرسول الأكرم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطيع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"، وكل حسب موقعه فرب الأسرة مثلاً والحاكم يستطيع أن يغير بيده وبلسانه والعالم يستطيع أن يغير بلسانه، وإن خشيت أن يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاحشة أو أذى أو شيء من ذلك القبيل ربما يكون سوء أكبر من المنكر نفسه فعليك أن تنكر ذلك بقلبك أخي

المسلم وذلك أضعف الإيمان، والصفة الثانية يجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف لقوله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس مروا بالمعروف بالمعروف، انهوا عن المنكر بالمعروف".

إن موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضوع عظيم جدير بالعناية لأن فيه تحقيق مصلحة الأمة ونجاتها، وفي إهماله الخطر العظيم والفساد الكبير واختفاء الفضائل وظهور الرذائل، وقد أوضح الله عز وجل في كتابه العظيم منزلته من الإسلام، وبين سبحانه أن منزلته عظيمة حتى أنه سبحانه في بعض الآيات قدمه على الإيمان الذي هو أصل الدين وأساس الإسلام، كما في قوله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"(1).

ولا تعلم السرّ في هذا التقديم، إلا عظم شأن هذا الواجب وما يترتب عليه من المصالح العامة، ولا سيما في هذا العصر فإن حاجة المسلمين وضرورتهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شديدة لظهور المعاصي وانتشار الشرك والبدع في غالب المعمورة، وقد كان المسلمون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه وفي عهد السلف الصالح يحرصون على هذا الواجب ويقومون به خير قيام، فالضرورة إليه بعد ذلك أشد وأعظم لكثرة الجهل وقلة العلم وغفلة الكثير من الناس عن هذا الواجب العظيم، وفي عصرنا هذا صار الأمر أشد والخطر أعظم لانتشار الشرور والفساد وكثرة دُعاة الباطل وقلة دُعاة الخير في غالب البلاد كما تقدم، ومن أجل هذا أمر الله سبحانه وتعالى به ورغب فيه وقدمه في سورة آل عمران على الإيمان "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"(2) يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهي خير الأمم وأفضلها عند الله

---

(1) آل عمران، آية ١١٠.

(2) آل عمران، آية ١١٠.

كما في الحديث الصحيح عن النبي أنه قال: "أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل"، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجود في الأمم السابقة، بعث الله به الرسل وأُنزلت به الكتب.

وأصل المعروف توحيد الله والإخلاص له، وأصل المنكر الشرك بالله وعبادة غيره، وجميع الرسل بُعثوا يدعون الناس إلى توحيد الله الذي هو أعظم المعروف وينهون الناس عن الشرك الذي هو أعظم المنكر، ولما فرط بنو إسرائيل في ذلك وأضاعوه قال الله عز وجل في حقهم: "لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ "[1].

ثم فسّر هذا العصيان، فقال سبحانه وتعالى:" كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ "[2]، فجعل هذا من أكبر عصيانهم واعتدائهم، وأثنى الله عز وجل على أمة في ذلك منهم فقال سبحانه وتعالى: " ۞لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ "[3]، هذه طائفة من أهل الكتاب لم يصبها ما أصاب الذين ضيعوه فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم، وفي آية أخرى من كتاب الله عز وجل في سورة التوبة قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وما ذلك إلا لعظم شأنه فقال سبحانه وتعالى: " وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ

---

(١) المائدة، آية ٧٨.

(٢) المائدة، آية ٧٨.

(٣) آل عمران، آية ١١٣-١١٤.

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝ "[1].

قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إقامة الصلاة مع أن الصلاة عمود الإسلام وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين.

لا شك أنه قدمه لعظم الحاجة إليه وشدة الضرورة إلى القيام به، ولأن بتحقيقه تصلح الأمة ويكثر فيها الخير وتظهر فيها الفضائل وتختفي منها الرذائل ويتعاون أفرادها على الخير ويتناصحون ويجاهدون في سبيل الله ويقومون بالدعوة إلى الله ويأتون كل خير ويذرون كل شر، وبإضاعته والقضاء عليه تكون الكوارث العظيمة والشرور الكثيرة، وتفترق الأمة وتقسوا القلوب وتموت وتظهر الرذائل وتنتشر وتختفي الفضائل ويُهضم الحق ويظهر صوت الباطل وهذا أمر واقع في كل مكان وكل دولة وكل بلد وكل قرية لا يُؤمر فيها بالمعروف ولا ينهى فيها عن المنكر، فإنه تنتشر فيها الرذائل وتظهر فيها المنكرات ويسود فيها الظلم والفساد، وبين سبحانه أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمُقيمين للصلاة والمؤتيين للزكاة والمُطيعين لله ولرسوله هم أهل الرحمة، فقال سبحانه وتعالى: "أولئك يرحمهم الله" فدل ذلك على أن الرحمة إنما تُنال بطاعة الله وإتباع شريعته ومن أخص ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تُنال الرحمة بالأماني ولا بالأنساب ككونه من قريش أو من بني هاشم أو من بني فلان، ولا تُنال بالوظائف ككونه ملكاً أو رئيساً لجمهورية، أو وزيراً أو غير ذلك من الوظائف، ولا تُنال أيضاً بالأموال والتجارات ولا بوجود كثرة المصانع ولا بغير ذلك من شؤون الناس، وإنما تُنال الرحمة بطاعة الله ورسوله وإتباع شريعته، ومن أعظم ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في كل شيء،

---

[1] التوبة، آية ٧١.

فهؤلاء أهل الرحمة، وهم الذين في الحقيقة يرجون رحمة الله وهم الذي يخافون الله حقيقة ويعظمونه، فما أظلم ممن أعرض عن أمره وارتكب نهيه وأنه زعم أنه يخافه ويرجوه، وإنما الذي يعظم الله حقاً ويخافه ويرجوه حقاً من أقام أمره واتبع شريعته وجاهد في سبيله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، قال سبحانه في سورة البقرة: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ "[1]، فرجاء الرحمة وخوف العذاب يكون بطاعة الله ورسوله، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فجعلهم الله سبحانه راجين رحمة الله لما آمنوا وجاهدوا لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم، ولم يقل الذين بنو القصور أو الذين عظمت تجاراتهم أو تنوعت أعمالهم أو الذين ارتفعت أنسابهم، أو الذين كثرت أموالهم وعقاراتهم هم الذين يرجون رحمة الله، وفي آية أخرى حصر سبحانه الفلاح في الدعاة إلى الخير والأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فقال عز وجل: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٞ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝"[2]، بعض المفسّرين اعتبر أن من في هذه الآية ليست للتبعيض وإنما لبيان الجنس مثل آية " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ"[3]، وبعض المفسرين اعتبروها للتبعيض، فدلت آيات الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء الذين هذه صفاتهم الدعوة إلى الخير والى دين الله الدعاة والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هم المفلحون والمعنى أنهم هم المفلحون على الكمال والتمام وإن كان غيرهم من المؤمنين مفلحاً إذا تخلى عن بعض هذه الصفات لعذر شرعي، لكن المفلحون على الكمال والتمام هم هؤلاء الذين دعوا إلى الخير ودين الله وأمروا بالمعروف وبادروا إليه ونهوا عن المنكر وابتعدوا عنه.

---

(١) البقرة، آية ٢١٨.

(٢) آل عمران، آية ١٠٤.

(٣) مريم، ٧١.

أما الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لأغراض أخرى كرياء وسمعة أو خطر عاجل وأية أسباب أخرى أو يتخلفون عن فعل المعروف ويرتكبون المنكر فهؤلاء من أسوأ الناس عاقبةً، جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتُدلق أقتاب بطنه (أمعاءه) فيدور في النار كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون مالك يا فلان؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول لهم بلى ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

هذا حال من خالف قوله تعالى تسعّر به النار ويُفضح على رؤوس الأشهاد يتفرج عليه أهل النار ويتعجبون كيف يُلقى في النار ويدور فيها كما يدور الحمار بالرحى وتندلق أقتاب بطنه يسحبها خلفه لماذا؟ لأنه كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه، فاعلم أخي المسلم أن المقصود الأمر بالمعروف مع فعله والنهي عن المنكر مع الابتعاد عنه وتركه، وهذا الواجب على كل مسلم، أما مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤيد هذا الأمر وتبين ذلك أعظم بيان وتشرعه حيث يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح "من رأى منكم منكراً فيغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" فبين صلى الله عليه وسلم مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الثلاثة، المرتبة الأولى إنكاره باليد مع القدرة وذلك مثلاً بإراقة أواني الخمر وكسر آلات اللهو ومنع من أراد شراً بالناس أو ظلمهم من تنفيذ مراده أن استطاع ذلك كالسلطان ونحوه من أهل القدرة وكإلزام الناس بالصلاة وبحكم الله الواجب اتباعه ممن يقدر على ذلك إلى غير هذا مما أوجب الله عز وجل، وهكذا المؤمن مع أهله وولده يلزمهم بأمر الله ويمنعهم مما حرّم الله باليد إذا لم ينفع معهم الكلام، وهكذا ممن له ولاية من أمير أو محتسب أو شيخ قبيلة أو غيرهم.

المرتبة الثانية وهي اللسان يأمرهم باللسان وينهاهم كأن يقول مثلاً يا قوم اتقوا الله، صلوا وأدوا الزكاة، اتركوا هذا المنكر، افعلوا كذا دعوا ما حرم الله، برّوا والديكم، صلوا أرحامكم، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر باللسان ويعاملهم بالأسلوب الحسن مع الرفق حيث قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب الرفق في الأمر كله ويقول إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يترع من شيء إلا شانه".

وجاء جماعة من اليهود فدخلوا عليه صلى الله عليه وسلم فقالوا (السام عليك يا محمد) يعنون الموت وليس مرادهم السلام، فسمعتهم عائشة رضي الله عنها فقالت عليكم السام واللعنة أو في لفظ أمر ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: ألم تسمعي ما قلت لهم؟ قلت لهم وعليكم فإنه يُستجاب لنا فيهم ولا يُستجاب لهم فينا، هكذا وهم يهود رفق بهم رسول الله لعلهم يهتدون ولعلهم ينقادون للحق ويستجيبون لداعي الإيمان، فهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتحرى الرفق والعبادات المناسبة والألفاظ الطيبة ولا يغلظ بالقول ولا يفحش به، قال تعالى: "ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ "[(١)]، وقال تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى وهم كفار والله يأمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم والمعنى أنه من ظلم منهم وتعدى وأساء الكلام فإنه يُنقل معه إلى علاج آخر غير الجدال بالتي هي أحسن، كقوله تعالى: "وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا"[(٢)]، وقال

---

(١) النحل، آية ١٢٥.

(٢) الشورى، آية ٤٠.

سبحانه: "﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾"[(١)]، لكن ما دام المقام مقام تعليم ودعوة وإيضاح للحق فإنه يكون بالتي هي أحسن لأن هذا أقرب إلى الخير، قال سفيان الثوري رحمه الله: "ينبغي للأمر والنهي أن يكون رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه، عدلاً فيما يأمر به عدلاً فيما ينهى عنه، عالماً بما يأمر به عالماً بما ينهى عنه، ولا يأمر ولا ينهى إلا عن علم وبصيرة لا عن جهل ويكون مع ذلك رفيقاً عاملاً بما يدعو إليه تاركاً ما ينهى عنه حتى يقتدى به".

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان فيه حبة خردل"، وهذا الحديث مثل حديث أبي سعيد السابق المتضمن الإنكار باليد ثم باللسان ثم بالقلب فالخلوف التي تختلف بعد الأنبياء هذا حكمهم في أممهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعلمون أحكام الله وهكذا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم يجب عليهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر من أمراء وأعيان وفقهاء وعلماء ويتعهدون بالدعوة إلى الله وتعليم الجاهل وإرشاد الضال وإقامة الحدود والتعزيرات الشرعية ويمنعوهم من ارتكاب ما حرم الله حتى يستقيم الناس ويلزموا الحق، وقد ثبت عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقران، ويروى عن عمر أيضاً، وهذا صحيح، فكثير من الناس لو جئته بكل آية لم يمتثل لكن إذا جاء وازع السلطان بالضرب والسجن ونحو ذلك اذعن وترك باطله،

---

(١) البقرة، آية ١٩٤.

لماذا؟ لأن قلبه مريض وإيمانه خفيف أو معدوم الإيمان فلهذا لا يتأثر بالآيات والأحاديث لكن إذا خاف من السلطان أرتدع ووقف عند حده ووازع السلطان له شأن عظيم، لهذا شرع الله لعباده القصاص والحدود والتعزيرات لأنها تردع عن الباطل وأنواع الظلم ولأن الله يقيم بها الحق، فوجب على ولاة الأمور أن يقيموها وأن يعينوا من يقيمها وأن يلاحظوا الناس ويلزموهم بالحق ويوقفوهم عن حدهم حتى لا يهلكوا وينقادوا مع تيار الباطل ويكونوا عوناً للشيطان وجنده وأعوانه وهي أن يحجز المؤمن عن الإنكار باليد واللسان انتهى إلى القلب يكره المنكر بقلبه ويبغضه ولا يكون جليساً لأهله، وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال له بعض الناس: هلكت أن لم آمر بالمعروف وأنه عن المنكر؟ فقال له رضي الله عنه: هلكت إن لم يعرف قلبك المعروف وينكر المنكر.

وورد في الحديث أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام انه قال: "يقول الله عز وجل مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا استجيب لكم، وقبل أن تسألوني فلا أعطيكم وقبل أن تستنصروني فلا أنصركم"، ويقول عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعونه فلا يستجيب لكم" (رواه الإمام أحمد).

وفي حديث ابن مسعود عن أحمد وأبي داوود والترمذي يقول عليه الصلاة والسلام: "لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم وآكلوهم وشاربوهم، فلما رأى الله ذلك ضرب قلوب بعضهم ببعض ثم لعنهم على لسان أنبيائهم داوود وعيسى ابن مريم "ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ"[1]، وفي لفظ آخر أو أول ما دخل النقص على بني

(١) المائدة، آية ٧٨.

اسرائيل أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تفعل من المعاصي ثم يلقاه في الغد فما يمنعه ما رآه منه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما رأى الله ذلك ضرب قلوب بعضهم ببعض ولعنهم.

أما حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد يكون واجباً وفرض عين على بعض الناس إذا رأى منكراً وليس عنده من يزيله غيره فإنه يصبح عليه واجب، أما إذا كانوا جماعة فإنه يكون في حقهم فرض كفاية في البلد أو القرية أو القبيلة فمن أزاله منهم حصل به المقصود وفاز بالأجر إن شاء الله وإن تركوه جميعاً أثموا كسائر فروض الكفايات، وإذا لم يكن في البلد أو القبيلة إلا عالماً واحداً وجب عليه عيناً أن يعلم الناس ويدعوهم إلى الله ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حسب طاقته.

ومن وفق للعمل والاحتساب من العلماء والدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والإخلاص لله نجح ووُفق وهدى وهدى الله به، قال تعالى: " وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ "، " وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝ "(1) وقال تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝ "(2).

وقال تعالى: " وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝ "(3)، فالرابحون الناجون في الدنيا والآخرة هم أهل الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ومعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر من جملة التقوى، لكن الله سبحانه وتعالى خصها بالذكر لمزيد من

---

(1) الطلاق، آية ٢-٣.

(2) محمد، آية ٧.

(3) العصر، آية ١-٣.

الإيضاح والترغيب والمقصود أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعا إلى الله وصبر على ذلك فهو من أهل هذه الصفات العظيمة الفائزين بالربح الكامل والسعادة الأبدية إذا مات على ذلك إن شاء الله.

ولا بد لك أخي المسلم أن تعرف المعروف بالتعلم والتفقه في الدين، ولا بد أن تعرف المنكر بذلك ثم تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالتبصر والتفقه في الدين من علامات السعادة، ودليل ذلك أن الله أراد بالعبد خيراً كما جاء في الحديث: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين".

فإذا رأيت الرجل يتبع حلقات العلم ويسأل عن العلم ويتفقه ويتبصر به فذلك من علامات أن الله أراد به خيراً فليلزم ذلك وليجتهد ولا يمل ولا يضعف، جاء في الحديث الصيحيح "من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"، ويكون ذلك بحضور حلقات العلم ومراجعة الكتب المفيدة وسماع الخطب والمواعظ ويكون بسؤال أهل العلم ويكون ايضاً بحفظ القرآن وهو الأصل في العلم وحفظ الأحاديث الشريفة والصحيحة، وهذان هما الأساس العظيم والقران هو نور الله المبين.

فهذا أعظم كتاب وأشرف كتاب وهو أعظم قائد إلى الخير وأعظم ناهٍ عن الشر، فالعناية به والإكثار من تلاوته والحرص على حفظه أو ما يفسر منه مع التدبر والتفكر، ففيه الهدى والنور: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"، وهكذا سنة الرسول هي الوحي الثاني وهي الأصل الثاني وهي المفسرة لكتاب الله والدالة عليه.

يا ناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا يا ناس جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه، وهكذا استمر على هذا الحال ولقي ما لقي في سبيل هذه الدعوة وأوذي أشد الأذى في مكة وفي الطائف ومن أقرب الناس إليه وهو صابر حتى كانت بيعة العقبة الأولى والثانية وحتى تمت الهجرة إلى المدينة المنورة على ساكنيها أفضل الصلاة والسلام، وكان أول عمل قام به النبي عليه الصلاة

والسلام بعد الهجرة هو بناء المسجد، وكان مسجداً بسيطاً متواضعاً سقفه من سعف النخيل وأعمدته (سواريه) من شجر النخيل وفرشه من الحصباء وكان مفتوح ليلاً نهاراً، ولكن هذا المسجد البسيط كانت تُقام به أعمال كانت سبباً بنشر الهداية إلى جميع أنحاء العالم.

الأعمال التي كانت تقوم بمسجد الرسول بالمدينة

أولاً: العبادات، فكانت تقوم بهذا المسجد (مسجد المدينة) جميع العبادات من صلاة وذكر وقراءة قرآن وجميع العبادات وكان الصحابة يعمرون المسجد بالعبادات على مدار الساعة ليلاً نهاراً بالتناوب فهناك قسم من الصحابة يعمرون المسجد من الصباح حتى الغروب ومن الغروب حتى منتصف الليل ومن منتصف الليل حتى الصباح وتجمعهم الصلوات الخمس جميعاً في المسجد، وهكذا.

ثانياً: خدمة الوفود القادمة إلى المدينة المنورة من القبائل المتاخمة لأطراف المدينة من الأعراب والقبائل الأخرى يمكثوا في المسجد حتى يتعلموا الدين ويتفقهوا في فقه العبادات، يمكثون الشهر والشهرين وهم في المسجد حتى يتعلموا ومن ثم يعودوا إلى قبائلهم ليعلموهم ما تعلموه من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وفي أحد المرات جاءوا بعض الشباب حتى يتعلموا وبعد مضي شهر من مكثهم بالمسجد قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: لعلكم اشتقتم إلى أهليكم؟ فقالوا: نعم يا رسول الله. فقال لهم: هل فقهتم؟ قالوا: نعم. قال: ارجعوا إلى أهليكم وعلموهم مما تعلمتهم.

وهكذا كانوا الصحابة يقومون على خدمة هؤلاء الناس الضيوف.

ثالثاً: التعليم والتعلم، فكانت حلقات التعليم والتعلم في المسجد وجميع أركان المسجد حلق وتسمع لهم دوي كدوي النحل يتعلمون فقه العبادات والحديث والقرآن والمسائل الفقهية الأخرى.

رابعاً: والأهم الدعوة إلى الله، فكان هذا المسجد بمثابة النور الساطع الذي يشع بنوره على جميع أنحاء الكرة الأرضية، وكان الكلام بالدعوة إلى الله يبين عظمة الله جل جلاله، مثال ذلك أن الله جل جلاله وسبحانه وتعالى أول كل شيء وآخر كل شيء فوق كل شيء ودون كل شيء ليس قبله شيء وليس بعده شيء، هو الأول ليس قبله شيء وهو الاخر ليس بعده شيء وهو القاهر ليس فوقه شيء وهو الباطن ليس دونه شيء عليم بكل شيء خبير بكل شيء قدير على كل شيء لا يستعين بشيء، لا يعجزه شيء ليس كمثله شيء، له الملك لا شريك له الفرد لا ندّ له العلي لا سمّي له هو أحق من ذُكر وأحق من عُبد وأنصر من ابتغى وأرأف من ملك وأجود من سُئل وأوسع من أعطى لن يطاع إلا بإذنه ولن يعصي إلا بعلمه، يُطاع فيشكر ويعصى فيغفر أقرب شهيد أدنى حفيظ حلت دون النفوس، أخذت بالنواصي كتبت الآثار نسخت الآجال القلوب لك مفضية والسر عندك علانية الحلال ما أحللت والحرام ما حرمت والدين ما شرعت والأمر ما قضيت الخلق خلقك والعبيد عبيدك، أنت الله الرؤوف الرحيم، الله سبحانه وتعالى لا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد حبات الرمال وأوراق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرض، وما من جبل إلا ويعلم ما في وعره وما من بحر إلا ويعلم ما في قعره "﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا

حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝"[1]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد {إلا كل ما خلا الله باطل}.

فكانت هذه الأعمال الأربعة التي تُقام بمسجد الرسول هي أعمال الهداية والنور لجميع البشرية، ومن هذا المسجد انطلقت الغزوات والجهاد في سبيل الله وانطلقت الدعوة لله قبل ذلك، ومن هذا المسجد انطلق الصحابة إلى غزوة بدر الكبرى غزوة الفرقان الغزوة التي زلزلت صناديد قريش.

ومن هذا المسجد انطلق أكثر من مئة واربعة عشر ألفاً من الصحابة يبلغون دين الله ويجاهدون في سبيله لإعلاء كلمته وليعبد الله في جميع أنحاء الأرض وليحقق هذه الخلافة بحق خلافة الله جل جلاله في الأرض وليحمل جهد الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، فكان هذا المسجد هو الإنطلاقة لكل أعمال البر والخير ونشر الدين والعلم والدعوة إلى الله جل جلاله، وهذه الصفات التي تعلموه الصحابة هي التي مكنتهم من نشر الدعوة في جميع أنحاء الأرض ولقد قيض الله في هذا الزمن أناس يقومون بجهد الأنبياء والصحابة جماعات الدعوة والتبليغ أو سمّهم ما شئت المهم هو ما يقومون به من فعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ دين الله مضحين بذلك بالنفس والمال والوقت والزوجة والأولاد ومتاع الدنيا وشهواتها.

بعض صفات صحابة رسول الله ﷺ يتدرب عليها الداعية إلى الله حتى تستقيم حياته

يتدرب الداعية على صفات عديدة، كانت هذه الصفات ملازمة لحياة الصحابة رضوان الله عليهم، فقد تدربوا على هذه الصفات في مدرسة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، فقد مكث عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاماً

---

(١) الانعام، آية ٥٩.

في مكة المكرمة وهو يدعو الناس إلى الله سراً وجهراً، في بداية الدعوة سراً ومن ثم جهراً، حيث أُمر بذلك من الله سبحانه وتعالى، وهو يقول يا ناس قولوا لا إله إلا الله فإنها من أهم المهمات وأفضل القربان.. التنظيم والتوجيه إلى الخير والتواصي بالحق والصبر عليه والتحذير مما يخالفه ويُغضب الله عز وجل، ويساعد من رحمته واسأله عز وجل أن يصلح قلوبنا وأحوالنا وأعمالنا وسائر المسلمين، وأن يفقهنا في دينه وأن يثبتنا عليه وأن ينصر دينه ويُعلي كلمته، وان يصلح جميع أمور ولاة المسلمين ويوفقهم لكل خير ويصلح لهم البطانة ويعينهم على كل ما فيه صلاح العباد والبلاد، ويمنحهم الفقه من الدين ويشرح صدورهم لتحكيم شريعته والاستقامة عليها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولاً: اليقين بالله اليقين الصادق والمتمثل بالكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله، إن المقصد من اليقين الصادق هو إخراج اليقين الفاسد على الأشياء وإدخال اليقين الصادق على ذات الله سبحانه وتعالى، فالقلوب امتلأت حباً للأشياء وحباً للتملك وحباً لهذه الدنيا فأصبحنا لا نرى إلا الأشياء ولا نخاف إلا من الأشياء، ولا نحب إلا الأشياء ثقتنا على ما في جيوبنا من المال قبل ثقتنا على ذات الله سبحانه وتعالى، وثقتنا على الأسباب أكثر وأعظم من ثقتنا على رب الأسباب وخالقها، الطفل يمرض قبل الدعاء بالشفاء وقبل أن يصلي، تذهب إلى الطبيب وكأن الطبيب هو الشافي، فالله سبحانه وتعالى يعطي ويرزق مع الأسباب وبغير الأسباب وضد الأسباب، فهو وحده المتصرف بهذا الكون جل جلاله، خلف آدم عليه السلام من غير أم ولا أب من طين لازب كالفخار وخلق حواء عليها السلام من أب ومن غير أم من ضلع آدم عليه السلام، وخلق عيسى عليه السلام من أم ومن غير أب، وأخرج الناقة من الصخرة الصماء، من صفة النار الإحراق ولكنها لم تحرق سيدنا إبراهيم عليه السلام لأن الله أمرها بأن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم، ومن صفة السكين القطع لكنها لم تقطع

عنق سيدنا اسماعيل عليه السلام، لأن الله ما أراد لها أن تُقطع " وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ "(1)، إن اليقين على ذات الله يجب أن يكون خالص والتوكل على الله يجب أن يكون خالص مئة بالمئة فالله لا يقبل أن يكون يقيننا على الأشياء واحد بالمائة وعلى الله تسعة وتسعون بالمائة ولا يقبل أن نتوكل عليه تسعة وتسعون بالمائة وعلى غيره واحد بالمائة فهنا يصبح الأمر فيه إشراك لله تعالى مع الأشياء وكثيراً ما كان الرسول يتعوذ من أن يُشرك بالله وهو يعلم ويستغفر الله مما لا يعلم الشرك الأصغر وهو متمثل بالرياء والأعتماد على الأسباب وغير ذلك من الأشياء والأمور التي توصل المسلم إلى الشرك الأصغر أو الأكبر وهو لا يعلم، ولا يكفي أن تقول هذه الكلمة باللسان فقط ولكن يجب علينا أن نكررها حتى تستقر بالقلوب فلا يكون في قلوبنا غير الله ولا نخشى إلا الله ولا تطلب إلا من الله ولا نستعين إلا بالله ولا نرجو إلا الله سبحانه وتعالى، يقول الحق جل جلاله: "فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ "(2)، أي أعلم تمام العلم والمعرفة أيها المسلم وأيها الإنسان أنه لا إله في هذا الكون إلا الله نفي واثبات لا إله إلا الله، الله خالق هذا الكون ومدبر هذا الكون.

خالق السموات والأرض وخالق الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار وخالق الأنس والجان والملائكة والجنة والنار وكل هذه المخلوقات بقبضة الله وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وجاء في الحديث أنه لو وضعت السموات والأرض وعامرهن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بها لا إله إلا الله، ويقول نبينا عليه الصلاة والسلام من كان آخر

(1) الصافات، آية ١٠٧.

(2) محمد، آية ١٩.

كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة فكيف نحرص أشد الحرص على أن يكون آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، إذا كانت حقيقة في قلوبنا عند الموت، نقولها بكل سهولة ويسر إن شاء الله، وإذا كانت فقط على هذا اللسان يصعب علينا قولها عند سكرات الموت، فسكرات الموت شديدة ومؤ لمة أصعب من ألف ضربة بسيف، وهذا الإنسان الضعيف القوي المتجبر أحياناً الطاغية أحياناً أخرى الهش الضعيف أحياناً أخرى لا يقوى على تحمل سكرات الموت فإذا لم تكن لا إله إلا الله بالقلب يصعب على هذا الإنسان النطق بها، سأل عبدالله بن عمرو بن العاص وهو في سكرات الموت، فقال له يا أبي صف لي سكرات الموت، فقال: أي بني إني والله أرى كأن السماء أطبقت على الأرض وإني بينهما وأراني أتنفس من خرم إبرة، وأرى أن سفود قد وُضع في جميع أطراف جسمي وهو يترع من كل جزء من جسمي ويأخذ معه من جسمي في كل نزعة يُترعه، فإذا لم تتدرب أخي المسلم على قول لا إله إلا الله في حياتك الدنيا البسيطة الفانية، فهل تستطيع أن تقولها عند الترع وسكرات الموت؟ فلا تغرك أخي المسلم هذه الدنيا وتنشغل بها أكثر من اللازم فتشغلك عن أمور دينك وآخرتك وتصرفك عن الدين وطلب العلم الذي يصلح دينك.

فهذه الدنيا أهون من أن تكون مقصد العاقل والكيس، فتعمل بهذه الدنيا كما كانوا يعملون الصحابة رضوان الله عليهم وكما كان يعمل به نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، كانت الدنيا بأيديدهم ولم تكن بقلوبهم، ونحن الدنيا بقلوبنا والدين بأيدينا فسرعان ما نفرط في أمور ديننا من أجل دنيانا، يقول المصطفى عليه السلام "ركعتي الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها"، السنة وليس الفرض، فما بالك أخي المسلم بالفرض، ويقول الشاعر:

هي الدنيا تقول بملئ فيها

حذاري حذاري من فتكي وبطشي

فلا تغرنك الفانية وتشغلك من الباقية، ويقول عمرو بن العاص رضي الله عنه "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً"، أي بالنسبة لأمر الدنيا ما لم تستطع تحقيقه اليوم تقوم به غداً وما لم تقم به غداً تقوم به بعد غداً، وهكذا، أما أمر الآخرة فلا تدري فلعلك تموت بعد ساعة أو دقيقة فبادر إلى عمل الخير وسارع إليه وكأنك ستموت بعد هذا العمل فلا تدعنّ عمل الخير يفوتك ولا تؤجله إلى الغد، وسُئل حاتم الأصم على ماذا بنيت أمرك على التوكل على الله؟ فقال: بنيت ذلك على أربع علمت أن رزقي لا يأكله غيري فطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يقوم به أحد غيري، فاشتغلت به، أي اُشتغلت بصلاتي وصومي وحجي وزكاتي وعباداتي، وعمل الخير كله، عن القيل والقال والغيبة والنميمة وغير ذلك من الأشياء التي تبعد هذا العبد عن دينه وخالقه، وعلمت أن الموت يفاجأني فبادرت له، هذا الموت الذي لا يعرف باب ولا نافذة، هذا الموت الذي لا يعرف شاب ولا شيبة ولا ذكر ولا أنثى كل ابن آدم وإن طالت سلامته على آله حدباء يوماً محمولُ، وعرف علي بن أبي طالب التقوى بقوله "الخوف من الجليل والرضى بالقليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل"، فهل أنت مستعد أخي المسلم لهذا اليوم الذي لا بد منه ولا مناص منه، والأمر الرابع علمت أن الله يراني حيثما حللت وحيثما أقمت وحيثما اختفيت فاستحييت من الله أن يراني وأنا أعصيه مهما تكن هذه المعصية صغيرة، فلا تنظر أخي المسلم إلى صغر المعصية ولكن انظر من تعصي، فإياك إياك أن يراك الله حيث ينهاك وإياك إياك أن يفقدك حيث يأمرك ويريدك.

والشق الثاني من هذه الصفة محمد رسول الله أي إخراج طرق الإغيار من حياتنا وإدخال طريق النبي صلى الله عليه وسلم في حياتنا، قال تعالى: " قُلْ

﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾"[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: "كل ابن آدم يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى".

فهل حياتك أخي المسلم على ترتيب حياة النبي وعلى ترتيب حياة الصحابة، هل فكرك كفكر النبي والصحابة، هل سلوكك مثلهم، هل بيتك مثل بيوتهم، هل زوجتك مثل زوجاتهم، هل أولادك مثل أولادهم، هل بناتك مثل بناتهم، هل أكلك وشربك على طريقتهم، هل لباسك مثل لباسهم، هل عواطفك مثل عواطفهم؟.

كان الأعرابي يدخل على المسجد والرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من حوله، فيقول: أيكم محمد رسول الله، كلهم يشبهونه في ملبسهم وفي أشكالهم وفي سلوكهم وفي أحوالهم، يقتدون بالهادي الأمين لا يفارقونه في جميع أحوالهم، فهذا عمر يقول للحجر الأسود: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك، وهذا عبدالله بن عمر يؤخذ خطام ناقته ويتأرجح في مشيتها يميناً وشمالاً، وعندما سألوه لماذا تفعل هكذا؟ يقول: لعل خف ناقتي يوافق خف ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يحبونه إلى هذا الحد وأكثر، يفدونه بأرواحهم وأبنائهم وبكل ما يملكون، هذا أبو بكر الصديق ينفق على الرسول من ماله الخاص أربعين ألف دينار، وهذا علي ينام فراشه معرضاً نفسه للقتل حباً للرسول، وهذا عمر يقول: والله يا رسول الله إنك لأحب عندي من مالي وولدي وأهلي ومن كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي، فيقول الرسول: للآن يا عمر حتى أكونّ أحب إليك من نفسك التي بين جنبيك؟، فيقول: والله يارسول الله إنك أحب عندي من نفسي التي بين جنبي، فيقول: الآن يا عمر، فلو عبدنا الله على جميع الطرق

---

[1] آل عمران، آية ٣١.

لا يقبل منا حتى نعبد الله على طريق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى منهاج النبوة وطريق النبوة لا نحيد عنها قيد شبر حتى نكون من الفالحين والناجحين يوم العرض يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

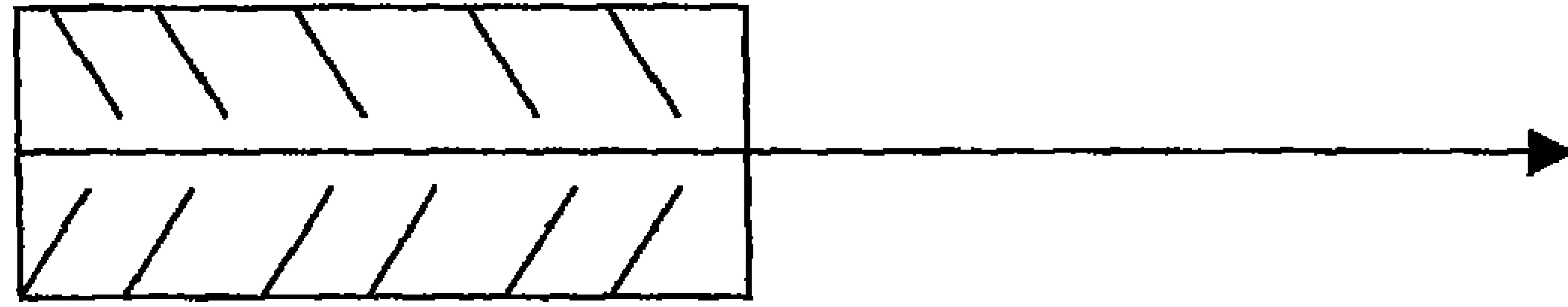
وهذا عبدالله بن عمر رضي الله عنه يدخل المسجد بالرجل اليسرى مخطئاً فيسقط مغشياً عليه، لأنه خالف سنة من سنن المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم.

هكذا كانوا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الحق كذلك هل تراعي هذه السنن هل تخرج من البيت وتقدم القدم اليمنى وتدعو الدعاء المأثور عن الرسول: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هل ننتعل أحذيتنا مقدمين اليمين وعندما نخلع نبدأ بالقدم اليسرى، هل نلبس الثياب مقدمين اليد اليمنى في كم القميص، أو الثوب وتدعو الدعاء المأثور وخاصة إذا كان هذا الثوب جديد، هل تدخل المسجد باليمنى وتخرج منه باليسار، وتدعو الدعاء المأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام، هل تدخل السوق باليسار وتدعو الدعاء المأثور عن الرسول، هل تحرص على تطبيق سنن رسولنا الكريم جميعها وتدعو الناس لتطبيقها ونعلمها أبناءنا، ومن هم تحت رعايتنا، هل نفعل ذلك؟ قد تبدو هذه الأعمال بسيطة، وهي كذلك، ولكن إذا حرصنا على تطبيقها ففيها الخير الكبير في حياة الأمة وحياة الأفراد، فالرسول الأعظم هو قائدنا وهو معلمنا وهو الهادي وهو النور الذي يجب علينا أتباعه إتباعاً لا عوج فيه إتباع بالصورة والسيرة والسريرة، فهو بمثابة القائد للأعمى نرى بنوره ونسمع بسمعه ونبصر ببصره ونمشي على أثره وعلى خطاه " وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ "[(١)]، إذا أردت أن تمشي بحقل ألغام مزروع بشكل عشوائي هل تستطيع أن تفعل ذلك إلا بواخز كي تتقي هذه الألغام أن تنفجر تحت

(١) النور، آية ٥٤.

قدميك، فهذه السنة بمثابة الواخز الذي يعتمد عليه في هذه الحياة ويستخدمها حتى لا يقع بالخطأ والحرام، ويبتعد عن الشبهات، أنظروا إلى هديه عليه الصلاة والسلام حول ذلك، يقول عليه الصلاة والسلام بالحديث: "الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع بالحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيها، ألا وإن لك ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وان في الجسد مضغة إذا صلح صلُح الجسد كله وإذا فسُدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".

وانظروا إلى هديه عليه السلام في الحث على الزهد والتقلل من الدنيا، فيقول: "وما مثلي ومثل الدنيا إلا كمسافر استظل تحت شجرة، ثم تركها ومضى"، ويقول: "إن هذه الدنيا حلوة نضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تفعلون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء"، أو كما قال عليه الصلاة والسلام حول ذلك أو قريب من ذلك أو مثل ذلك والله أعلم، ومرة رسم للصحابة على الأرض مستطيلاً ووضع داخل المستطيل خط مستقيم خارج من المستطيل ورسم خطوط جانبية داخل المستطيل، فهذا الخط الخارج من المستطيل يمثل



الأمل عند هذا الإنسان، والخط الذي يغلق المستطيل هو النهاية المحتومة لهذا الإنسان (الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات) وهذه الخطوط الجانبية تمثل الأقدار المحيطة بالإنسان من كل جانب إن نجا منها لا يمكن أن ينجا من النهاية المحتومة له ولكل مخلوق على وجه الأرض وفي الكون إلا من شاء الله، وعبر ذلك الفيلسوف الهندبيديا الذي ترجم له عبدالله بن المقفع، فقال حول ذلك: إن مثل هذا الإنسان ومثل الدنيا كرجل ألجأه الخوف إلى بئر فعندما أراد أن

يقذف نفسه بالبئر تعلق بغصن شجرة خارجه من البئر فنظر حول قدميه فوجد أفاعي كثيرة تحيط بقدميه من جميع الجوانب ونظر أسفل البئر فوجد ثعبان كبير فاتح فاه حيث ينتظر ونضر إلى أعلى الغصن الذي تعلق به فإذا بجرذين أحدهما أسود والآخر أبيض يقرضان هذا الجذع ونظر على مستوى نظره في هذا البئر فإذا قرصٍ من عسلٍ فمد اصبعه وأخذ منه على رأس إصبعه وذاقه فإذا هو طيب وحلو، أما هذا الجذع فيمثل عمر الإنسان يعملان النهار والليل به حتى ينهيانه، ومثل هذه الأفاعي الكثيرة المحيطة بقدميه كمثل الأقدار المحيطة بهذا الإنسان من جميع الجوانب، إن نجا من قدر لا ينجو من الآخر، وأما الأفعى الكبيرة أو الثعبان الذي في اسفل البئر فهذا يمثل النهاية المحتومة لكل مخلوق إلا من شاء الله إن نجا من الأقدار المحيطة به لا ينجو من النهاية المحتومة، وأما هذا العسل الذي في هذا البئر فهو يمثل هذه الدنيا التي ينشغل هذا الإنسان بها ناسياً أو متناسياً النهاية المحتومة له والأقدار المحيطة به والليل والنهار الذان يعملان بهذا العمر المحدود "إن هذه الدنيا حلوة نضرة وأن الله مستخلفكم بها فناضر ماذا تفعلون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإياك إياك أخي المسلم بطول الأمل في هذه الدنيا والركون لها وتذكر دائماً هادم اللذات ومفرق الأحباب ومشتت الجماعات، اذكر دائماً هذا الموت وإياك إياك أن تغفل عن سنن الهادي الأمين، تمسك بها تكن سلاحك الذي يوصلك إلى بر الأمان السبب الذي ينجيك غداً من أهوال يوم القيامة ينجيك غداً من عذاب جهنم، وتنال رضى الخالق جل جلاله.

أما الصفة الثالثة التي يتدرب عليها الداعية ويدعوا الناس لها يطبقها على نفسه ويدعو الناس لتطبيقها ألا وهي الصلاة ذات الخشوع والخضوع الصلاة الصحيحة، والمقصد من الصلاة هو الاستفادة من خزائن الله بهذه الصلاة، يقول الحق جل جلاله:"قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ

خَٰشِعُونَ ۝"[1]، ويقول الرسول الأكرم: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهم أن الصلاة فرضت على الأمة في السماء عندما عُرج بالرسول الكريم إلى السموات وأول ما فُرضت كانت خمسين صلاة في اليوم والليلة، وما زال رسولنا الكريم يتردد بين موسى عليه السلام والحق جل جلاله طالباً راجياً التخفيف عن هذه الأمة حتى خفضت إلى خمس صلوات بأجر خمسين صلاة، فهذه الصلاة خير موضوع أخي المسلم، فإن شئت فأكثر وإن شئت فأقلل وهي عمود الدين، وهي التي تميز المؤمن عن غيره من المشركين والكفار، قال الرسول ما بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة، وعندما خدم ربيعة الرسول اثنا عشر عاماً قال له يوماً سل يا ربيعة، فقال يا رسول الله مرافقتك في الجنة، فقال الرسول أو غير ذاك يا ربيعة، قال: هو ذاك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له: إذاً اعني على نفسك بكثرة السجود، وهي عمود الدين فمن أقامها أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، وعندما سُئل الرسول أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: الصلاة على وقتها، فقالوا: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، فقالوا: ثم أي؟ قال: جهاد في سبيل الله، وورد في مُسند الإمام أحمد خمس صلوات كتبهن الله على العبد من أداهن بحقهن كان عهدٌ على الله أن يدخله الجنة ومن لم يؤدهن بحقهن لم يكن عهدٌ على الله أن يدخله الجنة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، والصلاة هي الصلة بين العبد وربه قبل فرض الصلاة كانوا الصحابة يأتون إلى الرسول فيقولون له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلب لنا استنصر لنا اسأل لنا، فعندما فرضت الصلاة قالوا الآن قُضيت حوائجنا فكان أحدهم إذا ألمت به حاجه يتوضأ ويصلي ركعتين ويطلب ما يشاء من الله مباشرة حتى يطلب الملح أو شسع نعله كل شيء يطلبونه من الله جل جلاله بدون واسطة، وعندما اعترض أحد اللصوص أحد

---

(1) - المؤمنون، آية ١-٢.

الصالحين في الطريق فقال له اللص نفسك ومالك فقال له: خذ مالي ودعني فقال له : نفسك ومالك، قال له: إذاً دعني أصلي ركعتين، فقال له: صلي ما بدا لك، فصلى ركعتين ودعا بهذا الدعاء "اللهم يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد اسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء اغثني يا مغيث"، وعندما رفع رأسه من سجوده فإذا هذا اللص مضرج بدمه، فقال: من أنت الذي أنقذني الله بك، فقال له: أنا ملك من السماء الرابعة، والله كان لدعائك هذا صوت كصوت الرعد زلزل السموات فاستأذنت ربي بإنقاذك، فأذن لي، فحمد الله وأثنى عليه، هذه هي الصلاة التي تكون عوناً لنا في قضاء حوائجنا، فأي صلاة يقبلها الخالق سبحانه وتعالى، إنها الصلاة ذات الخشوع والخضوع، الصلاة الصادقة الصلاة الصحيحة الصلاة التي تكون معراجاً يسمو بها هذا المسلم إلى ملكوت السموات يشارف الحق في جلاله والحقيقة في جلالها، هذه الصلاة وليست الصلاة التي تكون كنقر الديكة لا يعي المصلي أصلّى أربعاً أم ثلاثاً أم خمساً، يقول الرسول: "ليس للمرء من صلاته إلا ما وعى منها"، وقال العلماء: الناس على خمسة أضرب نسبة إلى الصلاة، الضرب الأول الذين لا يصلون فهؤلاء مجرمو بحق أنفسهم وهم ظلمة والضرب الثاني الذي يصلي ولكن من تكبيرة الإحرام إلى التسليم لا يعي ما يقول وما يدري ما صلى ويكون كل فكره خارج أعمال الصلاة، فهذا معاقب على صلاته، والضرب الثالث الذي يصلي مرة يكون في أعمال الصلاة ومرة خارج الصلاة يجاهد نفسه فهذا معفواً عنه إن شاء الله، والضرب الرابع الذي من تكبيرة الإحرام حتى التسليم يكون في الصلاة يتدبر ما يقرأ ويعي ما يفعل فهذا مأجور على صلاته، والضرب الخامس هم الذين تكون لهم الصلاة قرة عين كالأنبياء والرسل والصالحين، وهكذا كانت صلاة نبينا وصلاة الصحابة.

أنس بن مالك عندما جف بستانه توضأ وصلى ركعتين وطلب من الله المطر، فترل المطر في فصل الصيف، ولم يتجاوز البستان قيد شبر كان مطراً خاصاً لبستان أنس بن مالك رضي الله عنه، هذه هي الصلاة وليس كصلاة كثير ممن يصلون هذه الأيام إلا من رحم الله سبحانه وتعالى.

دخل عاصم بن يوسف على حاتم الأصم يوماً وهو يتكلم أمام الناس، فقال له: يا حاتم هل تعرف كيف تصلي حتى تتكلم أمام الناس، وعاصم وحاتم من التابعين من الطبقة الثانية، فقال له: نعم، فقال له عاصم بن يوسف: فكيف تصلي يا حاتم؟ فقال: آخذ بالأمر، أي أنه يتوضأ ويحسن الوضوء ثم أمشي بالسكينة، يعني إلى المسجد يمشي بالسكينة والطمأنينة، ثم أدخل المسجد بالنية، نيته الصلاة الخالصه لوجه الله، ثم أكبر بالعظمة، ثم أقرأ بالتدبر والترتل، والتفكر، ثم أركع بالتواضع ثم أسجد بالخضوع ثم أسلمها لله وأخشى أن لا تُقبل مني، فقال: والله يا حاتم إنك تعرف كيف تصلي، فتكلم.

هذه هي الصلاة ذات الخشوع والخضوع التي يؤجر عليها المصلي ويستفيد بها من خزائن الله جل جلاله، فإياك إياك أخي المسلم أن تضيع صلاتك هكذا دون أن تستفيد بها من خزائن الله وتؤجر عليها أن شاء الله سبحانه وتعالى، وأحرص أخي المسلم أن تكون صلاتك دائماً من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء جماعة في المسجد، فصلاة الجماعة سبب في قبول الصلاة، وخاصة صلاة الفجر والعشاء وصلاة العصر، وكل الصلوات أحرص أن تكون في المسجد جماعة حتى تنال الأجر الأكبر وتكون سبب في دخولك الجنة وإنقاذك من نار جهنم، وهكذا كانت وصية رسولنا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.

والصفة الثالثة التي يتدرب عليها الداعية ويدعو الناس للتدرب عليها والحصول عليها هذه الصفة وهي سلاح الداعية ألا وهي العلم مع الذكر،

والعلم بالنسبة لعلوم الدين علمان علم الفضائل وعلم المسائل، فعلم المسائل عالم واحد يكفي لعدد كثير من الناس كالطبيب يكفي لعدد كبير من الناس وليس شرطاً أن يكون كل الناس عندهم هذا العلم كما أنه ليس شرطاً أن يكون كل الناس أطباء حتى يتعالجوا، أما علم الفضائل، فعلى الداعية أن يلم بهذا العلم حتى يرغب الناس بالعمل ويبين لهم فضل العلم والعبادة وما إلى غير ذلك، حتى يقبل الناس على هذه العبادات والأعمال برغبة وبحب وشوق وشغف، أما علم المسائل فيكفي أن يكون عالماً واحداً للبلد، فهناك مثلاً مفتي المملكة واحد فقط وهناك مثلاً مفتي منطقة الشمال واحد فقط، ومفتي منطقة الوسط واحد فقط، والجنوب كذلك واحد فقط، وهكذا، ولكن إن كان هذا الداعية عنده علم الفضائل والمسائل، فهذا يكون أفضل وأحسن ولكن لا يقعد عن الدعوة حتى يحوز كل العلوم فتصاب الدعوة إلى الله كما أسلفت سابقاً هو أن تحفظ آية من كتاب الله "بلغوا عني ولو آية"، وفضل العلم كبير حيث يقول الحق جل جلاله: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"[1].

ويقول أيضاً: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"[2]، ويقول الرسول الكريم: "من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة"، والمقصد من العلم هو علم الحال على مدار ال ٢٤ ساعة في اليوم، والليل ما هو الذي يُطلب مني في كل وقت وفي كل حين، وطلب العلم أخي المسلم فرض على كل مسلم ومسلمة، العلم الشرعي الحد الأدنى منه الذي لا تصلح العبادة إلا به، وليس العلوم الأخرى مثل علوم الفقه والحديث والتفسير أو علوم الدنيا، فهذه العلوم فرض كفاية إن قام بها بعض الأشخاص سقطت عن الآخرين، ولكن هذا لا يعني أن لا تتعلم ولا تحوز الكثير من العلم، فإن استطعت أخي

(١) الزمر، آية ٩.

(٢) فاطر، آية ٢٨.

المسلم أن تكون عالماً بكل شيء فهذا أفضل وأحسن ولكن حسب الأولويات، فالمبادرة إلى الدعوة إلى دين الله أولى من القعود لطلب العلم وإن سارت الدعوة جنباً إلى جنب مع طلب العلوم الشرعية والدنيوية التي تحترم هذا الدين، وتقوي من دعائمه وركائزه، فهذا هو الأفضل والأكمل، وفضل العلم كثير وكثير، يقول الرسول إن فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم, وفضل العالم على العابد كفضل البدر على سائر الكواكب، ولقد بين الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام أن تعلم باب من العلم ربما لا يستغرق تعلمه أكثر من عشرة دقائق كباب الوضوء مثلاً خير وأفضل من صلاة مئة ركعة من النوافل، وهكذا فكم قيمة العلم عظيمة حتى أنه ورد في الأثر أنه يُقال للعابد ادخل الجنة، ويُقال للعالم انتظر حتى تشفع لسبعين من أقربائك كلهم وجبت لهم النار، وجاء في الأثر أن رجل من بني إسرائيل كان قد أسرف على نفسه، فقتل تسعة وتسعين شخصاً وأراد أن يتوب، فدُلّ على عابد، فسأله: هل لي من توبة؟ قال: وماذا فعلت؟ قال: قتلت تسعة وتسعين شخصاً، فقال له؟ لا أخرج حتى لا يترل بي بلاء، وأنت عندي وسخط من الله ، فقتله وأوفاهم المئة، فدُلّ مرة أخرى على عالم، فقال المسرف على نفسه بالقتل: هل لي من توبة؟ فقال: وماذا فعلت؟ فقال: قتلت مئة نفس، فقال العالم: ومن يحول بينك وبين التوبة، أذهب إلى البلد الفلاني أو القرية الفلانية فيها ناس صالحون يعبدون الله فاعبد الله معهم، أولاً أراد هذا العالم أن يبين لهذا الرجل أنه لا يحول بينه وبين التوبة مهما أسرف على نفسه، إلا خروج الشمس من المغرب والغرغرة، وثانياً أراد أن يبين له أن يغير هذه البيئة التي تساعد على ارتكاب الجرائم والمعاصي إلى بيئة تساعده على فعل الخيرات وعبادة الله سبحانه وتعالى، -وهل هناك أفضل من بيئة المساجد بيوت الله أخي المسلم الداعية إلى الله-، فذهب الرجل إلى حيث طلب منه العالم، وفي الطريق مات الرجل، فاختصمت به ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فبعث الله ملكاً يحكم بينهم، فقال لهم قيسوا أية اقرب إلى البلد الذي خرج منه،

أو إلى البلد الذي هو ذاهب إليه، فإن كان إلى البلد الذي ذاهب إليه تأخذه ملائكة الرحمة، وإن كان أقرب إلى البلد الذي خرج منه تأخذه ملائكة العذاب، فوجدوا أنه أقرب إلى البلد الذي هو ذاهب إليه بشبر، وفي رواية أنه ناء بصدره إلى البلد الذي هو ذاهب إليه، وفي رواية أنه أمر الله سبحانه وتعالى إلى هذه أن اقتربي والى هذه أن ابتعدي، فأخذته ملائكة الرحمة، وهو الذي أسرف على نفسه، وكان ذلك بسبب هذا العالم الذي لم يقنّط الناس من رحمة الله ومن التوبة "﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ"[(1)].

من هنا نبرز أهمية العلم والعلماء، وكم قيمة هذا العالم عند الله جلا جلاله، وكم قيمة العلم أيضاً، وكذلك الذكر، فالعلم أن لم يصحبه الذكر يولد في قلب الإنسان الكبر والعياذ بالله.

الصفة الرابعة:

حـب وإكـرام المـسلمين والقـصد من هذه الصفه إحياء الأخلاق والمعاشرات والمعاملات الإسلامية.

إن الـصله بين أفراد المجتمع الإسلامي والولاء عند المسلم لله والرسول وللمؤمـنين وهي عقيدة راسخة ومبدأ ثابت لا يوالي على حزب ولا تجمع ولا مصلحة ولا غاية ولا طريقة تخالف ما نص عليه جلّ شأنه في قوله "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟"[(2)].

ولا يحـتاج المسلمون إلى عقد يُكتب أو وثيقة تختم أو منهج يقرر فيه هـذا المـبدأ غير الكتاب والسنه. وليس لمسلم أن يوالي على طائفة أو تجمع أو

(1) الزمر، آية ٥٣.

(2) المائدة، آية ٥٥.

يعـــادي عليها أو يرى أنّ الحق ما جاء عن طائفته والباطل في غيرها، فإن علاقة المـــسلمين بعـــضهم بـــبعض في الحياة الدنيا لم يدعها الشارع هملاً ومسرحاً للمذهبية والحزبية تقطع ما أمر الله به أن يوصل.

فالـــصلة الوثيقة إنما تعني الألتزام دائماً بالمنهج الإسلامي بما شرعه الله وتجـــسم قدوة حسنه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته فهو المقياس وليس الألتزام بالأشخاص أو الجماعات أو المذاهب أول الفرق أو الحكومات. إن الخلـــل والعلـــل تتسلل إلى الإسلام من الرجوع عن هذا المقياس، أو محاولة اختلاسه من يد المسلم ومن ثم تكون العصمة الكاذبة التي تُخلع عن الأشخاص والمـــسوغات المضحكة المبكية التي توضع لتصرفاتهم وأخطائهم التي تتناقض مع مـــا يحـــبه الله ويرضاه. ومن هنا تبدأ مرحلة السقوط حيث تبدأ عملية تخديم الأهـــداف الإسلامية والقيم الربانية لاخدمتُها حنيئذ تبدأ الأحكام تفصّل على الأشـــخاص والحبل تؤصلُ حتى تصبح لها مصيغات. ولا ينبغي للعبد المحب لله الـــذي يحُـــب إخوانه في الله أن يظنّ أنّ الدّعوة إلى الإلتزام بالمنهج وعدم التزام الأشخاص والشارات واليافطات؛ أرتداد إلى الفرقة وبعثرة للجهود.

إن هـــذا الأصل الذي ترتبط به علاقات المسلمين بعضهم ببعض. ليس من الأمور الأختيارية إنما تصحيح لمسيرة المجتمع المسلم وإلغاء للإقطعات البشرية في حياة الناس والتزام بالإسلام الذي أرتضاه الله ديناً وبينّه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم بيان.

والحاصـــل أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطـــة (لا إله إلا الله) فهي الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضاً فلا يجوز البته النداء برابطة غيرها. هذا كُلّهُ يعد من محاسن الإسلام، أنه نظم الحياة الأجتماعية تنظيماً دقيقاً وربط أهل الأيمـــان بـــروابط وثـــيقة من الوُدّ والإخاء وأوجب عليهم من حقوق التعاون والولاء ما يكفل وحدهم الأجتماعية ويعوق كل روابط التنظيم الوصفي بحيث لا يحتاج بعد إلى تنظيم آخر داخل التنظيم الإسلامي.

وقــد أشــار الله تعــالى إلى هذه الروابط الوثيقة بقوله:"وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ"[1] وبقوله تعالى: "إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ"[2] وقد نوّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العلاقة الإيمانية وفخم شأنها وبيّن مــا يتــرتب عليها من الحقوق والأداب؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((المــسلمون تتكافئ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويُردّ عليهم أقصاهم وهـم يــدٌ على من سواهم)) وقال صلى الله عليه وسلم ((ترى المؤمنين في تراحمهم وتــوادهم وتعــاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجــسد بالــسهر والحُمّــى)) وقال: ((المؤمنين للمؤمن كالبنيان يشدُ بعضهم بعضاً)) وهذا غيض من فيض وفردٌ من عدْ أرشد إليه رسول الله صلى الله عليه وســلم من حقوق المسلمين ومما أوجبْ عليهم الإسلام من الإرتباط والتعارف فيما بينهم، هذا الحب والولاء والمودة والتراحم هو أساس أرتباط المؤمنين فيما بيــنهم والقيام بهذا الولاء والألتزام به هو معنى لزوم الجماعة والتخلي عن هذا الــولاء يعني الخروج عن دائرة التنظيم الإسلامي والرجوع إلى التفرق الجاهلي الــذي كــان يقوم على أساس العنصرية والقبيلة واللغة الوطن وغيرها ولذلك صــرّح رســول الله صلى الله عليه وسلم بأن الخروج عن الجماعة خروج عن الإسلام والموت عليه موت على الجاهلية.

وأذا سادت المحبه والأكرام والمعاشرة الطيبة في المجتمع الإسلامي أصبح مجتمعاً متماسك مترابط تسوده المحبه والألفة والمودة. قال تعالى: "وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ"[3] ويقــول الرسول الأكرم عليه الصلاة والــسلام ((لا تدخلــون الجــنة حتى تحابوا الا أدلكم على شيء إذا فعلتموه

[1] سورة التوبة، آية ٧١.

[2] سورة الحجرات، آية ١٠.

[3] سورة الحشر، آية ٩.

تحابيـــتهم افشوا السلام بينكم)) وهنا ينبثق على صفة الأكرام الإيثار بداية إداء الحقوق إلى أصحابها ومن ثم الأكرام والمحبة والأخاء كما كان المجتمع الإسلامي الأول في عـــصر النـــبوة مجـــتمع المهاجرين والأنصار المجتمع الذي نال شهادة الرضـــوان من الله تعالى احياءاً وقبل الموت لا بل أكثر من ذلك الا وهو الإيثار وقـــصة شـــهداء اليرموك الثلاثة تجسد هذه الصفة خير تجسيد إذ وهم يجودون بإنفاســـهم الأخـــيرة في ساحة المعركة فهذا عكرمة يؤثر على نفسه شرب الماء للحـــارث وهذا الحارث يؤثر على نفسه لسهيل بن عمر وسهيل يؤثر عكرمة وهكذا جادوا بإنفاسهم الأخيرة و لم يشرب أحد منهم.

وهـــذه قمـــة الإيـــثار وقمة نكران الذات والتحرر من عبودية الأنا ونرجسية الأنا.

الصفة الخامسة:

الأخـــلاص لله في جميع الأعمال والأقوال والصفات قال تعالى: "وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ"[1] وقال عليه الصلاة والسلام ((أن الله لا ينظر إلى اجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) ان الله جـــلّ جلاله لا يقبل عمل الا إذا كان هذا العمل أو القول على طريق نبينا محمـــد صلى الله عليه وسلم ووفق هديه ومنهجه هذا شرط والشرط الثاني أن يكـــون خالصاً لوجه الله، لا يبتغى صاحبه به سمعه ولا رياء والله جل جلاله لا يقبل عمل لا يكون خالصاً لوجه فحتى يكون العمل مقبولاً عند الله لا بد له أن يكـــون مقـــيداً بالشرطين السابقين. وحديث أول ما تسعّر النار يوم القيامة في عالم وفي شهيد وفي كريم يقال للعالم لم تعلمت العلم فيقول تعلمت لله وفي الله فـــيقال كـــذبت تعلمت العلم ليقال أنه عالم وقد قيل وهكذا للشهيد يقال لم

---

[1] سورة البينة، آية ٥.

قاتلت فيقول قاتلت لله ومن أجل اعلاء كلمة الله فيقال كذبت قاتلت ليقال أنه شجاع وقد قيل وهكذا للمتصدق مثل ذلك وقصة قزمان خير شاهد على ذلك إذ قاتـل وأستبسل في المعركة حتى جرح وقد قتل كثير من الكفار والصحابه يقولون هنيئاً لقزمان الشهادة والرسول يقول هو في النار لأن قتاله كان حميّة لا من أجل الله وعندما اشتد عليه جرحه قتل نفسه.

الصفة السادسة:

الدعـوة إلى الله وسـيتم التركيز على هذه الصفة بشكل أكبر ولو أن الـصفات السابقة لا تقل أهمية عن هذه الصفة ولكن بما أن الكتاب سمي بأسم العقيدة القتالية في الدولة الإسلامية تحت مظلة الدعوة إلى الله سنولي هذه الصفة أهمـية أكثـر مـن غيرها. ومقصد هذه الصفه إحياء جهد نبينا وجميع الأنبياء وخاصـة ألو العزم منهم لإحياء الدين كله في العالم كله، ولو نظر الواحد منا معـشر الدعاه حوله فماذا هو واجد من أقسام الناس سيراهم على عدة وجوه أولاً: طوائـف كافـرة أو ملحدة، ثانياً: طوائف مسلمة لكنها متخاذلة تاركة لبعض الفرائض مواقعة لبعض المعاصي.

ثالثاً: طوائف مسلمة قائمة بالفرائض منتهية عن المعاصي لكنها متهاونه بواجب الدعوة إلى الله، رابعاً: الفئة السابقة نفسها لكن بزيادة إقامة الدعوة إلى الله سـبحانه وتعـالى على ضوء فطرية الإسلام وصفاء السنه دونما تحزب أو تمحور.

خامـساً: الجماعات الإسلامية والتنظيمات الدعويّة والأحزاب الدينية وهنا أمر مهم جداً يزيد الأمر وضوحاً وهو أن المسلم في أعماله الشرعية كلها إنمـا يفعلها كوسيلة إلى الغاية العليا وهي العبودية لله وإفراده سبحانه بالعبادة، والدعـوة إلى الله مـن هـذا الباب فهي وسيلة أيضاً لإقامة العبودية في النفس ونـشرها بين الناس وهي في نفسها أيضاً عبادة، والأصل في العبادات التوقف

والـبطلان حتى يقـوم دليل على الأمر كما هو مقرر في محله، فلا مجال هنا للـتجارب الشخـصية ولا للإجتهادات الفكرية بل المجال ابدأ مجال تعبد ليس للأقيسه والأراء فيه موضع فهو شرف في الغاية طهارة في الوسيلة.

فـلا يـسوغ لـنا بحـال أن نلبس الدعوة إلى الله لباس تنظيم أجنبي وأستفراغ الجهد فيه مما يؤول بالهدم والإسقاط لاصول الدعوة وبنيتها الأساسية وتفريق الكلمة.

فالدعـوة تـتكون من وسيلة وغاية؛ حقيقة الدعوة أمر ثابت لا يتغير بـتغير الأزمـان والمكـان والأحوال. والأصل في وسائل نشر الدعوة كذلك التوقيف على منهاج النبوة إذ كل ما أمر الله به عبادة من الأسباب فهو عبادة.

والوسائل للدعوة هي في عصرنا وفيما قبله وبعده لا بد أن تكون هي وسـائل الدعـوة التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ فيها الغاية ولا تخـتلف في عصرنا مثلاً إلا في جوانب منها مرتبطة بأحوالها التوقيفية لكن هذا الـتغير مأسور بمضمار الشرع موزون بمقاييس الكتاب والسنه فمتى أختل شيء منه وجب أبعاده والبراءة منه أما وسيلةٌ محدثة يتعبد بها فلا، اذ أن طريق الدعوة طـريق واضح واحد سار عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من قـبل وسار عليها الدعاة ونسير عليها بتوفيق من الله من بعد إيمان وعمل ومحبه وإخاء دعاهم إلى الإيمان والعمل ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء. فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة وصارت جماعتهم هي الجماعة النموذجية التي لا بد أن تظهـر كلمـتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعاً، وهذه قضية مهمـة جـداُ تشكل تفاصيلها على كثير من الدعاة فالواجب الدقة فيها وعدم الخلط بين معانيها لا أن تكون وسيلة للمصالح والأهواء والأستحسانات والآراء والتجارب والأذواق.

ولا يخفـى علـى مـن فهم كتاب الله ودرس السنه أن الغاية السامية والهـدف الأعلى الذي يعمل المسلم على تحقيقه في نفسه وإيجاده بين الناس هو

عـــبادة الله عز وجل. ولا سبيل إلى تجريد هذه العبادة من كل شائبة تشوبها الا بمعرفة توحيد الله جلّ جلاله المعرفة العلميّة الحقه.

والداعي الذي عرف هذا الطريق سيجد صعوبة كبيرة في تطبيقه لكنه لا يجعله عائقاً في طريقه، إذ هو متمثل أناء الليل وأطراف النهار في دعوته قول نبينا صلى الله عليه وسلم ((أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)) كيف لا وهو سائر على دربه متمثل سيرته سالك نهجه. فالأمثل ثم الأمثل هم الصالحون السائرون في منهاجهم في الدعوة إلى الله ونبذ الشرك بما سواه وينالهم من الأذى والـــبلاء مـــثل ما أصاب أسوقم الأنبياء. ومن أجل هذا ترى كثيراً من الدعاة يحـــيدون عـــن هـــذا المنهج الصعب والطريق الوعر لأن الداعي الذي يسلكه ســـيواجه أمـــه وأبـــاه وأخـــاه وأحبابه وأصدقاءه وسيواجه المجتمع وعدواته وســـخرياته وأذاه يحيدون إلى جوانب من الإسلام لها مكانتها ولا ينكر لها من يؤمن بالله لكن هذه الجوانب ليس فيها تلك الصعوبة والشده والسخرية والأذى خصوصاً في المجتمعات الإسلامية.

فإن سواد الأمة الإسلامية يلتفون حول هذا اللون من الدعاة ويحيطونهم بهالـــه مـــن التبجيل والتكريم لا سخرية ولا أذى اللهم إلاّ إذا تعرضوا وهددوا كراســـي الحكـــام فـــأنهم حنيئذ يقمعوهم بكل شدة كأحزاب سياسية تناوئ الحكـــام وتهدد عروشهم والحكام في هذا الباب لا يحابون قريباً ولا حميماً ولا مـــسلماً ولا كافراً، وعلى كل حال نقول لهؤلاء الدعاة مهما شنشنوا وطنطنوا ومهمـــا رفعوا أصواتهم بإسم الإسلام أربعوا على أنفسكم فإنكم خرجتم عن مـــنهج الله وصراطه المستقيم الذي مرت به مواكب الأنبياء وأتباعهم في الدعوة إلى توحـــيد الله وإخلاص الدين له ومهما نقلتم ورفعتم عقيرتكم بإسم الإسلام فـــإنكم عـــن مـــنهج الأنبياء الذي سنه الله لناكبون ومهما بذلتم من الجهود وجـــسّمتم دعـــوتكم ومنهجكم فإنكم تتشاغلون بالوسائل قبل الغاية وما أقل جدوى الوسيلة إذا أقرت بالغاية وضُخمت على حسابها.

بل يا ويل هؤلاء الدعاة إن أصروا على المضيّ فيما ابتدعوه من مناهج وحاربـوا مـنهج الأنبياء في الدعوة إلى توحيد الله تحت شعارات برّاقة تخلب ألباب البلهاء والجهلاء بمنهج الأنبياء.

ولمـا كـان الإسلام ذا فروع متعددة وأقسام متنوعة كان لا بد من البداءه بالأهم فالأهم بأن يدعوا أولاً إلى إصلاح العقيدة بالأمر بإخلاص العبادة لله والنهي عن الشرك ثم الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الواجبات وترك المحرمات كما هي طريق الرسل جميعاً كما قال تعالى: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ"(1) وقـال تعالى: "وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ"(2) وفي طريقته وسـيرته صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله خير قدوة وأكمل منهج حيث مكث عليه السلام يدعو الناس إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك قبل أن يأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج وقبل أن ينهاهم عن الربا والزنا والسرقة وقتل النفوس بغير حق. فالأصل الأصيل إذاً هو تحقيق العبودية لله عز وجل كما قال سـبحانه "وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(3) ولا يكـون ذلك إلا بمعـرفة توحيد الله جل جلاله علماً وعملاً واقعاً وجهاداً. إن كثيراً من الدعاة الأسـلاميين والجماعـات الإسلامية يقضون أعمارهم ويضيّعون سننهم وهم يلهـثون وراء إقامـة حكم إسلامي أو المطالبة بدولة إسلامية فإذا ما رافقتهم وجدتهم غارقين في المخالفات الشرعية والأحوال الشركية والأفعال البدعية إلا مـن رحم ربي سبحانه ناسين أو متناسين جاهلين أو متجاهلين أن قيام حكم إسلامي في أي بلد لن يجيء عن مثل هذه الطرق وأنه لن يكون إلا بمنهج بطيء

(1) سورة النحل، آية ٣٦.

(2) سورة الأنبياء، آية ٢٥.

(3) سورة الذاريات، آية ٥٦.

طويل المدى يستهدف القاعدة لا القمة ويبدأ من غرس العقيدة من جديد والتربية الإسامية الأخلاقية وأن هذا الطريق الذي يبدو بطيئاً طويلاً جداً هو أقرب الطرق وأسرعها إذ إن الوصول إلى تطبيق النظام الإسلامي والحكم بشريعة الله ليس هدفاً عاجلاً لأنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد نقل المجتمعات ذاتها أو جملة صالحة منها ذات وزن وثقل في مجرى الحياة العامة فهم صحيح للعقيدة الإسلامية ثم للنظام الإسلامي وإلى تربية إسلامية صحيحة على الخلق الإسلامي مهما اقتضى ذلك الزمن الطويل والمراحل البطيئة.

أن تحكيم الشريعة وإقامة الحدود وقيام الدولة الإسلامية وأجتناب المحرمات وفعل الواجبات كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته وهي تابعة له فيكف يُعتنى بالتابع ويهمل الأصل. وإنني أرى أن ما وقع لتلك الجماعات من مخالفة لمنهج الرسل في طريق الدعوة إلى الله إنما نشأ من جهلهم بهذا المنهج الجاهل لا يصلح أن يكون داعية لأن من أهمّ شروط الدعوة العلم كما قال تعالى عن نبيه ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)) فأهم مؤهلات الداعية إلى الله العلم وفاقد الشيء لا يعطيه.

ثم أننا نرى هذه الجماعات المنتسبة إلى الدعوة مختلفة فيما بينها فكل جماعة تخط لنفسها خطة غير خطة الجماعة الأخرى وننتهج غير منهجها. وهذه نتيجة حتمية لمخالفة منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فإن منهج الرسول واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف عليه كما قال تعالى: "**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**"(1). أن التوحيد منطلق الدعوة إلى الله وغايتها فلا دعوة إلى الله بدونه مهما تسمَّت بإسم من اسماء الأسلام وأنتسبت إليه.

---

(1) سورة الانعام، آية ١٥٣.

وذلك أن الرسل جميعاً وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله علــيه وســـلم كانت دعوتهم إلى توحيد الله بدءاً وغايةً ونهايةً فكل رسول قال لقـــومه أول ما قال "يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ"[1] فهذه هي غايـــة المسلم العليا وهدفه السامي الذي يسعى باذلاً عمره وجهده لإيجادها بين الناس وتوطيده بين الخلائق.

والخالـــق الذي هيأ لعبادة ما يحفظوا به مصالح دنياهم هو الذي شرع لهم دين الإسلام وتكفل بحفظه إلى الأبد وغايته بحفظ الدين أشد وأكثر لأنه هو المقـــصود بالـــذات من هذه النشأة الدنيا قال الله عز وجل "وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ"[2].

منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله

يمـــتاز الرسول صلى الله عليه وسلم عن غيره من القادة في كل زمان ومكـــان بميـــزتين مهمتـــين الأولى أنه كان قائداً عصامياً والثانية أن معاركه وغزواته كانت للدفاع عن الدعوة ولحماية حرية نشر الإسلام ولتوطيد أركان السلام لا للعدوان والأغتصاب والأستغلال.

إن غيره من القادة العظام وجدوا أمماً تؤيدهم وقوات جاهزة تساندهم ولكـــن الرســـول صلى الله عليه وسلم لم تكن له أمة تؤيده ولا قوات تسانده فعمـــل علـــى نشر دعوته وتحمل أعنف المشقات والصعاب حتى كون له قوة بالتدريج ذات عقيدة واحدة وهدف واحد هو التوحيد وإعلاء كلمة الله، وعلى ذلك يمكن تقسيم حياة الرسول إلى أربعة أدوار دور الحشد، ودور الدفاع عن

(١) سورة الأعراف، آية ٥٩.

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦.

العقيدة، ودور الهجوم، ودور التكامل، أما دور الحشد فمن بعثته إلى هجرته إلى المدينة المنورة واستقراره هناك وفي هذا الدور اقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على الحرب الكلامية يبشر وينذر ويحاول جاهداً نشر الإسلام وبذلك كون النواة الأولى لقوات المسلمين وحشدهم في المدينة المنورة بالهجرة إليها وعاهد بعض اليهود ليأمن جانبهم عند بدء الصراع أما دور الدفاع عن العقيدة فمن بدء الرسول صلى الله عليه وسلم بإرسال سراياه وقواته للقتال إلى أنسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد غزوة الخندق وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين فاستطاعوا الدفاع عن عقيدهم ضدّ اعدائهم الأقوياء.

أما دور الهجوم فهو من بعد غزوة الخندق إلى بعد غزوة (حنين) وبهذا الدور انتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في بلاد العرب فاستطاعوا سحق كل قوة تعرضت للإسلام. والدور الرابع هو دور التكامل وهو من بعد غزوة (حنين) إلى أن التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور فشملت شبه الجزيرة العربية كلها وأخذت تحاول أن تجد لها متنفساً خارج شبه الجزيرة العربية فكانت غزوة (تبوك) إيذاناً بمولد الأمبراطورية الإسلامية، بهذا التطور المنطقي تدرج هذا القائد العصامي بقواته من الضعف إلى القوة ومن الدفاع إلى الهجوم ومن الهجوم إلى التعّرض وبذلك بزّ كل قائد في كل أدوار التاريخ لأنه أوجد قوة كبيرة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد من لا شيء تلك هي الميزة الأولى للرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام، والميزة الثانية: هي أن معاركه كانت حرب فروسيّة بكل معنى الكلمة الغرض منها حماية حرية نشر الدعوة والإسلام وتوطيد أركان السلام فلم ينقض عهداً و لم يمثّل بعدو و لم يقتل ضعيفاً و لم يقاتل غير المحاربين. لذلك فإن اطلاق تعبير (الفتح الإسلامي على عهد الرسول) ليس صحيحاً وإنما الصحيح أن يقال (أنتشار الإسلام في عهد الرسول) لأنه لم يفتح بلداً لغاية الفتح بل لغرض حماية حرية نشر الإسلام

فيه وتوطيد أركان السلام في أرجائه. ولا عجب في ذلك فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قائداً ورسولاً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ولا يوجد مبدأ سامياً يجيز الموافقة على إقرار السلام فوراً دون قيد أو شرط بمجرد اقدام العدو على طلب إقراره مهما تكن الظروف والأحوال ولكن السلام في الإسلام ماده وروح فهو لخير البشر على اختلاف أقطارهم وألوانهم ومللهم ونحلهم بينما السلام عند أدعياء السلام ماده لذلك فالسلام في غير الإسلام عرقلة لتسليح غيرهم وزيادة لتسليحهم من جهة وقتل وتشريد وتعذيب وقتل باعدائهم من جهة أخرى بل أن السلام في الإسلام نور يضئ للناس كافة والسلام عند أدعيا السلام لا يراد منه إلا نار تحرق وتدمر غيرهم من الناس "يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"[1] ومتى انتشرت فكرة السلام الإسلامي في العالم ساده السلام الحقيقي وانتشرت في ربوعه السعادة والأطمئنان وإلا فسيبقى في حرب باردة تارة وفي حرب دامية تارة أخرى وستبقى البشرية في هلع دائم من ويلات الفتن والحروب.

لقد كانت خسائر الشعوب في الحرب العالمية الأولى أقل من عشرة ملايين نسمة فضلاً عن الخراب والدمار الذي لحق بالممتلكات ولكن خسائر الشعوب في الحرب العالمية الثانية بلغت أكثر من ستين مليوناً من القتلى المدنيين والعسكرين كما قتل سبعة عشر مليون طفل في الغارات الجوية ودُمرت أكثر من ثلاثين مليون من الأبنية وأثنان وعشرون مليون من المساكن. فكم ستكون خسائر الإنسانية في حرب عالمية ثالثة وقد أصبحت الأسلحة التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية قديمة جداً وكأنها لعب أطفال بالنسبة للإسلحة النووية والصواريخ عابرة القارات ونحوهما مما سيستخدم إذا نشبت حرب جديدة والحرب الأمريكية ضد العراق خير مثال على ذلك وخير دليل.

---

(١) البقرة، آية ٩.

نعــود إلى مــنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله جل جلاله فقد بدأت حياته العملية بالدعوة سراً منذ نزول الوحي عليه يدعو الناس إلى توحــيد الله وتــزكية نفوســـهم وتطهيرها ويدعوهم إلى توحيد الصفوف ونكران مصلحة الفرد في حدود مصلحة الجماعة.

اســتمرت دعــوته ســراً ثلاث سنين حتى نزول قوله تعالى "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ"[1] فــأعلن دعــوته. وأبتدأت قريش تظهر خصومتها لدعوته السمحة وأخذت هذه الخصومة تشتد وتعنف فاستباحوا في الحرم الآمن دماء وأموال المسلمين وحرضوا القبائل على الدعوة وصاحبها وقاطعوا المسلمين ومــن يعطــف علــيهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعون منهم شيئاً ولا يزوجوهم أو يتــزوجون منهم. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم صمد صمود الرواسي لا يلــين ولا يتــردد ولا يخشى أحد إلا الله وتحمل التكذيب والتعذيب والأذى والجوع والحرمان مصراً إصراراً عنيداً على تحقيق أهدافه كاملة.

كان يذهب إلى الحجيج في مجامعهم ويطلب منهم النصرة على مسمع ومــرأى من جبابرة قريش وأحلافهم. وتكللت أحدى محاولاته بالنجاح وذلك بأنبــثاق بيعة العقبة الأولى ثم تلتها بيعة العقبة الثانية فكانت بيعة العقبة الأولى والثانــية أول انتــصار عسكري له خارج مكة المكرمة وأدى ذلك إلى انتشار الإســلام في المديــنة المنورة وأصبح له فيها جنود يعتمد عليهم في الملمات، إن حياته في مكة المكرمة كانت مكرّسة للتوحيد من أجل الجهاد.

وأمــر النبي صلى الله عليه وسلم مسلمي مكة ومن حولها بالهجرة إلى المديــنة المنورة للإنظمام إلى أخوانهم هناك فهاجر المسلمين تباعاً تاركين اموالهم وأهلــيهم فكانت هجرة القائد الرسول افضل الصلاة والسلام عليه إلى المدينة المنورة معناها اجتماع القائد بجنوده في قاعدتهم الأمنة.

---

(1) الشعراء، آية ٢١٤.

وفي دار الهجرة انجز الرسول القائد حشد قواته، بنى المسجد وهو النكتة الأولى للإسلام وآخى بين المهاجرين والأنصار حتى يتعاونوا على أسباب العيش ولـيكونوا جـبهة واحدة لتحقيق هدف واحد وعقد المعاهدات بين المسلمين وخصومهم في المدينة المنورة ليطمئن إلى سلامة جبهته الداخلية فلما نزلت أول أيـة من أيات الجهاد "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ"[1]. ونشب القـتال بـين المسلمين وبين قريش بعد إنجاز دور الحشد فبدأ دور الدفاع عن العقيدة وهو من إرسال السرايا الأولى للقتال إلى انسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد غزوة الخندق وفي هذا الدور أزداد عدد المسلمين فصمدوا دفاعاً عن عقيدتهم ضد اعدائهم الأقوياء. وبعد غزوة الخندق بدأ دور الهجوم وانتهى هذا الـدور بعـد غزوة حنين وبهذا الدور انتشر المسلمون في ارجاء الجزيرة العربية كلها وأصبحوا قوة ذات مكانة وكيّان. وكان الدور الأخير هو دوره التكامل وهـو من بعد غزوة حنين إلى أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلـى فتكاملت قوات المسلمين بهذا الدور واستطاعت إن توحد شبه الجزيرة العربية كلها فكانت غزوة تبوك نهاية جهاد النبي صلى الله عليه وسلم في توحيد شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام. وكانت حياة خلفائه الراشدين رضى الله عـنهم من بعده تطبيقاً عملياً لإهداف النبي صلى الله عليه وسلم التي نذر حياته الكريمة جهاداً من أجل التوحيد وتوحيد من أجل الجهاد، فكانت حروب الردة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه حروباً لإعادة وحدة شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام وحين عادة وحدة العرب بعد انتصار المسلمين على المرتدين أصبحوا قوة هائلة وجدت لها متنفساً في الفتح فخفقت رايات العرب المسلمين مـن الـصين شـرقاً إلى حدود سيبيريا شمالاً إلى فرنسا غرباً إلى المحيط الهادي

---

(1) الحج،الآيات ٣٩-٤٠.

جـنوباً، وكان من فضل الإسلام على العرب أنه وحد صفوفهم وجمع كلمتهم ووجههم للفتح فكان الإسلام بحق عقيدة منشئة بناءه ذاد عنها حماة قادرون هم العـرب المـوحدون الذين أصبحوا بفضل وحدتهم وتوحيدهم قوة جبارة ولن يعـيدوا سيرتهم الأولى بغير الوحدة والتوحيد، واليوم فأن الوحدة العربية هدف ضـمني يـستمد مقوماته من وحدة اللغة التي هي قوام الثقافة والفكر ووحدة الـتاريخ التي تصنع الوجدان والفخر ووحدة الجهاد الشعبي الذي يقرر ويحدد المـصير ووحـدة القيم الروحانية النابعة من رسالات السماء فلمصلحة من أن تبقى السدود والقيود بين البلاد العربية لمصلحة الشعب العربي وهو شعب واحد في تفرقة الوهن وفي أتحاده القوة أم لمصحلة المسلمين في كل مكان، والعرب إذا اتحـدوا يعـيدون لهـم سابق عزهم ومجدهم أم لمصلحة الحضارة العالمية وهذه الحضارة تحقق كسباً عظيماً في رجوع الحضارة العربية إلى سابق عزها أن حياة الرسـول صلى الله عليه وسلم رسول التوحيد والجهاد هي أسوة حسنة للعرب والمسلمين في كل مكان وزمان.

ان الـنبي العـربي صلوات الله عليه وتسليمه يطالبكم اليوم جميعاً أن تجاهدوا من أجل الوحدة وتتوحدوا من أجل الجهاد.

إرادة القتال في العقيدة القتالية عند المسلمين

بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية عثمان بن عفان رضي الله عـنه إلى مكـة المكرمة ليبلغ أشراف قريش أن المسلمين لم يأتوا للحرب وإنما جاءوا زائرين للبيت الحرام ومعظمين لحرمته. وبلغ عثمان أبا سفيان بن حرب وعظماء قريش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به. فقالوا لعثمان حين فرغ من تبليغ رسالته إلى قريش: (أن شئت أن تطوف بالبيت فطف) فقال عثمان ما كنت لأفعل حتى يطوف ه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحتبست قـريش عثمان عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان

أبـــن عفان قد قتل فقال الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام: ((لا نبرح حتى تتاجز القوم)) ودعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضـــوان تحـــت الشجرة وكانت هذه البيعة على الموت، قال الصحابة الذين شهدوا بيعة الرضوان (كنا نبايع يومئذ على الموت).

امـــا في معركة اليرموك فقد استشهد عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمـــرو والحارث بن هشام فأتوا بماء لهم وهم صرعى في النزع الأخير ولكنهم تدافعـــوا كلمـــا دفع إلى رجل منهم قال اسق فلاناً حتى ماتوا و لم يشربوا فقد طلب عكرمة الماء فرأى سهيلاً ينظر إليه فقال (ادفعوا إلى سهيل) ورأى سهيل الحارث ينظر إليه فقال (ادفعوا الماء إلى الحارث) فلم يصل إليه حتى ماتوا.

وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه قائد عاماً على المسلمين في ارض الـــشام فقـــاد المسلمين في معركة اليرموك الفاصلة إلى النصر تلك المعركة التي فـــتحت أبـــواب فلسطين والأردن وسورية ولبنان للمسلمين. وعزله عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه وهو في أوج أنتصاراته ولكن خالد لم يهتم بهذا العزل وقال قولته المشهورة: (أني لا أقاتل من أجل عمر بل أقاتل من أجل اعلاء كلمة الله). وشهدت الخنساء الشاعرة المشهورة معركة القادسية الحاسمة ومعها بنوها الأربعـــة فحرضـــتهم علـــى القـــتال، وقـــتلوا واحداً بعد واحد فلما علمت باستشهادهم قالت: (الحمد الله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته). لم تجزع الخنساء على استشهاد أولادها الأربعة تحت لواء الأســـلام وهـــي التي جزعت اشد الجزع وأعظمه على أخيها صخر بن عمرو السلمي الذي قتل تحت لواء الجاهلية وبكته أحر البكاء وأغزره ولا يزال شعرها في صخر مضرب الأمثال في العاطفة المتأججة وصدق الرثاء.

وهذا عثمان رضي الله عنه رفض ان يطوف بالبيت العتيق وحده دون المسلمين وهو الذي كان في شوق عامر لهذا الذي دعته إليه قريش طائعة مبادرة مما يدل على تشبعه بالضبط المتين فلا يفعل شيئاً حتى إذا صادف ذلك الشيء

هــوى في نفسه إلا إذا تلقى اوامر قائده صريحة واضحة. وهو فوق ذلك يدل على تشبعه بروح الجماعة وخضوعه لمصالحها العليا ونبذ مصالحه الذاتية وراءه ظهــرياً. وتدافــع عكرمة وصحبه الماء وهم في الرمق الأخير يدل على الإيثار بــأروع صــورة في أحــرج الظروف والأحوال. وموقف الخنساء عند علمها بأستشهاد أولادها الأربعة وهي شيخ رهمة يدل على التضحية بأغلى وأعز شيء في الحياة من أجل المبدأ والعقيدة. ومقولة خالد بن الوليد عندما عزل تدل على أنــه لم يكن يجاهد في سبيل امجاد شخصية ولا مصالح ذاتية بل كان يجاهد فقط في سبيل اعلاء كلمة الله.

وكل تلك المواقف تدل بوضوح على الإصرار الفذ والعزم الأكيد على التضحية بكل غال ورخيص وبكل ما في الدنيا من متاع من أجل مجد الإسلام.

إذا فــأرادة القــتال هي الرغبة الأكيدة في الصمود والثبات في ميدان القتال من أجل مثل عليا وأهداف سامية وإيمان لا يتزعزع بهذه المثل والأهداف وثقــة بأنها احب واعز وأغلى من كل شيء في الحياة وتحمل اعباء الحرب بذلاً للأموال والأنفس وأستهانة بالأضرار والشدائد وصبراً في البأساء والضراء.

ذلــك هو مفهوم القتال في الجهاد الإسلامي وهو مفهوم لا تطمع في إدراك شأوه مفاهيم اردة القتال في العقيدتين العسكريتين الشرقية أو الغربية على حد سواء. مفهوم أرادة القتال في الجهاد الإسلامي سادة وروح فيه الدعوة إلى الخــير والــسلام وفــيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي الأعراض عن الأســتغلال والأستعباد. ومفهوم إرادة القتال في الشرق والغرب مادة فقط فيه الدعــوة إلى التسلط والأستعمار وفيه إشاعة المنكر والفساد وفيه حب الحرب وكراهية السلام.

فكيف غرس الإسلام مفاهيم أرادة القتال في نفوس المسلمين وعقولهم معــاً حــث الإسلام على الطاعة والطاعة هي الضبط والنظام "وَقَالُوا سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ"[1] وأشاع الإسلام معاني الخلق الكريم ومنه الصبر الجميل "ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"[2] وقـال تعـالى "وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ"[3] وعـز الإسلام الشجاعة والأقدام "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ"[4] وأمر الإسلام في الثبات في ميدان القتال "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟"[5] ودعا الإسلام إلى الجهاد بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله "إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ"[6] وقال تعالى "ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"[7].

وبين الإسلام أن المثل العليا لا بد أن تكون لها الأسبقية على كل شيء في الدنيا "قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ"[8] وجعـل الإسلام مقام الشهداء من أعظم المقامات "وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ"[9] فأذا تذكرنا أن

(1) سورة البقرة، آية ٢٨٥.
(2) سورة النحل، آية ١١٠.
(3) سورة البقرة، آية ١٧٧.
(4) سورة، الانفال، آية ١٥.
(5) سورة الانفال، آية ٤٥.
(6) سورة الحجرات، آية ١٥.
(7) سورة التوبة، آية ٤١.
(8) سورة التوبة، آية ٢٤.
(9) سورة البقرة، آية ١٥٤.

الجهاد في الإسلام يهدف إلى حماية نشر الدعوة الإسلامية وإلى نشر السلام وإلى الـدفاع عـن دار السلام، وإذا تذكرنا أن تعاليم القتال في الإسلام تنص على الوفاء بالعهود وأحترام المواثيق والترفع عن الظلم والعدوان، أن أرادة القتال في الجهـاد الإسلامي تسيطر على المسلم في ميدان القتال أيام الحرب كما تسيطر علـيه في أيام السلام وأن الهدف في الحرب هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو فإذا انتصر عليه في ميدان الحرب واستطاع ان يحطم طاقاته المادية فلا بد مـن جهـود أخـرى لتحطيم طاقاته المعنوية ليكون النصر كاملاً يؤدي إلى الأستسلام.

وهنا يأتي دور الحرب النفسية التي تستهدف الطاقات المعنوية بالدرجة الأولى. وفي تـاريخ الحروب أمثلة كثيرة عن انتصارات استطاعت القضاء على الطاقات المادية ولكنها لم تستطع القضاء على المعنوية فكانت انتصارات ناقصة استمرت فترة من الزمن ثم أصبح المهزوم منتصراً وأصبح المنتصر مهزوماً. فكيف يصاول الإسلام الحرب النفسية ليصون معنويات المسلمين من الأنهيار، بل كيف يحـافظ الإسـلام علـى أرادة القتال في أيام السلام. لعل أهم أهداف الحرب النفـسية هـي التخويف من الموت والفقر ومن القوة الضارية للمنتصر ومحاولة جعـل النصر حاسماً والدعوة إلى الإسلام وبث الأشاعات والأراجيف وإشاعة الأسـتعمار الفكـري بالغزو الحضاري وإشاعة اليأس والقنوط. المؤمن حقاً لا يخشى الموت "فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ"[1] وقال تعـالى "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ"[2] وقال تعالى "أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ"[3] أن المـؤمن حقـاً يعتقد اعتقاداً راسـخاً بـأن الأجال بيد الله سبحانه وتعالى وما أصدق قول خالد بن الوليد

(١) سورة الاعراف، آية ٣٤.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٤٥.

(٣) سورة النساء: آية ٧٨.

رضي الله عنه: (ما في جسمي شبراً إلا وفيه طعنه برمح أو سيف وها أنا أموت علـــى فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء). والمؤمن حقاً لا يخاف الفقـــر لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الارزاق بيد الله سبحانه وتعالى قال تعالى: "وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"[1] والمـــؤمن حقـــاً لا يخشى قوات العدو من أنتـــصر المـــسلمون في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم لعده أو عدد بل كان انتصارهم انتصار عقيدة لا مراء قال تعالى "قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ"[2] والمؤمن حقاً لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام في حماية عقيدته يعرف أن الانتصار في معركة قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة قال تعالى "إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ"[3].

والمـــسلم حقـــاً لا يستسلم بعد هزيمة لأنه يعلم بأن بعد العسر يسراً والمـــؤمن حقاً لا يصدق الإشاعات والأراجيف قال تعالى "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ"[4] والمـــؤمن حقـــاً يقاوم الأستعمار ويصاول الغزو الحـــضاري لأن لـــه من مقومات دينه وتراثه وحضارته ما يصونه من تيارات المـــبادئ الوافدة التي تذيب شخصيته وتمحو أثاره من الوجود. والمؤمن حقاً لا يقـــنط أبداً ولا ييأس من نصر الله ورحمته "لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا"[5]. ولكـــن القول بأن الحوافز الروحية وحدها هي التي تؤجج أرادة القتال في المؤمن حقاً لا يغني عن كل قول. أن في الإسلام حوافز مادية لا

---

(1) سورة النور، آية ٣٨.

(2) سورة البقرة، آية ٢٤٩.

(3) سورة آل عمران، آية ١٤٠.

(4) سورة الحجرات، آية ٦.

(5) سورة الزمر، آية ٥٣.

تقـــل أهمـــية عن الحوافز الروحية تعمل جنباً إلى جنب لترصين إرادة القتال في نفـــوس المسلمين وعقولهم معاً. ومن أهم الحوافز المادية عدم الأستهانة بالعدو والإعـــداد الحـــربي تدريباً وتسليحاً وتنظيماً وتجهيزاً وقيادة قويه. لقد أستهان المـــسلمون بعـــدوهم يوم حنين فماذا حل بهم في بداية المعركة. أن الأستهانه بالعـــدو تؤدي حتماً إلى الأنحدار وما أصدق المثل القائل أذا كان عدوك نمله لا تنم له.

والأعـــداد الحربي إعداداً متكاملاً يرفع المعنويات ويقوي الثقة بالنفس ويلـــهب مزيّة أرادة القتال قال تعالى "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[1]، وهذا ما يفسر لنا سر الفتح الإسلامي العظيم الذي أمتد خلال ثمانين عاماً من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جـــنوباً، ذلـــك لأن شعار المسلمين كان "قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ"[2] النصر أو الشهادة ولأن المسلمين كانوا يحرصوا على الموت حرص غيرهـــم علـــى الحـــياة قال تعالى "ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"[3] والسؤال الذي يتـــردد الـــيوم هـــو ألسنا مسلمين وأذا كنا مسلمين فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائـــنا والجواب على هذا السؤال يورده القرآن الكريم بصراحة ووضوح قال

(١) سورة الانفال، آية ٦٠.

(٢) سورة التوبة، آية ٥٢.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٧٣-١٧٤.

تعالى: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ"(1) فهل نحن مؤمنون حقاً وقال تعالى "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ"(2) فهل نصرنا الله حقاً حتى ينصرنا ويثبت أقدامنا.

وقال تعالى "ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"(3) وقال تعالى "إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"(4) كيف ينصرنا الله ونحن لا نطبق تعاليمه وهل ورد في القرآن ما يشير إلى أن الله ينصر المسلمين الذين يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه في الجهاد والعمل الصالح، أن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله العودة إلى الإسلام وحينذاك سيقول اليهود كما قالوا من قبل إن فيها قوماً جبارين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. وكيف ينصرنا الله ونحن لا نطبق تعاليمه وهل ورد في القرآن ما يشير إلى أن الله ينصر المسلمين الذين يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه في الجهاد والعمل الصالح، أن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله العودة إلى الإسلام وحينذاك سيقول اليهود كما قالوا من قبل "فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ"(5).

---

(1) سورة الروم، آية ٤٧.

(2) سورة محمد، آية ٧.

(3) سورة التوبة، آية ٤١.

(4) سورة التوبة، ٣٩.

(5) سورة المائدة، آية ٢٢.

معنى القتال في الإسلام ومتى شرع

هـــو قـــتال العدو لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام مع مراعاة حرب الفروسية الشريفة في القتال.

لم يؤذن للمسلمين في القتال قبل الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة رغم مـــا ذاقوا من المر وكابدوا من فنون الأسى والضر فلم يكن من همهم إلا نشر الدعوة وتثبيت العقيدة ويقولوا في حرارة وصدق ربنا الله فلما أشتد عداء قريش وهمـــوا على القضاء على الدعوة الإسلامية وأجمعوا أمرهم على قتل النبي صلى الله علـــيه وســـلم هاجر وأصحابه إلى المدينة المنورة ولكن قريش بقيت تكيد للمـــسلمين وللرســـول ولم يكفوا اذاهم عن المسلمين ولم تخف هذا العدوان فنزلت هذه الآية "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ"[(١)] وبعد هذه الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً في صفر على رأس أثني عشر شهراً من مقدمة إلى المدينة المنورة وبذلك بدأ القتال فعلاً في الإسلام.

أهداف القتال في الإسلام

أ- حماية نشر الدعوة إذ ليس من أهداف الحرب في الإسلام نشر الدعوة بل حماية حرية نشر الدعوة لأن نشر الإسلام بالقوة معناه الأكراه والله تعالى يقول "لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ"[(٢)] ولو كان الفضل في انتـــشار الإســـلام لسيوف أهله ورماحهم لزال سلطانه من القلوب بزوال سلطان دولته حين ضعف أهله وغلبوا على أمرهم، ولكنّ هدف

---

(١) سورة الحج، آية ٣٩- ٤٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

الحـــرب في الإسلام هو حماية العقيدة وتأمين حرية انتشارها بين الناس وصدّ الأعتداء الخارجي على بلاد المسلمين.

إن الحرب في الإسلام حرب دفاعية لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد ولا يقاتلون إلا مكرهين على القتال ويعتبرون الحرب كفاح شرف لا يجوز أن يلجأ المحاربون فيها إلى عمل أو أجراء يتنافى مع الشرف فهم مقـــيدون بإحتـــرام العهد والترفع عن الخيانة ومواساة الجرحى والمرض والأســـرى والعـــناية بهـــم وعدم التعرض يسوء لغير المقاتلين والنساء والأطفال والشيوخ والرهبان والعبيد والفلاحين.

ب- توطيد أركان الإسلام، أن الأمة بغير جيش قوي عرضة للضياع اذ يطمع فـــيها اعـــداؤها ولا يهابون قوتّها فإذا كان لها جيش قوي أحترم العدو إرادتها فلا تحدثه نفسه بإعتداء عليها فيسود عند ذلك السلام وأن السلام كما تدل عليه تسميته دين أمن وسلام يقوم على أساس الود والتسامح لا يجيز الحرب إلا في حالات محددة بحيث تعتبر فيما عداها جريمة.

أنواع القتال في الإسلام

أ- قتال المسلمين للمسلمين: وهذا النوع من القتال هو شأن من الشؤون الداخلية للمسلمين فقد فرض القرآن الكريم حالة بغي وخروج عن النظام العام تقع بين طوائف المسلمين بعضها مع بعض أو بين الرعية وراعيها فوضع لها تشريعاً من شأنه أن يحفظ على الأمة وحدته وعلى الهيئة الحاكمة سلطانها وهيبتها ويقي الجميع شر البغي والتعادي "وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[1] هاتان الآيتان الكريمتان تفرضان حالة اختلاف يقع بين طائفتان من المؤمنين ولا يستطاع حله بالوسائل السلمية فتلجأ كل منهما إلى القوة فتوجب هاتان الآيتان على الأمة ممثلة في حكومتها أن تنظر فيما بين الطائفتين من أسباب الشقاق وتحاول الأصلاح بينهما فإن وصلت إلى ذلك عن طريق المفاوضات وأخذ كل ذي حق حقه ورُدَ البغي وأستقر الأمن فقد كفى الله المؤمنين شرّ القتال وإن بغت إحداهما على الأخرى وأستمرت على العدوان وأبت أن تخضع للحق وتنزل على حكم المؤمنين كانت بذلك باغية خارجة على سلطة القانون متمردة على التشريع الإلهي والنظام فيجب على جماعة المسلمين قتالها حتى تخضع وترجع إلى الحق. أن القصد من هذا التشريع هو المحافظة على وحدة الأمة وعدم أفساح المجال لتفرقها لذلك فهذه الحرب طريق للسلم وقضاء على البغي والعدوان.

ب- قتال المسلمين لغير المسلمين: شرع قتال المسلمين لغير المسلمين لرد العدوان على بلاد المسلمين وحماية الدعوة وحماية حرية انتشار الدين والقرآن حينما شرع القتال نأى به عن جوانب الطمع والأستئثار وإذلال الضعفاء وتوخّى به أن يكون طريقاً إلى السلام والأطمئنان وتركيز الحياة على موازين العدل والانصاف. وليست الجزية عوضاً مالياً عن دم أو عقيدة وإنما هي لحماية المغلوبين في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء ويدل على ذلك أن جميع المعاهدات التي تمت بين المسلمين وبين المغلوبين من سكان البلاد كانت تنص على هذه الحماية في العقائد والأموال. وقد جاء في عهد خالد بن الوليد لصاحب (قُسّ الناطف) (إني عاهدتكم على الجزية والمنعة فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا حتى نمنعكم).

---

(1) سورة الحجرات، آية ١٠.

لقــد ردّ خالــد بن الوليد على أهل حمص وأبو عبيدة على أهل دمشق وبقــية القواد المسلمين على أهل المدن الشامية المفتوحة ما أخذوه منهم مــن الجــزية حين أضطر المسلمون إلى مغادرتما في ظروف حربية صعبه وكان مما قاله القواد المسلمون لأهل تلك المدن (إنا كنا قد أخذنا منكم الجــزية علــى المــنعة والحماية ونحن الأن عاجزون عن حمايتكم فهذه أموالكم نردها إليكم)، لقد كان فرض الجزيه في الإسلام أبعد ما يكون عن الأستغلال والطمع في أموال المغلوبين. اذ كانت تفرض بمقادير قليلة علــى المحاربين والقادرين على العمل فحسب وكانت على ثلاثة أقسام أعلاهــا (٤٨) درهماً في السنة على الأغنياء وأوسطها (٢١) درهماً على المتوســطين مــن تجار وزراع وأدناها (١٢) درهماً على العمال المحترفين الذين يجدون عملاً، وهذا مبلغ لا يكاد يذكر بجانب ما يدفعه المسلم من زكاة ماله وهو بنسبة ٢,٥ بالمائة القدر الشرعي لفريضة الزكاة.

إن إســقاط الجــزيه عن الفقير والصبي والمرأة والراهب والمنقطع للعباده والأعمــى والمقعد وذوي العاهات دليل على أن الجزيه يراعى فيها قدرة المكلفــين علــى دفعهــا. كما أن تقسيمها إلى ثلاث فئات دليل على مراعات رفع الجزيه والمشقه في تحصيلها وقد جاء في عهد خالد بن الوليد لصاح (قُس الناطف): إني عاهدتكم على الجزيه والمنعه على كل ذي يد القوي على قدر قوته والمقل على قدر إقلاله ليس ذلك فحسب بل أعفى الإسلام دافع الجزيه من الخدمة في الجيش والذي يقبل التطوع في الجيش الإســلامي تسقط عنه الجزيه وهذا معناه أن الجزيه تشابه البدل النقدي للخدمة العسكرية في عصرنا الحاضر.

كمــا ضمن الإسلام إعالة البائسين والمحتاجين من الذمين وجاء في عهد خالــد بن الوليد لإهل الحيره (وأيما شخص ضعف عن العمل أو أصابته آفــه مــن الآفات أو كان غنياً وأفتقر وصار أهل دنيه يتصدقون عليه

طرحت جزيته وأعيل من بيت مال المسلمين وعياله) إن فرض الجزيه لا يحمل معنى الإمتهان والإذلال ومعنى (صاغرون) في آية الجزيه "حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ"[1] هو الخضوع ومن معاني الصغار في اللغة الخضوع ومنه أطلق الصغير على الطفل لأنه يخضع لأبويه ولمن هو أكبر منه والمراد بالخضوع حينئذ الخضوع لسلطان الدوله. ولا يوجد آية في القرآن الكريم تشير إلى أن القتال في الإسلام لحمل الناس على اعتناقه. وقد نص القرآن الكريم بوضوح على طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين "لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ"[2] ويفهم من ذلك أن علاقة المسلمين بغير المسلمين هي بِّر وقسط وتعاون وعدل ومصاهرة.

(1) سورة التوبة، آية ٢٩.

(2) سورة الممتحنة، آية ٨-٩.

تنظيم القتال في الإسلام

أ- تقوية المعنويات. يعمل الإسلام على تقوية المعنويات للمقاتلين في سبيل الله فيعدهم بمضاعفة العاملين لأنهم يقاتلون في سبيل إنقاذ الضعفاء والبر بالإنسان ومقاومة الجبروت والطغيان ولدحض عوامل الشر والإفساد وأستأصل الإسلام جميع النواحي التي ينبعث من قبلها الجبن والخوار وحث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله والحق وفي سبيل الخير والسعادة، حارب الإسلام عوامل الضعف ونزعات الخوف وغرس في نفوس الأمة خُلق الشجاعة والتضحية والأستهانة بزخرف الحياة في سبيل الحق ونصرته، ولقد توخى الإسلام تقوية الروح المعنوية وقد كانت المعنويات العالية ولا تزال من أهم مزايا الجيوش ذات القيمة العسكرية الرفيعة كما أنها من أهم مبادئ الحرب.

ب- إعداد القوة المادية: حث الإسلام على الأهتمام بناحيتين القوة والرباط فإما القوة نتناول العدد والعدة. وهذا يتسع لكل ما عرف ويعرف من حشد الرجال وإعداد آلات الحرب ووسائل القتال ومواد التموين والقضايا الإدارية الأخرى. وأما الرباط فيتسع إلى ما عرف ويعرف من تحصين الحدود والثغور والأماكن الواهنة تجاه العدو وتهيئة القوة الكاملة فيها لحمايتها.

يهدف الإسلام بالحث على إعداد هاتين الناحتين إلى تأمين السلم والأستقرار وذلك لإرهاب العدو حتى لا تحدثه نفسه باستغلال ناحية من نواحي الضعف والتخاذل. كما يحث الإسلام على إنشاء المعامل الحربية لصنع الأسلحة ويذكر بالحديد بصورة خاصة للاستفادة منه للأغراض

العسكرية "وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ"(١) أن الجهـــاد في الإسلام إنما يتوخى الأستعداد الدائم للمدافعة عن الحق وحمايته ولتكن لدى المسلمين قـــوة ضاربة يحسب لها ألف حساب قبل أن يقدم على الأضرار بمصالح المسلمين العليا.

جـ- التنظيم العملي للقتال:

١- الأعفاء من الجندية: أن أسباب الأعفاء محصورة في الضعف والمرض والعجـــز والشيخوخة وعدم القدرة على الأنفاق "لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ"(٢).

٢- إعـــلان الحـــرب: حذر القرآن الكريم من انتهاز غفلة العدو وأخذه على غرّه غدراً "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ"(٣) فـــتطلب الآية الكريمة طرح العهد عند توجسّ الشر منهم وتطلب أن يكون هذا النبذ صريحاً. إن المسلمين لا يخونـــون أحـــداً ولا يغدرون بأحد ويعلنون الحرب صراحة على اعدائهم ثم يشرعون بعد هذا الإعلان في القتال.

٣- الدعـــوة للجهـــاد: حذر الإسلام من التباطئ في تلبية داعي الجهاد والتثاقل عنه "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) سورة الحديد، آية ٢٥.

(٢) سورة التوبة، آية ٩١.

(٣) سورة الانفال، آية ٥٨.

ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ"[1].

٤- عقاب المتخلفين: عاقب الإسلام المتخلف عن الجهاد عقاباً نفسياً إذ يهجر المتخلف أهله حتى زوجه كما يهجره المسلمون جميعاً ويقاطعونه وينظر إليه المجتمع نظرة احتقار وازدراء "وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ"[2]، فقد تاب الله عليهم بعد كل هذا العقاب النفسي ليتوبوا ولا يعودا إلى التخلف مرة أخرى. وأن عقاب المتخلف يقتصر عليه فقط ولا يشمل أهله وعشيرته ولا سكان قريته.

٥- تطهير الجيش: يأمر الإسلام بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان ومن الذين يختلفون عن أفراده بالعقيدة حتى يكون الجيش كله مؤمناً بعقيدة واحدة يعمل لتحقيقها ويبذل كل ما يمتلكه في سبيلها وبذلك يستطيع الفوز بالحرب "وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا"[3].

٦- أساليب القتال: ينظم الإسلام مواقعه الدفاعية ويوزع وحداته على تلك المواضع "وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ

---

(١) سورة التوبة، آية ٣٨-٣٩.

(٢) سورة التوبة، آية ١١٨.

(٣) سورة الاحزاب، آية ٢٠.

لِلْقِتَالِ"(١) ويبتكر القتال بأسلوب الصف الذي لم تكن العرب تعرفه حينذاك بل كانت تقاتل بأسلو الكرّ والفرّ "إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ"(٢) إنّ أسلوب الصف يتفق مع أساليب القتال في العصر الحاضر فهو يؤمن العمق والأحتياط ليستطيع القائد معالجة المواقف التي ليست في الحسبان.

٧- الضبط: يحث الإسلام على السمع والطاعة للقيادة العامة والثبات في المواقف وتجنب أسباب الفشل والأعتصام بالله وباليقين "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ"(٣) كما حذر الإسلام من الفرار وبين سوء عاقبته، "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ"(٤).

٨- الكتمان: حذر الإسلام من أذاعة الأسرار العسكرية وجعل اذاعتها من شأن المنافقين وطلب الرجوع بها إلى القيادة العامة كما طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من أبناء قبل الركون إليها والعمل بها " لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا" (٥) وقال

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٢١.
(٢) سورة الصف، آية ٤.
(٣) سورة الانفال، آية ٤٥-٤٦.
(٤) سورة الانفال، آية ١٥-١٦.
(٥) سورة الاحزاب، آية ٦٠.

تعالى: "وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ"(1).

٩- الهدنه والصلح: أمر الإسلام بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب إذا جنح إليها الأعداء وظهرت منهم علامات الصدق والوفاء "وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ"(2).

١٠- الأسرى خيرّ الإسلام القائد بين أن يمن على الأسرى ويطلقهم من غير فدية أو مقابل أو يأخذ منهم الفدية من مال ورجال وذلك على حسب ما يرى من المصلحة "فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً"(3) لقد حرّم الإسلام قتل الأسير ومن أسلم امتنع قتله ومن أسلم قبل أسره ولو لخوف فهو كالمسلم الأصلي يحرم دمه أيضاً.

١- المحافظة على العهود: حث الإسلام بصورة خاصة على حفظ العهود وأوجب الوفاء بها وحرّم الخيانة فيها والعمل على نقضها وأرشد إلى أن القصد منها إحلال الأمن والسلم محل الأضطراب والحرب وحذر أن تكون وسيلة للإحتيال على سلب الحقوق والوقيعه بالضعفاء. "وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"(4).

(1) سورة النساء، آية ٨٣.
(2) سورة الانفال، آية ٦١-٦٢.
(3) سورة محمد، آية ٤.
(4) سورة النحل، آية ٩١.

شروط القبول في الجندية

لا يقبل في جيش المسلمين إلا من تتوفر فيه الشروط التالية:

أ- البلوغ: اعتبر سن البلوغ السادسة عشرة كما هو الحال في أكثر الدول في الوقت الحاضر، ولا يقتصر التجنيد على الرجال البالغين بل يشمل النساء البالغات أيضاً فقد استصحب الرسول صلى الله عليه وسلم النساء في غزواته بل كان يصحب أزواجه معه بالأقتراع ولم يعترض أحد على اشتراك النساء في الحرب على عهد الخلفاء الراشدين والأمويين فلما جاء العباسيون ظهر بعض الفقهاء فأضافوا إلى شروط الخدمة شرطاً خامساً وهو الذكورة فحرموا الجيس من عنصر فعَّال يزيد في عدده ومعنوياته وهذا منهم أنحراف لا يقرّه الإجماع.

ب- الإسلام ليدافع عن بلاد المسلمين عن عقيدة وأخلاص والعقيدة من أهم أسباب النصر لأن الإنسان بدون عقيدة لا يمكن أن يقاتل قتالاً مميتاً ولا يمكن أن يصمد صموداً عتيداً لذلك لا يمكن أن ينتصر أبداً.

جـ- السلامة يجب أن يتمتع الجندي المسلم بالصحة الكاملة والعقل السليم ومن أسباب العجز عندهم المرض المزمن وهو الذين طال عليه الأمد والعمى.

د- الإقدام وهو أن يكون الجندي المسلم قوي البنية عارفاً بالقتال قارد على أستخدام الأسلحة متحمل مشاق السفر غير جبان.

النفير

١- عام وذلك في حالة الدفاع أي عند اعتداء العدو على بلاد المسلمين فعند ذاك يكون النفير عاماً ولا يتخلف عن الجهاد مسلم الا ويرمى بالنفاق ويعاقب بأشد العقاب أن الجهاد في هذه الحالة فرض عين كما يعبر عنه الفقهاء والنفير العام معناه دعوة جميع القادرين على حمل السلاح للإشتراك في الحرب.

٢- النفير الخاص: وذلك في حالة التعرض اي في حالة مهاجمة العدو في بلاده إذ يدعى نفر من الأمة للقتال وعند ذلك يكون النفير خاص وفي هذه الحالة يكون الجهاد فرض كفاية والنفير الخاص معناه دعوة بعض القادرين على حمل السلاح للاشتراك في الحرب أو دعوة القادرين على حمل السلاح في قسم من البلاد، مما تقدم يتضح أن الإسلام يدعو للقتال كضرورة لحماية حرية التوحيد توحيد الله وتوحيد الناس، أن الإسلام لا يؤمن بالحروب التي تثيرها المطامع والمنافع حروب الأستعمار والأستغلال والبحث عن الأسواق والنفط والخامات وأستعباد المرافق والرجال كما يستبعد الإسلام الحروب التي يثيرها صاحب الأمجاد الزائفة أو حب المغانم الشخصية.

إن القتال في الإسلام ليس اساس العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين وهذا طبيعي في دين لا ينشره أصحابه للتوسع الأقتصادي والأستغلال دين يحرم العدوان ويشرع التكافؤ والمساواة بين الناس ويجعل مقياس التفاضل بينهم التقوى والعمل الصالح، إن السلم في الإسلام هو القاعدة الثابتة والحرب هي الأستثناء.

وأن الإسلام هو عبارة عن حياة جامعة لا تقاس بزمان ولا تحد بمكان فهو متصل بالماضي ممتد في المستقبل حي في الحاضر مرتبط بالكون كله ظاهراً

وباطناً يعيش في صميم الأشياء ولا يحشد لها ويستخدم الأقدار ولا يؤخذ بها لأنه روح ربانية عالية وقوة منشئة بانية من نوع القوى المسيطرة على الوجود يلامس الضعيف فيقوى والقوي فتنتظم قواه وتجري حقيقته كالنور حيث أراد الله أن تجري.

والإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها جميعاً ينظم شؤن الحياة كلها في يسرّ وإحاطة وسهولة وشمول وبساطة وعمق وهو دين الحق والحرية والقوة والنظام ولا بد للحق من قوة تحميه ولا بد للحرية من نظام يرعاها وطبيعة القتال والترعه الحربية في فطرة الناس ومن غرائزهم والحرب من أسباب قيام الحضارات وتركيزها والمحافظة عليها: "وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ"[1] فتهذيب فكرتها في النفوس، وحصرُها في أدق حدودها واسلم طرائقها وتحديد أهدافها وتوضيحها هي غاية ما تتحمل الفطرة البشرية.

وقد نظم الإسلام هذه الترعة أسمى تنظيم، ووجهها أسلم وجهة، وأنزلها في المترلة التي خلقت من أجلها، وجعلها حارس حدوده، وسياج ملكه، وحصن دولته، والمثل الأعلى لأخلاق جنوده، فالإسلام إذن مسجد وقلعة، ودين ودولة، ولا قيام للمساجد إلا في ظل القلاع، ولا حياة للدين إلا في ظل كنف الدولة.

---

(1) البقرة، آية ٢٥١.

ولا تكون الدولة ذات كيان مستقل، وإنتاج حر، وقوة إيجابية عاملة، وسياسة مرسومة لهدف سام وغاية كريمة وأثر في المجتمع الإنساني، إلا إذا تكونت في أمة حية بأفرادها ومبادئها وأخلاقها ووطنها، والأمم كالأفراد تمر في جميع أطوار الحياة التي يمر فيها الفرد فتولد ثم تشب ثم تكبر ثم تكتهل ثم تشيخ ثم تتهالك وتفنى ثم تتجدد وتولد... "سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝"[1]، "كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝"[2].

وأسباب إنحلال الأمم وفنائها أربعة:

١. الترف الجسماني:

فإذا أترف الجسم ضعف عن العمل والإنتاج وأصبح غير قادر على تعويض المجتمع شيئاً مما ينهبه منه، فضلاً عن أداء واجب الإنسانية في المحافظة على النسل الصالح القوي، وشغل بجواره خلق كثيرين، وعطل أيدياً لولا توفرها على خدمته لعملت للإنسانية في مقام آخر، والأمم التي تترف أجسام أبنائها مآلها إلى الضعف، والإنحلال، والفناء التدريجي، وتسلط القادر عليها واستعبادها.. الخ.

---

(١) الفتح، آية ٢٣.

(٢) الأنبياء، آية ١٠٤-١٠٥.

٢. الترف النفسي:

فإذا أترفت النفس انساقت وراء شيطانها، وتهافتت على شهواتها، وطاوعت نزعاتها، وتخاذلت أمام مشكلات الحياة وتكاليفها، فلا تشعر بالمسئولية وإن شعرت بها فرّت منها وتخلت عن حملها، وإن حملتها تبرمت بها، ووهنت أمام صعوباتها وفشلت في ادائها، وتهاوت تحت ضربات خصومها، وضعفت أمام القوى الخارجة كلها لفقدان القوة الداخلية فيها، واستكانت لمن غالبها، وأمست لا وجود لها في ذاتها، وإنما في وجود من غلبها، والأمم التي يغلب الترف على نفوس أبنائها لا تلبث أن تنهار وتفقد استقلالها لركون أبنائها إلى الدنيا واطمئنانهم بها، وكراهيتهم للجهاد والموت، فلا كيان ولا قدرة ولا إنتاج، ولا تجمع ولا استقلال، ولا متعة ولا سلطان، وإنما التحلل والتفرقة والذل والاستعباد والفناء.

٣. الترف العقلي:

وهو الاتجاه بالعلم والإنتاج إلى الكماليات والبهارج والإنصراف به عن المنفعة العامة وجوهر الحقيقة والتقدم الإنساني وبذلك يضعف الإحساس بالحاجة إلى المثل العليا التي تأخذ في الضمور والزوال، وإذا أترفت الأمة عقلياً اطمأنت إلى امكاناتها فتراخت هممها، وغلب الهوى والغرور على جميع التصرفات فيها، فلا طموح إلا للمظاهر والسمعة، ولا انطلاق إلا وراء الشهوة، ولا جهاد إلا في سبيل الاعتداء والدمار، والتسلط على الغير بغير حق والحرب المبطر التي تأتي على الحضارات وتقضي على الأمم.

٤. طول الأمد:

فإذا طال الأمد على أمة هذه آفاتها وتلك حالاتها بدون أن يتيقظ أبناؤها لمداواتها، ويأخذوا في علاجها قبل موتها، فلا شك في عاقبتها الحتمية، وهي انهيارها، وضياع كيانها، وذهاب حقيقتها وفناؤها.

انظر قول الله تعالى: "ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝"، "وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝"[1]، ومن رحمة الله تعالى بالناس أن جعل البلاء الذي يصيبهم تأديباً لهم وتهذيباً، وإيقاظاً وتنبيهاً، وتطهيراً لنفوسهم وتوجيهاً، وأن الكوارث التي تصيب الأمم كثيراً ما تكون سبباً في بدء حياة جديدة تعقبها القوة والعزة والمنعة والسلطة والسعة والسيادة...

هذا وأسباب رقيّ الأمم خمسة، هي:

١. اليقظة:

وهي انبعاث الشعور بما أصاب الأمة نتيجة التأثر بآلامها، وسريان هذا الشعور في أعصابها وأوصالها، والإحساس بآثار الكارثة وبالحاجة إلى التخلص منها.

٢. العلم:

وهو معرفة أسباب الكارثة والعواقب التي أدّت إليها في حياة الأمة والانتفاع بمصائبها، والبحث عن الوسائل المنجية منها للأخذ بأسبابها.

---

[1] الحجر، ٣-٥.

٣. **التكوين:**

وهو التجمع على أساس العظة بالماضي وبعث الأمل وإحياء الأمجاد في النفوس، وتحديد المثل العليا لحياة جديدة كريمة، وتكوين الجيل الجديد وإعداده لمستقبل بكل احتمالاته، وتحديد وضعيتي القيادة والجندية في الأمة والالتفاف حول زعيم كفء أبان للناس دستوره الخلقي والعملي وأخذ نفسه وأنصاره عليه...

٤. **الجهاد:**

وهو يبدأ بعد ذلك برسم خطه الإنقاذ وتوضيح الهدف والأخذ بأسباب الحياة الجديدة بعد توثيق الروابط بين أفراد الأمة، والتخلص عملياً وبقوة من أسباب الضعف القديمة ومحو آثارها من النفوس وجهاد نوازعها، وإعداد وسائل العمل والإنتاج والترقي... والقوة!

٥. **القتال:**

وهو للوقوف في وجه العدوّ الغاصب في الداخل والخارج الذي انتهز فرصة انحلال الأمة فتملكها، أو كان سبباً في تفرّقها وتدهورها بما أشاع فيها من سيئات ومفاسد، مهما كانت قوة هذا العدو طاغية وكانت قوة الأمة التي تريد الحياة صغيرة "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"، وإذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر، لأن لصاحب الحق ثلاثة قوى قهّارة لا تُغلب:

١) قوة الحق في ذاته ٢) قوة إيمان المؤمنين بالحق

٣) وضعف الباطل في ذاته وفي نفوس المبطلين.

وحرب الحرية والاستقلال هي حرب الحياة والموت، ولا يكون أساس النصر فيها هو السلاح المادي، وإنما هو الإيمان واليقين بعكس طبيعة القتال عند المتقدمين، وقد قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: "إن بقية السيف هي

الباقية"، ولا حياة لأمة بدون قتال وهذا مصداق قول الله تعالى: "﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾"[1]، وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ"[2]، وقوله سبحانه: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿﴾"[3].

ومن حيث إن الإسلام نظام شامل فلا بد لتمكين أصوله وحماية شعائره من قيام دولة وحكومة تقوم عليه، وقيام الدولة بمقتضاه على خمس قواعد يربطها جميعاً رباط واحد هو غايتها وهدفها الذي من أجله قامت.

والقواعد الخمس هي:

١. الإمام العادل:

وهو الحاكم الكفء الذي تزكّيه حقيقته وتميّزه فضائله وتدلُ عليه أعماله وتؤهله مواهبه لقيادة الأمة وأمانة المجتمع ورياسة الدولة..

٢. الدستور الشامل:

وهو القانون الوافي الذي يتسع لاستنباط الشرائع الصالحة والنظم الضرورية والمناهج القويمة التي تُحكم بها الأمة وتُساس بها الدولة ويسيطر بها الحاكم.

---

(١) البقرة، آية ٢٤٣.

(٢) الأنفال، آية ٢٤.

(٣) البقرة، آية ٢١٦.

٣. **الهيئة التشريعية:**

وهي هيئة الشورى من ذوي الرأي والعلم والتجربة والحكمة وأصحاب السياسة والقيادة التي تستطيع استنباط المواد القانونية الصالحة للمجتمع بزمانه ومكانه وحاله وتشرف على تطبيقها وتحاسب القائمين عليها.

٤. **الهيئة التنفيذية، وهي قسمان:**

أ) **الهيئة القضائية:** ومهمتها الحكم بالقانون والمحافظة عليه وعلى المحكومين ورعاية الحقوق بإقامة العدل والقضاء على الظلم. "ولا سلطان لأحد عليها إلا الحق".

ب) **الهيئة الإدارية:** (الشرطة والنظام –"البوليس") ومهمتها تنفيذ الأحكام الصادرة من الهيئة القضائية وصيانة المجتمع والإشراف على الأمن الداخلي واستخدام القوة العاملة والسلطان الحكيم في إقامة الحدود والضرب على أيدي العصاة الخارجين على الشريعة والنظام.

٥. **الجيش:**

وهو القوة الحامية والبأس المانع الذي يرعى الدولة ويحمي الأمة، ويدافع عن الوطن والعقيدة والحقوق الإنسانية العامة من كل اعتداء خارجي، ويؤدب الخارجين على الإجماع والسلطان والقرآن، ويفتح الفتوح ويحفظها جميعاً، وينجد المستضعفين والمستنصرين من المسلمين... ولا قوة ولا عزة إلا بالجيش وعدته.

هذا والرباط الذي يربط هذه القوى جميعاً والسبب الذي من أجله قامت هو إعلاء كلمة الله ونصرة دينه، ولا يتم ذلك إلا بكمال الوعي النفسي والعقلي والروحي العام، والاستعداد الاجتماعي عند جميع أفراد الأمة وسيطرة المُثل العليا الواضحة الموحّدة على الشعور الجامع الممثل في الاعتصام بالله

والاجتماع على أمره وشريعته ورضاه. وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذا كله في آية واحدة مشرقة ميسّرة للأخذ بها وقيام الدولة الإسلامية على أساسها، وها هي ذي مرقمة:

"١) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ٢) وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

٣) وَالْمِيزَانَ ٤) لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

٥) "وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ "[(١)].

والقتال في الإسلام لا يكون قط إلا في سبيل الله، لإعلاء كلمته سبحانه وتعالى وتأمين دينه وحماية نشر دعوته والدفاع عن حزبه حتى لا يغلبوا على حقهم ولا يصدوا عن إظهار أمرهم، والمحافظة على المسلمين عامة وبلادهم وممتلكاتهم من الطامع المهاجم إذا همّ باغتصابها أو التمتع بخيراتها أو بإذلالهم في أي بقعة من أرض الله، أو بالإعتداء على استقلالهم السياسي والإقتصادي أو الاجتماعي أو غير ذلك من أنواع الإعتداءات الكثيرة، فهو دفاع العقيدة والأتباع وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، ومطاردة الكفر وقطع دابر الظالمين.

والإسلام لم يعمد إلى القتال كوسيلة من وسائل نشره، وإنما كان ذلك تطوراً طبيعياً تقتضيه طبيعة الدعوة وتهيئة ظروفها وملابساتها وموقف الكافرين منها، فلقد اجتاز الإسلام المراحل الخمس الطبيعية للدعوات بمنتهى الدقة

---

(١) الحديد، آية ٢٥.

والإحكام، و لم يَعْدُ بوسيلة على وسيلة و لم يطفر من طور إلى طور من غير تمام.

وإنما استخدمها جميعاً في حدودها وطبيعتها وترقى بها كما يجب أن تكون سنة التطور والترقي، وهذه المراحل الخمس هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الدعوة سراً

لبث الفكرة وتكوين الأفراد وتربية الدعاة... وهي مرحلة تحتاج إلى الكثير من الفطنة واليقظة والحذر والتخفي والصبر والمداراة مع الترفع عن المخادعة، ومحيطها فردي ضيق: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ "[1].

المرحلة الثانية: مرحلة الدعوة جهراً

لإعلان الفكرة وتكوين الأمة "الرأي العام" وإيجاد المجال الحيوي لها والتعرف على الناس وتمييز الأتباع من غيرهم، وهذه مرحلة الصبر على الأذى والعفو عن المسيئين والإعراض عن الجاهلين واحتمال المشاق في مواصلة التبليغ وتربية المؤمنين "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً -خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين- واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين" وهذه المرحلة أخطر مراحل الدعوة، لأنها تحتاج إلى الحكمة في اختيار الظرف والحال المناسبة للتبليغ، وللحسنى في الموعظة وللملاطفة والملاينة في الجدل والمحاورة، وللإنارة في الأخذ والرد، والكياسة عند التحرج في المخرج والمذهب... ولأنها تتميز بمواجهة العالم بأمر جديد لم يألفوه من رجل لم يعرفوا عنه من قبل ما دعا إليه الآن مما يحتم على الداعي أن يكون متهيئاً لمواقف ومفاجآت ليست في

---

(1) الشعراء، آية ٢١٤.

حسبان أحد، ولأنها فترة البلاء والاضطهاد بشتى الوسائل كالعناد والمساومة والإغراء والوعيد والتعذيب والتشريد والطرد والكيد والتآمر..

ولقد انتهى هذا الدور في تاريخ الدعوة المحمدية بالهجرة أخيراً إلى يثرب "المدينة المنورة" قال تعالى: "ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ"(١)، وقال: "وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝"(٢).

المرحلة الثالثة: مرحلة القتال للدفع

وهو مقاومة العدوان وصده بوسائل العدو وغيرها، "وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم"، وبدأت هذه المرحلة بالتجمع والتكوين والإعداد والمحافظة على المؤمنين وعلى الدعوة والوطن بعد ربطهم جميعاً برباط القرآن الكريم، وانتهت بتكوين الأمة المسلمة والوطن الإسلامي الجديد وأول حكومة في الإسلام.

قال تعالى: "وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ"(٣)، وقال: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝"(٤)، وقال: "وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝"(٥).

---

(١) النحل، آية ١٢٥.

(٢) النحل، آية ١٢٧.

(٣) الشورى، ٤٠.

(٤) الحج، آية ٣٩.

(٥) البقرة، آية ١٩٠.

المرحلة الرابعة: مرحلة القتال ابتداء

في بعض الأماكن والأزمنة دون غيرها، وذلك بمواجهة القوة بالقوة واستخلاص الحقوق المغتصبة والتمكن للحق في غير الأشهر الحرم والبيت الحرام، "فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ"[1]، "وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ "[2].

المرحلة الخامسة: القتال مطلقاً في كل زمان ومكان

للتخلص من العدو الداخلي كاليهود والعرب، وتأديب العدو الخارجي كالفرس والروم، وتأمين المسلمين على دعوتهم ودولتهم ووطنهم، وللتفرغ للإصلاح العام ونشر الدعوة: " فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ "[3].

والقتال فرض مكتوب على المسلمين كالصوم والصلاة، والعملُ به ماض إلى يوم القيامة، قال تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ "[4]، وقال عليه السلام: "الجهاد ماض إلى يوم القيامة"، وهو حشد القوى المادية

---

(1) التوبة، آية ٥.
(2) البقرة، ١٩١-١٩٣.
(3) النساء، آية ٩١.
(4) البقرة، آية ٢١٦.

والمعنوية وتنظيمُها لمحاربة العدو بكل الوسائل التي تتفق مع الفطرة البشرية، ولا تمس الشرف الإنساني، وتشترك فيه الأمة المحمدية جميعاً.

قال تعالى: "وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾"[1]، ولا يعفى منه إلا أربعة أعفاهم الله بشروط خاصة يُنفى الاعتفاء منها بانتفائها، وهم:

١. الضعفاء الذين لا يستطيعون حمل السلاح، ومنهم أصحاب العاهات.
٢. المرضى حتى يصحوا.
٣. الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون حتى يغنيهم الله.
٤. المتطوعون الأقوياء الذين لا يجد الإمام ما يجهزهم به ولا يجدون، بشرط أن يقوموا جميعاً من وراء الجيش بالدعاية والنصيحة وأداء ما يستطيعون من أعمال.

قال الله تعالى: "لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾"، "۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾"[2].

---

(1) التوبة، آية ٣٦.

(2) التوبة، آية ٩١-٩٣.

ومما تقدم يتبين لنا أن القتال شُرع في الإسلام لأسباب طبيعية وحقوق إنسانية لا للاعتداء والسيطرة،لأن ديناً يدعو إلى المحبة والإخاء والمساواة والسلام ويأخذ أتباعه بها عملياً ويبشر بالخير واليسر في كل أمر معتمداً على الفطرة والعقل لهو دين لا يحتاج قط في نشره إلى القوة والجبروت، وإنما كانت القوة وكان السلاح لحمايته من الذين يرهبون قيام عدله، وفكرة القتال في ذاتها لم تنشأ في طبع الإنسان إلا للدفاع أولاً لأنها من نتائج غريزة الخوف، ثم تطورت مظاهرها فيه لما لم تجد ما يكبحها أو يهذبها من واعز أو دين، وهي في المسلمين، وهم أتباع الدين الحق الذي يقول لهم: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾"[(١)]، لم تُستَخْدَم قط في أي مرحلة من مراحل حياتهم إلا دفاعاً، وإن لاحت لغير المبصرين في بعض الظروف اعتداء، وبقليل من التدبر يمكن إدراك الحقيقة ويمكن تلخيص أسباب القتال وغاياته فيما يأتي:

"دفع الاعتداء والمحافظة على العقيدة، وحماية الوطن الإسلامي وإنقاذ المستضعفين من المسلمين، والمحافظة على العهود والإيمان، ودرء الفتن في الداخل والخارج، وتأمين الدعوة وحمايتها في كل مظاهرها... الخ"، لقوله تعالى: "وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾"[(٢)]، "قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ

(١) البقرة، ٢٠٨.

(٢) البقرة، آية ١٩٠.

أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾"[1]، "إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ .." [2]، "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ .." [3]، " أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ..."[4]، "فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ..." [5]، " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ..."[6].

فرسالة الإسلام إذن لم تحمل للناس على شبا السيوف وأطراف الأسنة ولم يحملوا عليها بالضغط والقوة، وإنما كانت دائماً بالدعوة الحكيمة والموعظة الحسنة، ثم بالحجة والبرهان في صبر وأناة فإن قبلها وآمن بها من دعى إليها أو بلغته كان من أهلها، ومن لم يقبل مسالماً فرضت عليه الجزية، وهي قليلة وتكاليفها على المسلمين أكبر وهي لدافعها أنفع وما كان الغرض منها الجباية وتكثير المال، وإنما كان لقبول السلطان وضمان الأمان والتمهيد للهداية والإسلام، فعسى أن تلين مع الزمن قلوب الذين قست قلوبهم فإن لم يقبل من

---

(١) التوبة، آية ٢٩.

(٢) الممتحنة، آية ٩.

(٣) النساء، آية ٧٥.

(٤) التوبة، آية ١٣.

(٥) الحجرات، آية ٩.

(٦) الأنفال، آية ٣٩.

كان وبالاً على المسلمين ودعوتهم، وخاصة إن كان من أهل الكتاب، وليس القتال هنا اعتداء، وإنما هو درء لخطر لا شك في وقوعه وتأمين لمؤخرة المسلمين.

ثم إن قتال المشركين لازم في ذاته لصلاح المجتمع الإنساني ولصيانة الحياة البشرية لأنه ليس هناك ما هو أعظم شراً وأبعد ضلالاً من الشرك بالله ومحاربته في ملكه والفساد في أرضه، ومغالبة دينه ورسله.

وإن في المحاورة التي دارت بين رِبعيٍّ بن عامر مبعوث سعد بن أبي وقاص أمير جيش المسلمين إلى الفرس، وبين رستم قائد الفارسيين قبيل موقعة القادسية ما يجلي هذه الحقيقة ويوضحها "لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝"[1]، فإن التاريخ يحدثنا، فيقول:

"لما نزل رستم بالقادسية تلاحق به الناس حتى اعتموا من كثرتهم، والمسلمون ممسكون عنهم، ولما أصبح ركب وأشرف على بعض أمراء السرايا من المسلمين وعرض إليه بالصلح على أن يجعل له جعلاً.

فقال له الأمير: "إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، ووالله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم، ولقتالكم بعدُ أحب إلينا من صلحكم"، فأرسل رستم إلى سعد أن ابعث لنا رجلاً نكلمه ويكلمنا، فأرسل إليه ربعي بن عامر، فلما خرج إلى معسكر رستم وبلغ القنطرة احتبسه الذين عليها من جنود الفرس وأرسلوا إلى رستم "إن رسولاً من المسلمين قد أقبل" فجعل رستم يستعد لملاقاته وشاء أن يسلبه لبه بما عنده فأمر ببسط البسط والنمارق ووضع سرير الذهب وألبسه

---

(1) ق، آية ٣٧.

زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة كلها بالذهب وتمدد عليه، ثم أمر بدخول الرسول.

فأقبل ربعي على فرس له عجفاء قصيرة، وسيفه في خرقة، ورمحه مشدود بعصب وَقِدّ، واستمر على فرسه حتى وقف على البساط فترل عنها، وتلفت حوله يبحث عن شيء يربطها فلم يجد إلا وسادتين مزركشتين فشقهما وأدخل فيهما الحبل ثم ربط الفرس، ونظر إليهم فلم يجد من يحاول دفعه، فأيقن أنهم إنما أرادوا إشعاره بالتهاون والهوان، فهب واقفاً وتقدم نحو رستم، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم وانتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم إلا كما أريد؟ وإلا رجعت !!، فقال رستم: دعوه، هل هو إلا رجل واحد؟؟ فأقبل ربعي يتوكأ على رمحه وشاء استحراجهم.. فراح يعمل برمحه في النمارق والبسط ويقارب خطوه فلم يدع نمرقة ولا بساطاً إلا هتكه وأفسده، ولما دنا من رستم ركز الرمح أمامه وجلس هو على الأرض واخذ ينظر إليهم كأنه نمر... فقال له رستم.. ما جاء بكم؟ فقال ربعي: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبل منا قبلنا منه وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى إحدى الحسنيين –الجنة أو الظفر– فسأله رستم أن أخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا فيه، قال: نعم كم أحب إليكم أيوماً ام يومين؟ فقال رستم: لا بل حتى نكاتب أهل الرأي من رؤسائنا وقومنا، فقال ربعي: إن مما سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل به أئمتنا ألا نمكن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاثة ايام فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث من الأجل: اختر الإسلام فندعك وأرضك، أو الجزية فنقبل منك ونكف عنك، وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك، أو المنابذة في اليوم

الرابع، ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى، فقال رستم: أسيدهم أنت؟، فقال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم، وهم يد على من سواهم، فاختلى رستم برؤساء قومه، فقالوا: معاذ الله أن نميل لدين هذا الرجل، فقال رستم: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي، ثم عادوا إلى ربعي وجعل أحدهم يسخر من سيفه ومن غمده الخلق، وقال لهم وهو ينصرف: أنظروا إلى الأجل، وخرج وتركهم فاغري الأفواه من الدهشة.

القواعد العليا للقتال

القواعد العليا للقتال ثلاث:

١. الإعداد.
٢. المعركة.
٣. النتيجة.

وليس الإعداد للحرب بأهم من نتيجتها ولا إدارتها بأقل شأناً منهما وإنما هي جميعاً مرتبطة بعضها ببعض متساوية في العناية، فليتدبر القائمون بها حقيقة ما يقدمون عليه وتقدير محتملاته ومسئوليته قبل البدء فيه.

الإعداد

لمــا كان الجيش هو عدة الوطن وعتاده وحصنه وسياجه، وهو أول ما يــواجه العــدو، وآخر مظاهر الاستقلال التي تقرر وضعية الأمة في العالم، ولما كــان قوة الدولة حين تغضب وعظمتها حين تهادن وعقلها حين تفكر ولسانها حــين تــتكلم، فقد جعله القرآن الكريم أساس الدولة الإسلامية وقوة سلطانها

وســـر الحياة والبقاء فيها، وحشد له كل القوى المادية والمعنوية في الأمة وفضّل العمـــل فيه على كل الأعمال واعتبره ذروة الأمر وسنامه.... وتستغرق السور والآيـــات الخاصة به في القرآن قسطاً كبيراً فصّل فيها كل ما يتصل به تفصيلاً عجيـــباً، ووزع أعماله المختلفة ومسئولياته الكثيرة على جهاتها المختصة توزيعاً دقـــيقاً وربط بين عناصر القوى المتعددة بروابط متينة يسهّل لها حسن التعاون وســـرعة الـــتجمع، وجعل اتصالها جميعاً بعضها ببعض كاتصال أعضاء الجسم يجري فيها الدم على قدر معلوم وبحركة منتظمة.

والأساس في القتال هو الإيمان الصادق بأن النصر من عند الله تعالى وأن الإعداد وسيلة مفروضة على المسلمين، وأن النتيجة حتمية وهي إحدى الحسنيين الشهادة أو الظفر.

والإعـــداد أول قـــواعد القتال وأعظمها شأناً وعليه ترتكز القاعدتان الأخيرتـــان اللـــتان هما نتيجته، وبدونه لا تقوم دعوة، ولا تصلح جماعة، ولا تتكون أمة ولا تدوم دولة...

والإعـــداد شـــاقٌ عـــسير، ولكنه ميسر على أصحاب العزائم وأولي الأبصار، ولا يتم إلا بالصبر على العمل المتواصل المُنتج، والبذل السخي والإيمان بالحق، والحكمة في التدبير والثقة في النتيجة...

ولقـــد فرضهُ الله تعالى جملة وتفصيلاً على المسلمين بقوله: " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝"[1].

---

(1) الانفال، آية ٦٠.

وبالنظر إلى هذه الآية الكريمة نرى أنها تحتوي على أمور عظيمة ستأتي حسب ترتيبها في الكتاب، ويحسن الإشارة إليها الآن مجملة، وهي:

(١) فرض الإعداد.

(٢) بذل أقصى جهد مستطاع في ذلك.

(٣) الإعداد بجميع أنواعه وأقسامه المنطوية تحت كلمة "قوة".

(٤) الاهتمام بالقوات الثابتة والمرابطة كالاهتمام بالقوات المتحركة، والاهتمام بالجيش في ايام السلم، كالاهتمام به في أيام الحرب.

(٥) ذكر الأسباب التي فُرض من أجلها الإعداد، وهي في إرهاب العدو الظاهر والعدو الخفي.

(٦) الإنفاق في سبيل الله من الفكر والعلم والجهد والمال من غير مَنٍّ واستكثار.

(٧) الوعد -من مضمون الآية- بالنصر والظفر.

(٨) الوفاء للمنفقين برد ما أنفقوا كنتيجة للنصر من غنائم الحرب فضلاً عن جزاء الآخرة.

والإعداد خمسة أقسام:

(١) الإعداد الأدبي.

(٢) الإعداد المادي.

(٣) الإعداد الإداري.

(٤) الإعداد الفني.

(٥) الإعداد المالي.

الإعداد الأدبي

فالإعـــداد الأدبي نـــوعان: علمي، وهو في ثلاثة أمور: في الفكرة وفي المبدأ وفي العقيدة.

وخلقي، وهو في أمرين: في آداب القيادة، وفي آداب الجندية...

فالعلمي أولاً في ..... الفكرة:

تنـــشأ فكرة القتال عند الأمم القوية حينما تشعر بقوهّا وتحس ضعف الأمم التي حولها، فيتولد فيها حب التملك والسلطان، أي شهوة التوسع المالي والـــسياسي، فتـــبدأ بخلق المشكلات لتبرير تدخلها واعتدائها، والتاريخ مليء بالشواهد على ذلك قديماً وحديثاً، فتاريخ الفراعنة والفرس والروم يكشف لنا عـــن ذلـــك في الماضـــي البعيد، وتاريخ العصور الوسطى في أوروبا والتاريخ الحديث وأعمال أمريكا وروسيا واليابان في عصرنا هذا، والحرب العالمية الأولى والحـــرب العالمـــية الثانية، ومواقف إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وخاصة مع العرب والمسلمين وحرب أمريكيا وبريطانيا على العراق كلها دلائل واقعية على حقيقة فكـــرة القتال عند الأمم القوية التي لا تحسن التصرف في القوة أو الانتفاع بها إنسانياً..

وكمـــا تطغـــى الـــدول الكبيرة على الصغيرة لاستعمارها واستغلال مـــواردها، فهي كذلك يحارب بعضها بعضاً للاستئثار بالسلطان والمجد، ولكي تكون أمّة هي أربى من أمة..

وتنشأ فكرة القتال في الأمم الضعيفة عندما تستيقظ من سباهّا، وتنتبه مـــن غفلـــتها، وترى أهّا مسلوبة الحقوق، فتحاول استرداد ما أُغتصب منها، وتـــنادي بحقوقها فلا يُستجاب لها، ولا يُسمع نداؤها، ويخيب رجاؤها في كل مـــن حولها، فلا وفاء بوعد، ولا حرمة لعهد، ولا صوت إلا للمدفع، ولا حق

إلا للسيف، فتتولد فيها فكرة التحرر من القيود الظالمة بالقوة، وتنبعث فيها نزعة الدفاع عن الحياة، وترى ألاّ سبيل إلى الوصول إلى الحق إلاّ بالقتال الذي هو في الحقيقة قتالٌ عن نعمة الوجود العامة، وإذا انتهت إلى هذه الفكرة وبدأت تنشئ عليها أبنائها فويل للأمم الضعيفة منها، فإنها عندئذ تكون حرب استماتة وانتقام وانتصار، انتقام من الظلم الطويل الأمد، وانتصار للكرامة المجروحة، ومثل هذه الحروب لا بد فيها من انتصار المظلوم واسترداد المغصوب: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ"(1)، ويمتاز صاحب الحق عن الظالم بقوىً ثلاث كما أسلفنا: بقوة الحق في ذاته، وقوة إيمان صاحب الحق بحقه، وضعف الباطل في ذاته.

لهذا كان الإسلام حريصاً على تنشئة فكرة القتال في نفوس المسلمين تنشئة كريمة عادلة قوية، وعلى توجيهها من أول أمرها توجيهاً إسلامياً نزيهاً وإنسانياً عالياً، وجعلها عبادة من أسمى العبادات المفروضة، وربطها بغيرها مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة لحفظ العقيدة وحرية الحياة وبناء الأمة وقيام الدولة وإرهاب العدو لا للعدوان... ونزهها بأسبابها الكريمة، وجعلها آخر ما يلجأ إليه المسلمون من أدوات الإقناع ولغة التفاهم مع المعتدين.

ولقد فرض الإسلام الهجرة على المسلمين الذين لا يستطيعون إقامة شعائر دينهم في أرض ما إلى أرض أخرى يُكَوِّنون فيها أمتهم ويعلنون دينهم ويقيمون دولتهم، واعتبر المستضعفين في أرض العدو وهم قادرون على الهجرة ظالمين لأنفسهم مقصرين في حق دينهم، وجعل عاقبتهم النار كالكافرين سواء بسواء إذ قال: "إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡ قَالُواْ

(1) الرعد، آية ١١.

كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾"[1].

وفي بـــدء الدعـــوة الإسلامية وفي الوقت الذي نزلت فيه سورة العلق وسورة المزمل نزلت كذلك سورة "قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ "[2]، وفيها المواجهة والتحدي، ونزلت أيضاً سورة "تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ "[3]، وفـــيها منابذة العدو بسلاحه، وفي هذا الوقت نزلت سورة "وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ "[4]، وهـــي سورة عجيبة ذكر فيها كل ما يحتاجه القائد والمحارب (وســـيأتي تفصيل ذلك في حينه)، وما كان كل هذا إلا إيقاظاً للنفوس وتنبيهاً للعقـــول والفاتـــاً للأنظار إلى ما للإعداد والقتال من الخطر في قيام الدعوات وتكـــوين رجالها وحمايتها، وإلى الحكمة في استصحاب الفكرة في كل مراحل الدعوة استعداداً لوقتها وحين تنفيذها.

وكمـــا كان الإسلام حريصاً على تنشئة نفوس المسلمين على الجهاد وغـــرس فكرة القتال فيهم كان كذلك حريصاً على تكوين الدولة الإسلامية وتوضـــيح مـــنهج الـــتكوين وبرنامج المهمة العظيمة المُلقاة على عاتق العالم الإسلامي.

---

(1) النساء، آية ٩٧.

(2) الكافرون، آية ١.

(3) المسد، آية ١.

(4) العاديات، آية ١-٥.

والمُتدبر لهذا البرنامج وهذه المهمة يرى أنهما فوق تميزهما بالربانية فإنهما عالميان، ولا يتأتى تنفيذهما إلا بما يحميهما من القوة والرباط، وهذا البرنامج الضخم وهذه المهمة العظيمة في قسمين:

القسم الأول: قسم التربية والتعليم والإعداد والتكوين للفرد المسلم وللجماعة المسلمة، وقد بُني على خمس:

١. الإيمان بالجماعة والوحدة الإسلامية وسلامتها.
٢. دوام الصلة بالله تعالى بالصفة الجماعية على أساس الصلاة ونكران الذات.
٣. الإخلاص في كل الأعمال واعتبارها عبادات متصلة مع صدق القصد ودوام الحرص.
٤. التعاون دائماً على الخير العام تفكيراً وقولاً وفعلاً والاستقامة على ذلك من غير رياء أو مَنّ.
٥. استصحاب الشعور الصادق والإيمان العميق بنجاح الدعوة الإسلامية وفلاح الأمة المحمدية مهما تواكبت عليها الكوارث وأعترتها المحن.

وهذه القواعد الخمس في قوله تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۝ "[1].

والقسم الثاني: هو قسم الظهور بالدعوة في صفتها العالمية وإبرازها للمجتمع الإنساني عملياً في صورة أبنائها المؤمنين العاملين، وهي في ست حقائق تستمد هديها وقوتها من ثلاث حقائق أخرى.

---

(١) الحج، آية ٧٧.

والحقائق الست الأولى هي:

١. الجهـــاد الخالص المتصل في سبيل الله تعالى لنشر دعوة القرآن ورفع رايته وإقامة دولته وحماية أمته.

٢. اليقين القوي الثابت بأحقية المسلمين التاريخية في القيام بهذا الأمر العظيم لاجتباء الله لهم، والشعور الدائم بمسئولية هذه المهمة والحساب عليها.

٣. الاســتعداد الــصادق المــتجدد بتجدد الوسائل بكافة الطرق التي تتفق وطبــيعة المهمــة لأداء هذا الواجب الكريم وتنفيذ هذا البرنامج العظيم، والاستحواذ على كل العناصر لنصرة الإسلام وسيادة المسلمين.

٤. الاتــصال بالماضــي البعيد والارتباط بأبي المسلمين سيدنا إبراهيم عليه السلام والتمسك بملته والأخذ بطريقته واستشعار المعاني الروحية التي في هـــذه الصلة من عراقة المجد وطلامة العرق وطهارة الجد، والاستفادة من التاريخ.

٥. التــشرف بالاعتراف بالمهمة وحمل عبئها واحتمال مسئوليتها أبدياً أمام الله وأمام الناس والسعادة بذلك والفخر به.

٦. استصحاب الشعور الدائم بالصلة الوثيقة برسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتزاز بإمامته وشهادته على المسلمين واستيحاء سنته وهديه في توجيه الإنــسانية وقيام العالم والخلافة في الأرض، مع تجديد الإيمان القوي بهذا الحــق الممنوح من الله تعالى للمسلمين والمحافظة عليه واعتبار التخلي عنه أرتداد عن الإسلام.

أما الحقائق الثلاث الأخرى، فهي:

١. إقامة الصلاة:

تحقــيقاً للوحدة والمساواة والإجماع ودواماً للصلات الروحية وتقريراً للنظام العام والقيادة والجندية والاستقرار الاجتماعي.

٢. إيتاء الزكاة:

لإيجـــاد الـــروابط العملية بين الغني والفقير وإزالة الحواجز المادية بين طـــبقات الأمـــة وتنقية المجتمع من عوامل الانفصال الخفية مثل الحسد والبخل والإســـراف ولتحقـــيق مـــبدأ الـــضمان الاجتماعـــي وحفـــظ الميزان المالي والاقتصادي... الخ.

٣. الاعتصام بالله سبحانه وتعالى:

لإشـــعار كـــل مسلم بامتزاج شخصيته الفردية في شخصية المسلمين العامـــة، وتنقية المجتمع كذلك من الأمراض النفسية المستعصية كالرياء والسمعة والـــتخلص مـــن الـــشعور بآلام الفوارق وتأكيد لمبدأ التجرد ونكران الذات، ولإقرار القانون الخلقي ونظام الآداب العامة.

وكـــل هـــذه الحقائق على كثرها وجلال قدرها يجدها القارئ الكريم مركزة ميسرة في تكملة الآية السالفة في قوله تعالى:

(١) وجاهدوا في الله حق جهاده.

(٢) هو اجتباكم.

(٣) وما جعل عليكم في الدين من حرج.

(٤) ملة أبيكم إبراهيم.

(٥) هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا.

(٦) ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس..

(١) فأقيموا الصلاة.

(٢) وآتوا الزكاة.

(٣) واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير.

هذه أمانة المسلمين في العالم ومهمتهم في الحياة، فمن ذا الذي يقوم عليها وكيف تنفذ وتسود؟؟ لن يقوم بها والله إلا المؤمنون المجاهدون الصادقون، ولن يحيا ويموت فيها إلا العارفون، ولا بد من قيام الدولة الإسلامية والحكومة القرآنية لتنفيذ هذا البرنامج الحافل الذي وضعه الله لخلقه.

وقد بين القرآن الكريم أصول الحكم الإسلامية ووضح صفات الحاكمين وأخذها كلها من حقائق الفطرة الإنسانية والعناصر الأصيلة في الطبيعة البشرية، حتى لا تكون فتنة، وجعلها في خمس أصول:

١. الخلافة:

ولها شروطها الشرعية التي لا مجال لها هنا، ولكنها لا تخرج عن حدود الإسلام ونظمه فلا يكون الخليفة أو واليه إلا مسلماً ورعاً عالماً تقياً، خبيراً بالأمور كلها مخلصاً صحيح الجسم والعقل والنفس والقلب.

٢. الشورى:

لم يحدد الإسلام نظام الشورى ولكن قرر المبدأ لأن تطورات الزمن غير ثابتة وأحوال الأمم ليست واحدة، فيجب أن يكون نظام الشورى مناسباً لطبيعة الحال.

٣. القرآن:

فلا تشريع إلا منه، ولا دستور للأمة غيره، ولا حكم إلا به "وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾"[1].

٤. الوحدة:

فلا حزبية في الإسلام ولا تفرقة في الأمة، ولا عصبية، ولا تعدد في القيادة والزعامة "وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً"، "وَلَا تَكُونُواْ مِنَ

(١) المائدة، آية ٤٤.

ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝"[1].

٥. **الربانية:**

فلا يكون الحكم أبداً لحساب فرد أو جماعة، وإنما لله وحده " إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ "[2].

وينطوي تحت هذا الأصل عدالة الحكم وسرعة التنفيذ ومراعاة حدود الله بأيد مؤمنة نزيهة وإدارات حكيمة سليمة.

ومن حقائق الفطرة ألا يتحقق هذا المشروع العظيم إلا بتنقية المجتمع الإسلامي من العناصر الغريبة عنه أو صبغها بصبغته وإدماجها فيه أو التسلط بالحق عليها "سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝"[3]، ولذلك فصل القرآن الكريم بين المسلمين وغيرهم من أولي الأمر واعتبر الأديان الأخرى جميعاً ديناً واحداً، كما اعتبر الإسلام ديناً واحداً عاماً، فقال: "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝"[4]، وقال: " لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ"[5]، وقال: "إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ"[6]، "وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ"[7]، ثم جاء إلى الأمة المسلمة وقسّم المسلمين إلى ثلاثة أقسام لكل

---

(١) الروم، آية ٣٢.
(٢) الفتح، آية ٢٣.
(٣) الفتح، آية ٢٣.
(٤) الكافرون، آية ٦.
(٥) الفتح، آية ٢٨.
(٦) آل عمران، آية ١٩.
(٧) آل عمران، آية ٨٥.

قسم حقوقه وواجباته، وجعل أمرهم بينهم وإليهم وحدهم، وعمد إلى غير المسلمين ووكّل أمرهم إلى أنفسهم حتى يتحقق مبدأ الانفصال الطبيعي فلا تكون الفتنة ولا يكون الفساد.

فالقسم الأول من المسلمين:

هم السابقون بالإيمان الذين أُوذوا وأُخرجوا من ديارهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وصبروا وصدقوا.

القسم الثاني:

هم الذين تلقوا المهاجرين بالترحاب وأفسحوا لهم نفوسهم وديارهم، فآووا ونصروا واعتنقوا دينهم وجاهدوا معهم.

القسم الثالث:

هم الذين آمنوا و لم يهاجروا إما ضعفاً وإما لعلة أخرى.

والقسم الأول والقسم الثاني هما اللذان يكوّنان المجتمع الإسلامي ومنهم تتكون الدولة، ويطبق عليهم القانون الرباني، أما القسم الثالث فلهم النصرة وعليهم الهجرة، وآية ذلك كله قول الله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾"[1].

---

[1] الانفال، آية ٧٢- ٧٣.

وبعد الفصل والتمييز يذكّرهم بوحدتهم، ويحثّهم على الاعتصام بالله والتمسك بالقرآن ويحذرهم من البعد عنه وينبههم إلى ضرر ذلك، فيقول: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ..." (١).

ويضع لهم قواعد التحرر من غير المسلمين في دقة محكمة وأسلوب عملي بديع يحفظ عليهم شخصيتهم ويميز قوميتهم ويسم به دولتهم ويقوي حقيقتهم ولا يدع منفذاً لمنافق أو خائن أو متأول، ويجعل هذه القواعد على أساس متين من الوحدة المسلمة والإيمان بوجودها ودوامها، وهذه القواعد عشر، هي:

١. ألاّ يتخذ المؤمنون من الكافرين حكاماً أبداً "لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ .." (٢).

٢. ألاّ يتخذ المسلمون من اليهود أو النصارى حكاماً وأولياء أبداً، ومن يفعل ذلك فهو منهم "۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾" (٣).

---

(١) آل عمران، آية ١٠٢- ١٠٣.

(٢) آل عمران، آية ٢٨.

(٣) المائدة، آية ٥٧.

٣. ألاّ يتخذ المسلمون من غير المسلمون بطانة أبداً "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ "[1].

٤. ألا يطيعوا غير المسلمين في أمر ولا يثقوا لهم بعهد ولا يطمئنوا إليهم في وعد، وإن أحسنوا القول وزينوا الكلام "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝"[2]، "كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝"[3]، "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ.."[4].

٥. عدم الركون مطلقاً إلى الظالمين وإن انتسبوا إلى الإسلام، فلا يستخدموا في أمر من أمور المسلمين، ولا يُعتمد عليهم "وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ .."[5].

---

(١) آل عمران، آية ١١٨.

(٢) آل عمران، آية ١٤٩.

(٣) التوبة، آية ٨.

(٤) الأحزاب، آية ١.

(٥) هود، آية ١١٣.

٦. عدم إلقاء المودة لغير المسلمين الذين نهاهم الله عنهم أو إسرارها لهم ووجوب الغلظة عليهم حتى لا يجدوا منفذاً في خلق المسلم إلى نفسه وخداعه "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝"[1]، "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ"[2]، "وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ"[3]، "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝"[4].

---

(١) الممتحنة، آية ١.

(٢) محمد، آية ٢٩.

(٣) التوبة، آية ١٢٣.

(٤) المجادلة، آية ٢٢.

٧. عدم معاملة غير المسلمين مطلقاً إلا بشروط خاصة تكون فيها دائماً مكانة المسلمين واضحة ممتازة "وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ"[1]، فإما جزية أو دخول في الطاعة وتحت الرعاية..

٨. ألا تكون بين المسلمين وبين الكافرين معاهدة أبداً، فإنهم لا أيمان لهم ولا وفاء عندهم "كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ .." [2]، "فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝"[3].

٩. إخضاع اليهود والنصارى المتمردين بالقتال حتى يأمن المسلمون شرهم، فإنهم إن غفلوا عن ذلك كان وبالاً عليهم "قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝"[4].

١٠. مداومة قتال غير المسلمين ممن لم يكن لهم عهد حتى يستقر الأمن والنظام "وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ .." [5].

---

(١) المنافقون، آية ٨.

(٢) التوبة، آية ٧.

(٣) التوبة، آية ١٢.

(٤) التوبة، آية ٢٩.

(٥) الانفال، آية ٣٩.

هذا ولا ينأ القرآن عن إذكاء روح الجهاد وتوضيح فكرة القتال في نفوس الأمة الإسلامية وإعداد أبنائها لاعتبار الفكرة مبدأً إسلامياً عاماً:

أ. فيقول في وصف المؤمنين إستثارة لعزتهم وإشعاراً لهم بكرامتهم "وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ۝"(1).

ب. ويثبت هذا في نفوسهم عملياً إن أتوه ويوافقهم عليه "وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝"(2).

ج. ويعظم هذا الشعور ويرفعه إلى مرتبة العزة، فيقول "أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ"(3).

د. ثم يوسع لهم في حدود هذه العزة حتى يجعلها موصولة بالله تعالى، فيقول: "وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ"(4).

هـ. ثم بعد ذلك كله (ضماناً لثبات هذا الشعور وامتداده في الزمن وبقاء سلطانه على النفوس) يحدد موقفهم من الأمم ويبين لهم منزلتهم في الوجود ليحافظوا عليها وليستميتوا في سبيلها، فيقول: "كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ"(5).

---

(1) الشورى، آية ٣٩.

(2) الشورى، آية ٤١.

(3) المائدة، آية ٥٤.

(4) المنافقون، آية ٨.

(5) آل عمران، آية ١١٠.

و. ثم يرتفع بهذا جميعاً ويسموا بالفكرة إلى أسمى مراتب الصلة الربانية فيجعلها في مقام الحب من الله تعالى، إذ يقول: "إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾"(1).

ز. ثم يؤكد لهم مع خالص الحب الحقيقة الثابتة وهي النصر والفلاح في الدنيا والآخرة بقوله: "إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾"(2)، " وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ "(3).

ح. ويعدهم فوق هذا بدوام الملك وثبات الدوامة ما داموا محافظين على عهودهم، فيقول: "وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾"(4)، ويقول: "وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ"(5).

ط. ثم يسموا بهم بعد الفوز والنصر واستتباب الأمر عن البطر والرياء والبطش والاعتداء، ويذكرهم دائماً بمهمتهم ويصفهم لأنفسهم وللناس، فيقول: "وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ"، ويقول:

---

(1) الصف، آية ٤.

(2) غافر، آية ٥١.

(3) الصافات، آية ١٧٣.

(4) الانبياء، آية ١٠٥.

(5) النور، آية ٥٥.

"ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ "[1].

٥. ولا يدع الأمر عند هذا الحد بل يجعل هذا الجهاد المتواصل سبب الهدي والإحسان، ودعامة لقيام السلام العالمي على أساس الحب الإنساني، فيقول: "وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ "[2]، ويقول: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ "[3].

وهكذا ترى أن فكرة القتال عند الأمم غير المسلمة فكرة اغتصاب واعتداء وبطر واستعلاء، أما عند المسلمين فهي فكرة تكوين ودفاع وجهاد وإنقاذ وسمو وسلام، وشتان بين الفكرتين، ويبين ذلك بوضوح قول الله تعالى: "ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ "[4].

ونظرة سليمة إلى ما وقع في بيعة العقبة الثانية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين وفد الأنصار تُبين لنا لزوم هذه الفكرة لنفوس المسلمين ونشأها مع إيمانهم من أول يوم شرفهم الله فيه بالإسلام إذ قال الأنصار وكانوا ثلاثة وسبعين ما بين رجل وإمرأة... "تكلم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ لنفسك ولربك ما أحببت"، فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تلى

(١) الحج، آية ٤١.
(٢) العنكبوت، آية ٦٩.
(٣) البقرة، آية ٢٠٨.
(٤) النساء، آية ٧٦.

القرآن ورغب في الإسلام "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم"، وقد كان البراء بن معرور سيدُ قومه وكبيرهم (وكان قد أسلم قبل ذلك) حاضراً فمد يده وقال "بايعناك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر"، ولّما يتم البراء كلامه حتى اعترض أبو الهيثم بن التيهان قائلاً "يا رسول الله إننا بيننا وبين[1] اليهود حبالاً نحن قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا..؟ "، فتبسم النبي عليه الصلاة والسلام تبسم الواثق المطمئن وقال: "بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم"، وهم القوم بالبيعة فاعترض سعد بن عبادة قائلاً "يا معشر الخزرج أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فدعوه، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكه الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة"، فأجاب القوم: إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف.. فمالنا يا رسول الله إن نحن فعلنا ذلك، فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم مستريح النفس "الجنة" فمدوا إليه أيديهم، فبسط إليهم يده، فبايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى قول الحق أينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم".

وما كادوا يتمون البيعة حتى سمعوا صوتاً يصيح بقريش "إن محمداً والصّباء معه قد أجمعوا على حربكم"، وذلك رجل خرج لبعض شأنه فعرف

---

(1) من شروط الإسلام والعمل لله تعالى مقاطعة اليهود في كل شيء مقاطعة تامة، وقد عرفها المسلمون الأولون بفطرتهم قبل أن تثبتها الحوادث لهم فيما بعد.

من أمر القوم قليلاً اتصل بسمعه فأراد أن يفسد عليهم تدبيرهم وأن يدخل في روعهم أن ما بيّتوا بليل افتضح، ولكن الأوس والخزرج كانوا عند عهدهم، فقال سعد بن عبادة بعد أن سمع هذا المتجسس "يا رسول، والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منىً غداً بأسيافنا"، فأجاب النبي عليه الصلاة والسلام "لم نُؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم".

لم نُؤمر بذلك:

بهذه الكلمة البليغة الحكيمة اتضح أن القتال عند المسلمين في ذلك الوقت كان فكرة فقط، ولم يكن بعد مبدأ لعدم تهيؤ الظروف، فضلاً عن أن يكون عقيدة تحتمها دواعي الدعوى، ولكنها كانت فكرة سليمة نقية واضحة لا لبس فيها ولا غموض، فكرة عرفها كل مسلم وتبينها في بدء إسلامه ولم يُؤخذ بها أحد بغتة أو قسراً (فسبحان الله الواحد القهار).

وثانياً في

المبدأ

إذا صحت الفكرة وتقررت على هذا الوضع السليم والأساس المتين في النفوس الطيبة الصالحة أصبحت بحكم الحاجة من لوازم الحياة العالية وارتقت في نظامها إلى أن تكون مبدأ من مبادئها وقانوناً من قوانينها لا يجوز التخلي عنه أو تأخير العمل به، وإنما يجب التمسك به والإصرار عليه والاستعداد له والأخذ به؛ ولذلك لمّا نضجت الفكرة في نفوس المسلمين ووسعتها حياتهم أخذت تتحول بطبيعتها طبقاً لنظام الحياة وقانون الترقي إلى مبدأ ثابت، حبب إليهم وسمح لهم بالحفاظ له وأمروا بالأخذ به والمحافظة عليه.

ففي تحبيبه لهم يقول الله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿﴾"[1].

وفي الحفاظ له يقول: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿﴾"[2].

وفي الأمر بالأخذ به يقول: فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ..." [3].

وفي الأمر بالمحافظة عليه يقول: "وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿﴾"[4].

ولا بد للوضع الجديد في الحياة الإسلامية أن يُؤخذ بهذا المبدأ ليكون سبيل تمحيص واستخلاص "لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ"[5]، قال تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿﴾ .." [6]، وليكون كذلك شرطاً من شروط الجزاء، ولكي لا

---

(1) آل عمران، آية ١٦٩-١٧٠.

(2) محمد، آية ٧.

(3) البقرة، آية ١٩٤.

(4) البقرة، آية ٢٤٤.

(5) آل عمران، آية ١٧٩.

(6) آل عمران، ١٤٢.

يكون هناك حجة لمن لم يكن صالحاً لهذا الأمر أمام الله وأمام الناس.. قال تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ"[1].

وقد تقرر هذا المبدأ بعد ذلك تقريراً ثابتاً وأصبح قاعدة من قواعد الدين وكتاباً على المؤمنين وإن كان شديداً على بعض النفوس، قال تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"[2].

وعند المناداة بهذا المبدأ القويم ودعوة الأمة للأخذ به كضرورة قصوى لحياة المجتمع الإسلامي تعتري بعض النفوس حالات هي في الواقع دلائل على نقص الإيمان وضعف اليقين:

فتعارض المبدأ بمشاعرها وحواسها وظاهراً وباطناً، لا لعدم صلاحيته ولكن لاصطدامه بشعور أصحابها بالمحافظة على الذات على نحو خاص، وهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول:

صنف يكره القتال ويجادل فيه، وإن كان مؤمناً به مقتنعاً بضرورته وليس بالجبان ولا بالبخيل، ولكن لأنه ينفر من القتال بالطبع لرقة عاطفته

---

(1) آل عمران، آية ١٤٢.

(2) البقرة، آية ٢١٦.

ومرهف إحساسه، ويراه آخر ما يلجأ إليه المسلم وإن جاء في وقته.. وواجب هذا الصنف أخذ النفس بالشدة، والتصبر على مواقف البأس ورؤية الدماء، وقياس الأمور بضروراتها لا بعواطفهم، وقد قال الله في حقهم لرسوله الكريم: "كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ "[1].

الصنف الثاني:

صنف ضعيف الإيمان في قلبه مرض وفي عزيمته تردد لا ينكر ولا يدفع ولكنه رعديد جبان لا يقول ولا يفعل، يحاول التأويل ويلجأ إلى التسويف ويتحاشى الموقف ويتمنى التخلي عنه، وينظر إلى المتكلمين فيه نظر المغشي عليه من الموت.

والأولى بهذا الصنف تجديد التوبة وحسن الطاعة والتشجع والعمل المتواصل الذي لا يترك للوهم فرصة يتسلط فيها عليهم والإسراع إلى ميادين الجهاد لإغراق هذه الهواجس في زحمتها والتخلص من هذا الضعف في محيط القوة، والأولى بهم كذلك صدق العزيمة ورباطة الجأش وارتقاب النتيجة في رجولة وعزة.

(1) الانفال، آية ٥-٧.

وفيهم يقول الله تعالى: "وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝ "[1].

الصنف الثالث:

وهذا صنف عجيب، فإنه يظن أن الإسلام صلاة وصوم وزكاة وحج وكف اليد ثم الإطمئنان إلى الدنيا والإنغماس فيها والبعد عن الجهاد في سبيل الله وحمل دينه إلى الناس وحمايته من المعتدين عليه، وإذا دعى إلى ذلك نسي أنه صاحب رسالة الإسلام ونسي أن المسلم لا يكون مسلماً حقاً إلا إذا أحاط بدين الله كله وعمل به كله، وهذا الجهل والجبن من الصنف بمكان بعيد، فإنه إن دعى لجهاد أو صدفة استنكر قوته وتجهم لمهمته وإن نادى منادي القتال انخلع قلبه وطارت نفسه شعاعاً، واعترضته أعراض نفسية عجيبة فاتجه بخاطره السريع إلى خصمه وتوهم قوته فيأخذه الهول ويتولاه الجزع فيعود إلى نفسه فيراها خاوية عزلاء مقهورة، فتخور قواه ويصرع أمام وهمه قبل أن يبارز عدوه، فإذا به يحيص أمام الحق ويراوغ عند الأمر ويجادل ويعترض ويطلب التأجيل، فقد غشيته الرجفة وسرى الموت إلى نفسه وأحاطت به الهزيمة وتولاه الشيطان.

---

(1) محمد، آية ٢٠-٢١.

وقد وصف الله تعالى هذا الصنف بقوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ .."[1].

ودواء هذا الصنف قد وضعه الله تعالى وهو العليم الخبير بأدواء خلقه ودوائهم في أربعة عناصر تأخذ على نفوسهم مسالك الهرب وعلى الشيطان طريق الوصول اليهم، وهذه العناصر هي:

العنصر الأول:

هو أن يتخلص هذا الصنف من حب الدنيا، ويتحرر من سلطان المادة عليه فلا يركن إليها ولا يطمئن بها، وليس معنى هذا التخلي عنها وعدم الانتفاع بها كلا، فإن الله خلق لنا ما في الأرض جميعاً وجعل طيبه وزينته للذين آمنوا.. وإنما يصحب تملكها والتحكم فيها الترفع عليها والزهد فيها والتطلع إلى ما عند الله، والإيمان الثابت بأن متاعها قليل وعمرها قصير.

العنصر الثاني:

هو أن يوقن بأن الآخرة هي الباقية وأن متاعها عظيم وملكها دائم وحياتها مطلقة وبأن وعد الله حق...

العنصر الثالث:

هو الإيمان الصادق والرضى السليم بالجزاء العظيم الذي وعد الله به المقاتلين في سبيله والمنفقين في دعوته وبالتشوق إليه..

---

(1) النساء، آية ٧٧.

العنصر الرابع:

هو الإيمان الذي لا ريب فيه بأن الموت لا شك مُدرك الناس جميعاً مهما تحصنوا منه في القلاع والدروع.

وبتأكيد هذا وتحقيقه في النفوس يمكن للجبان أن يتحرر من قيود الشيطان ويتخلص من أوهام الجبن ويتجرد من النفس، ويستعيد إيمانه الفطري ويصالح ربه القوي ويصبح شجاعاً مقداماً، فالجبن سوء ظن بالله، والقتال وسيلة من وسائل تطهير النفوس وتمحيصها...

وهذا الدواء الشافي في قوله تعالى: "قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ..."[(1)].

وفي تثبيت هذا المبدأ وإقراره يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا ألاّ إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأنفسهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله".

وتاريخ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه حافل بالعبِر وبالدلائل التي تُؤيد عملياً هذا المبدأ القويم، فمما يُروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه اجتمع بفريق كبير من أصحابه ليلة بدر قبل أن يستنفرهم إليها وسألهم بقوله: "كيف تقاتلون؟" فقام إليه شاب من الأنصار قوي القلب قوي الإيمان قوي الجسم يحمل كل معدات القتال في ذلك الوقت، وهي السيف

---

(1) النساء، آية ٧٧- ٧٨.

والرمح والقوس والكنانة وهو عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ووقف أمامه وقفة الجندي المستعد للقتال، وأمسك القوس والسهم وقال: يا رسول الله إذا كان العدو على مائتي ذراع كان التراشق بالنبل (ورمى بإحداها) ثم أمسك رمحه وأخذ يحركه بيد الخبير المُجرب، ثم قال: فإذا كان قيد رمح كانت المداعبة بالسنان... ثم ركزه في الأرض واستلّ سيفه وأخذ يقفز ويضرب به الهواء كأنه يُقارع خصمه وهو يقول: حتى إذا التحم الجيشان وتلاقى الأقران وتواجهت الأبطال كانت المجالدة بالسيف حتى يُظْهرنا الله على عدوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أُنزلت الحرب، من قاتل فليُقاتل كما يُقاتل عاصم"، هكذا أُنزلت الحرب... يا لها من كلمة أكبر من التعليق.

وعن السدوسي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه، فاشترط عليَّ شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسولُ الله، وأن أُقيم الصلاة، وأنْ أؤدي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أُجاهد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما اثنتان فوالله ما أطيقهما الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أن من ولّى الدبر فقد باء بغضب من الله، وأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت، والصدقة فوالله مالي إلاّ غنيمة وعشرة ذودهن رسل أهلي وحمولتهم، قال: فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها ثم قال: "فلا جهاد ولا صدقة، فلم تدخل الجنة إذن؟"، قال: قلت يا رسول الله أنا أبايعُك، فبايعت عليهن كلهن.

وثالثاً في:

العقيدة

التسليم بصحة المبدأ والإيمان به واعتناقه والاستقامة عليه مع الإخلاص له يجعله في النفوس الزكية عقيدة راسخة رسوخ الجبال، باقية بقاء الليل والنهار، يفخر بها صاحبها، ويجهر بالسعادة بها، ويحافظ عليها بدمه وماله، ويحرص على إبرازها واضحة بالدعوة والعمل.

ولا تتحوّل المبادئ إلى عقائد إلاّ إذا كانت فطرية كاملة وكانت النفوس التي تحتملها كبيرة خالصة مهيئة لتحمل الأعباء والثبات في مواطن اليأس.

والعقيدة هي الشعور الصادق بوجوب العمل بالمبدأ السامي الذي تقرر بالفكرة السليمة، وبالعقائد تتسم النفوس، وتتميز العقول، وتتكون الشخصيات وتتحدد الغايات، وتُبنى الأمم، ويملأ التاريخ، ومن كانت عقيدته أسمى من حياته وأكبر من دنياه، فهو أحق الناس بمجد الدنيا وسعادة الاخرة، ومن كانت عقيدته القتال وأسمى أمانيه الموت في سبيل الله، صغُر أمامه كل كبير، وتحطم في طريق همته كل عائق، وتواضعت الدنيا جميعاً تحت قدميه.

وفي قول أبي بكر رضي الله عنه: "احرص على الموت توهب لك الحياة".. سر الإيمان بهذه العقيدة وأثرها في حياة معتنقيها.

وفي هذا المقام تتجلى عزة الإسلام وروعته، وإعجاز القرآن وحكمته، حيث اُعتبر القتال في سبيل الله أسمى العقائد الإسلامية، وأفضل الأعمال الربانية، وجعل درجة المجاهدين أعلى درجات المسلمين، فيقول الله تعالى: "لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ

وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾"[1].

وأبرم القرآن الكريم عقداً ربانياً مسجلاً في التوراة والإنجيل والقرآن مرعياً بضمان الله تعالى بين المقاتلين في سبيل الله وبين ربهم سبحانه وتعالى بأن لهم الجنة، حيث قال: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾"[2].

وجعل سبيل المسلمين في حياة جهادهم المديدة في خمس طبائع من تنكب عنها أو عن واحدة منها فهو مُرتد وليس من المسلمين، وهي:

١. الحب في الله.
٢. الرحمة المطلقة للمسلمين والذلة عليهم.
٣. العزّة على الكافرين، والشدة على أعداء الله.
٤. الجهاد الدائم بالنفس والمال في سبيل الله.
٥. مراقبة الله في كل أمر وعدم المجاملة أو الخوف فيه.

---

(١) النساء، آية ٩٦.

(٢) التوبة، آية ١١١.

وهي مجموعة في قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ "[1]، ويقول فيمن سلك غير هذا الطريق: "وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ "[2].

ولا يعترض هذه العقيدة السامية في سلطانها العام على المحيط الإسلامي إلا بعض الأمراض النفسية التي تظهر أعراضها عليهم في وقتها المناسب، وقد عرّفنا الله سبحانه وتعالى بأصحاب هذه الأمراض تعريفاً دقيقاً ووضع لكل داء دواءه لينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم.

وأصحاب هذه الأمراض اثنا عشر صنفاً، هم:

١. القاعدون:

وهم طائفة آمنوا كما آمن الناس، وأسلموا لأن الناس أسلموا، لا يفقهون الإسلام، ولا يعرفون الإيمان، يعيشون كالأنعام، ويموتون كالهوام، لا يقومون لنصره لأنهم لا يدركون، ويتخلفون لأنهم لا يفقهون، أولئك هم الغافلون، وهؤلاء أمرهم إلى الله، لأنهم لا خوف منهم ولا معوّل عليهم، ولهم أعمال دون ذلك " وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ "[3].

---

(1) المائدة، آية ٥٤.

(2) النساء، آية ١١٥.

(3) النساء، آية ٩٥.

٢. المتثاقلون:

وهم الذين يتثاقلون مع إيمانهم بلزومه ورضاهم عنه لركونهم قليلاً إلى الدنيا ركوناً قد يُخفى عليهم، ودواؤهم تبصيرهم بحقيقتهم على نور القرآن ولفت نظرهم إلى واجبهم، وتنبيههم إلى أن الآخرة هي الباقية، وأن التكاسل عن الجهاد يؤدي إلى تمكّن العدوّ منهم وإذلالهم بعد ضياع الأمر من أيديهم وتخلّي الله عنهم، واستبدال غيرهم بهم، فيهبوا إلى الله تائبين، ويكفيهم قول الله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝"[1].

٣. المتباطئون:

وهم الذين تطغى عواطفهم عليهم، وتسيّرهم أهواؤهم من غير تبصرة، وإيمانهم فرديّ فلم يرتقوا بعد إلى الإيمان بالجماعة والدخول في الطاعة، قهر القرآن عقولهم، ولم يُصلحوا به حياتهم، ويطهروا بنوره قلوبهم، فتراهم لا يتسابقون إلى الخير العام، لا عن عصيان أو تمرد، ولكنهم انصرفوا جهلاً

(١) التوبة، آية ٣٨- ٣٩.

وضلالاً، أو ترقب خاطئ لأمر موهوم يغلب الطمع والأثرة على نفوسهم وليس عندهم إيثار أو تضحية، ودواؤهم الإدماج قسراً في المحيط العملي العام، وإرغامهم على الجهاد والإنفاق وتحمّل المسئولية، وفيهم يقول الله تعالى: "وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾"[1].

٤. المترفون:

وهم الأغنياء القادرون الذين شغلتهم أموالهم وأولادهم وأنفسهم عن الله، ورضوا بالتخلف عن الواجب، وصدّق عليهم إبليس ظنه، لانطباع قلوبهم على الجهل، وإنصراف نفوسهم عن الخير، وإنطوائها على الشحّ، وهم أهل رياء وختل، يبرّرون أعمالهم بالحلف والاعتذار، وهؤلاء يجب التخلي عنهم وعدم الركون إليهم، أو انتظار الخير منهم، وفيهم يقول الله تعالى: "۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا

---

(1) النساء، آية ٧٢- ٧٣.

عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ "[1].

٥. المتربصون:

وهؤلاء وإن آمنوا بالإسلام كدين إلا أهم لم يعتنقوا مبدأ القتال كوسيلة لحمايته، ولا يستطيعون إنكاره، ولكنهم يلجأون إلى الحيَل المكشوفة للتخلص من تبعاته جُبناً وبُخلاً وكذباً ويتقدمون إلى أولي الأمر بأعذار هُم أعلم الناس ببطلانها.

وإن أصاب المجاهدين خيرٌ تألموا له، وإن أصابهم شرٌ فرحوا له، يتربصون بهم الدوائر، ويترقبون لهم الهزيمة؛ ليتخلصوا بهذا من عبء ما في نفوسهم ومن الوضع الذي اضطرهم إليه الإسلام، وهؤلاء دواؤهم التشهير بهم، وتوضيح أمرهم ليعلم المسلمون جميعاً حقيقتهم، وليعلموا أهم مُدركون، وقد قال الله تعالى في حقهم: "وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ

---

[1] التوبة، آية ٩٣-٩٦.

هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾"[1].

٦. اليائسون:

وهم طائفة من المسلمون خافوا على أنفسهم وأساؤوا الظن بربهم، يخفون ضعفهم، ولا يبدون للناس على حقيقتهم، لهوانهم وصغرهم في قرارة نفوسهم، وإيمانهم نظري لم يصل بعد إلى المسئولية العملية، يعيشون بحسيّاتهم المقهورة، ويقدرونها بقواهم المنهارة، ولا يتشعرون بقوة الحق ولطف الله ومدده، ولا يثقون بعهده، ولا يطمئنون إلى وعده، فتراهم يعترضون بالكلام على كل شيء، ولا يقدرون على عمل شيء يتربصون ويترقبون، وإن فوجئوا يفرّون ولا يثبتون، ودواؤهم أن يُذكّروا بأيام الله في حياة الأنبياء والمرسلين ومواقف البطولة في التاريخ الإسلامي فعسى الله أن يهدي منهم أحداً، وأخذهم باللين ومعاملتهم باليسر أولى وافضل حتى تستقر نفوسهم، وتطمئن قلوبهم شيئاً فشيئاً، قال الله تعالى فيهم: "وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ

---

[1] التوبة، آية ٥٢.

مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿﴾"[1].

٧. المرتابون:

وهم فئة المترددين الذين لا ثقة لهم في أنفسهم ولا في غيرهم، لا يريدون عملاً، ولا يعدون عدّة، وليت الأمر يقف بهم عند هذا الحد، إذن لهان الخطب واُعتبروا من اليائسين، ولكنهم يلبسون غيرهم ثيابهم، ويشيعون صفاتهم في نفوس المجاهدين ويخذلون ويسارعون في الفتنة، وفي الناس سماعون لهم، ويفعلون هذا إشباعاً لشهواتهم، واستجابة لطبعهم، وتغطية لموقفهم، وحقداً على غيرهم.. وهؤلاء يجب نبذهم، والضرب على أيديهم والتخلص منهم، لأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وإن زعموا أنهم مؤمنون، وفيهم يقول الله تعالى: "إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿﴾"[2].

---

(1) آل عمران، آية ١٥٤.

(2) التوبة، آية ٤٥-٤٧.

٨. المتخلفون:

وهم نوعان، النوع الأول:

تخلف عن أول موقف وأعرض عن أول نداء بغير عذر، لا جُبناً ولا بُخلاً، ولكن كيداً وحقداً ولم يكُف عن المجاهدين لسانه وشره، وهم طائفة من الناس إيمانهم تقليدي أو وراثي، ومن أخص صفاتهم أنهم لا يعترفون بخطئهم، ولا يشعرون بنقصهم، ولا يؤمنون بنفاقهم ويعتقدون أنهم على الحق، ويصرّون على باطلهم مهما بُصّروا ولا ينظرون قط في إصلاح أنفسهم، ينشطون في تثبيط الهمم، واعتراض العزائم، والصد عن الخير، ويعملون لغاية ولغير غاية في الظاهر والباطن، وهؤلاء يُؤخذون بالشدة ووسائل القمع التي تذلهم وتقهرهم وتقي المسلمين شرهم، قال الله تعالى في وصفهم: "فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝". وقال: "فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ۝"[1].

---

(1) التوبة، آية ٨١- ٨٣.

والنوع الثاني، صنفان:

صنف تخلف لا عن عذر ولا عن كره ولكن جهلاً وغفلة، وهذا نترك له فرصة التربية والتجربة، كما قال تعالى: "قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ "[1].

وصنف يعرف دعوته ويُقدّر مسئوليته وله في الجهاد مواقف مشهودة وأعمال مجيدة ولكنه أخطأ مرة وتخلف لأمر ما فهذا شأنه شأن الثلاثة الذين خلفوا وحكمه حكمهم في التوبة وما علينا قبل أن نسوق قصة الثلاثة الذين خلفوا إلا أن نقول لهم قول الله تعالى: "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ "[2].

وهذه قصة الثلاثة الذين خلفوا من غير تعليق أو تحليل، ففيها الكفاية والهداية إن شاء الله... -قال كعب بن مالك رضي الله عنه أحد الثلاثة الذين خلفوا- لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني تخلّفت في غزوة بدر ولم يُعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ممن تخلّف عنها إنما خرج عليه السلام يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس، وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك أني

---

(1) الفتح، آية ١٦.

(2) النور، آية ٦٣.

لم أكن قط أقوى مني ولا أيسر مني حالاً حيث تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز مقفرة واستقبل عدواً كثيراً فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، وأخبر الناس بوجهتهم التي يريدون، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ فكل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك يخفي ما لم يترل فيه وحي من الله تعالى، وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال، وتجهز عليه السلام والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل يتمادى لي ذلك حتى استمر الناس بالجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه، ولم أقض شيئاً فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت فلم يُقدّر لي ذلك، فطفقت أن خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني ألا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب بن مالك"، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه حب برديه والنظر في عطفيه، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئسما قلت، والله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال كعب فلما بلغني أن النبي عليه الصلاة والسلام توجه قافلاً من تبوك طفقت أذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخط الله غداً واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إنّ رسول الله صلى الله

عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عني الباطل حتى علمت أني لم أنج منه بشيء أبداً فأجمعت على الصدق، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسّم المغضب ثم قال: "تعالى"، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال: "ما خلّفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟"، فقلت: يا رسول الله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً، ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني يوشك أن يسخطك الله عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه أني لأرجو فيه عفو الله، والله ما كان لي من عذر وما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك"، فقمت وسار رجال من بني سُلمة فاتبعوني وقالوا: ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المخلّفون.

لقد كان كافيك استغفار الرسول عليه السلام، وما زالوا يؤنبونني حتى كدت أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب على نفسي.. قال ثم قلت لهم (هل لقي هذا معي أحد)، قالوا: نعم، لقيه رجلان قالا مثلما قلت، وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لك، قلت: من هما؟، قالوا: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية، فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فقلت لي فيهما أسوة، ومضيتُ حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى

أنكرت في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه فأسلّمْ عليه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا، ثم أُصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإن أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عنّي حتى إذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائطاً لأبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله، هل تعلمني أحب الله ورسوله، فسكت، فعدت فناشدته الله، فقال "الله ورسوله أعلم"، ففاضت عيناي وتوليت، فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه في المدينة يقول من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع لي كتاباً من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته فإذا فيه (أما بعد، فإنه بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا بضيعة فألحق بنا نواسك)، فقلت حين قرأته، وهذه الرسالة أيضاً من البلاء فألقيتها في التنور فسجرتها، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي، فإذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل إمرأتك، فقلت ألحقي بأهلك فكوني معهم حتى ينقضي هذا الأمر، فجاءت إمرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله: إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه، قال: "لا، ولكن لا يقربنك"، فقالت: والله ما به حركة إلى شيء، فوالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، قال كعب: فقال بعض أهلي لو استأذنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهلك، فقلت: وما يدريني ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، ثم لبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كمل لنا خمسون ليلة من حيث نُهي عن كلامنا، قال: ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحالة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى عنا قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت وضاقت عليّ نفسي سمعت صارخاً وَفَى على (سلع[1]) يقول بأعلى صوته: يا كعب ابن مالك أبشر فقد تاب الله عليك، فخررت ساجداً لله تعالى، وعلمت أنه قد جاءني الفرج، وآذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله عليّ حين صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا وذهب قِبلَ صاحبيّ مبشرون، وركض وجلٌ إلى فرس ومعه ساع من أسلم هو حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه وأوفى رجل على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي له فكسوته إياه ببشارته، والله ما أملك غيره يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة، يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبدالله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وتلقاني، والله ما قام لي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور قال: "ابشر بخير يوم مر عليك من يوم ولدتك أمك"، قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله، قال: "بل من عند الله"، وكان صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق، وإن

---

(١) اسم جبل بالمدينة.

من توبتي ألاّ أحدّث إلاّ صدقاً ما حييت، قال: فوالله ما زلت في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا إني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

والآية التي نزلت في الثلاثة هي قوله تعالى: "وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ....."، "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ "[1].

٩. المعوقون:

وهم الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون أيان يوم الدين، وهم الضعفاء الخطرون، والأشحّاء الممسكون، والجبناء الغاشون، والخبثاء الصادون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، يسلقون المؤمنين، ويلمزون المطوعين، ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً، لا يساعدون في خير ولا يتعاونون على بر، يفرحون إن أصاب المسلمين الشر ويحزنون إن جاءهم الخير، وإن جاء الفزع واشتد الخوف لاذوا بالمسلمين واحتموا بهم وتوددوا إليهم، وهم الذين "وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ "[2]، وهم "ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ "[1]، وقد

---

(١) التوبة، آية ١١٨-١١٩.

(٢) آل عمران، آية ١٥٦.

فضحهم القرآن الكريم في قول الله تعالى: "﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ "(٢).

ودواؤهم الإحاطة بهم ومعاقبتهم بأقسى العقوبات حتى يكونوا عبرة لغيرهم...

١٠. المرجفون:

وهم عين العدو ولسانه في المحيط المسلم، وهم أشد منه خطراً لأنهم ينتسبون إلى الإسلام وغير ظاهرين ولا محدودين، ومهمتهم إضعاف العقيدة العامة وبلبلة الأفكار والتأثير في الرأي العام لخلق الشائعات الكاذبة ونشر الأخبار المغرضة وترويج الوقائع الباطلة عن شهوة خاصة وسوء قصد وصلة بالعدو والمرجفون أخطر من سبقهم من أصحاب النفوس المريضة، لأنهم يؤدون عملهم بتدبر وفي الخفاء، وهؤلاء الغامضون يجب أولاً البحث الدقيق عنهم ثم أخذهم بسلطان قول الله تعالى: "إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ .."(٣) ولا علاج لهم إلا هذا.

---

(١) آل عمران، آية ١٦٨.

(٢) الاحزاب، آية ١٨-١٩.

(٣) المائدة، آية ٣٣.

وقد قال الله للنبي في حقهم ومن على شاكلتهم "﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ "[1].

١١. المنافقون:

هؤلاء هم الذين لا يمكن تبين نياتهم بسهولة، إذ أن ظاهرهم يدل على حسن نيتهم وباطنهم يدل عليه بعض أعمالهم، "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ "[2]، ويؤدون مهمة القاعدين والمخلفين والمرجفين والمعوّقين جميعاً، وهم ألوان شتى يصعب تمييزهم، إلا أنهم يشتركون في صفات عامة، منها أنهم يتهافتون على إظهار حسن نياتهم وعواطفهم الطيبة كذباً وخداعاً بمناسبة وبغير مناسبة، وموافقتهم في المواجهة على كل أمر بغير مناقشة وهم من وراء ذلك يتلمسون المغامز وينتهزون الفرص فيبيتون ويكيدون، وإذا دُعوا إلى الإنفاق اعتذروا بلباقة وإن وعدوا سوّفوا وإن دُعوا إلى الجهاد قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم يُعرفون في لحن القول والتواء القصد، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، وهم

---

(١) الاحزاب، آية ٦٠- ٦٢.

(٢) البقرة، آية ١٤.

الذين يتخذون من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة، ويقولون إن أصاب المسلمين البلاء وما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ويتخذون ما ينفقون مغرماً ويتربصون بهم الدوائر، وتراهم يركنون إلى الأعداء ويعملون معهم سراً وعلانية ويبتغون عندهم العزة...

ويختلف خطرهم باختلاف نوع النفاق الذي عندهم وعقابهم واحد إلاّ من كان ضعيفاً لا صلة له بالعدو مثل الذين قال الله تعالى في حقهم "وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ"(1)، وآيات التعريف عليهم في القرآن الكريم كثيرة وعلاجهم بحسب درجتهم من النفاق.

فمنهم من يُعامل معاملة المرجفين ومنهم من تُترك له فرصة التوبة، كما قال تعالى: "فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"، فإن لم يفعلوا حقّ عليهم حكم بقية الآية الكريمة "فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝"(2)، ومنهم صنف مبهم شديد الخفاء هو أشدهم خطراً وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بالإحاطة بهم كما في قوله: "وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ"(3)، ومنهم من إذا كشف أمره وأُنذر فلم يتب طُبّق عليه قول الله تعالى: "فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا

(1) التوبة، آية ١٠٦.

(2) النساء، آية ٨٩.

(3) التوبة، آية ١٠١.

مُّبِينًا ﴿﴾"[1]، ومن العجب أن المنافقين يمتازون بكثير من الذكاء ولكن نقصهم الخلقي هو الذي يدفعهم إلى المواقف المرذولة، ولولا حب الجاه والمال ومتاع الحياة الدنيا والحسد لكان لهم شأن غير ما هم فيه، وهم على اختلاف ألوانهم "المنافقون والمنافقات بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿﴾"[2].

١٢. المتجسسون:

وهم أخطر الجميع وأقدرهم على إخفاء أنفسهم، وهم قوم لا ذمة لهم ولا ضمير اشترى العدو دينهم بدنياه، وهم مندمجون في كل جماعة مندسون في كل وسط مشتركون في كل ناد يتسقطون الأخبار ويتصيدون الأسرار، أتقنوا مهمتهم إتقاناً عجيباً، فهم لا يرجفون أبداً ولا يعرفون أحداً حتى لا تتجه إليهم الأنظار ولا تتطرق إليهم الظنون، يصغون ولا يسألون ويستمعون ولا يتكلمون ويفعلون ولا يقولون، متيقظهم كالنائم وغافلهم متنبه، وكثير منهم من تصل به جرأته إلى أن تصدر المحافل وتزعم الحركات وقيادة الصفوف لأنه أتقن من قبل فن "التحمس" والاندفاع والإنفاق السخي، وهم في محيط المسلمين أخفى من الشرك في قلب المؤمن.

(١) النساء، آية ٩١.

(٢) التوبة، آية ٦٧.

وقد قال الله عنهم: "وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ"[1]، وقال فيهم: "إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿﴾"[2]، وهم بادون في كل مكان يسألون عن الأنباء بغير طريق الناس في السؤال، وقد وعد الله تعالى المسلمين بأنه سيحيطهم بعلمه وقهره، ومع هذا فعلى المسلمين أن يتعرفوا عليهم ويتحسسوا أخبارهم وأن يقعدوا لهم كل مرصد.

ومن المسلمين من تصيبه الغفلة أو تدفعه العاطفة أو تقهره الحاجة فيبلغ العدو بطريقة ما بعض ما يهمه عن المسلمين، وفي هذا جناية على الإسلام وخروج عليه وخيانة عظمى لأهله ونظامه، جزاؤها الإعدام.. وفي قصة أبي لبابة الأنصاري رضي الله عنه مع بني قريظة، وكتاب أبي بلتعة رضي الله عنه أيضاً إلى قريش رادع أي رادع لكل من يغفل أو يفلت زمام نفسه من المسلمين، وقد قال الله سبحانه في الأول: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿﴾"[3]، وقال سبحانه في الثاني: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿﴾"[4].

---

(1) الانفال، آية ٦٠.

(2) النساء، آية ١٠٨.

(3) الانفال، آية ٢٧.

(4) الممتحنة، آية ١.

قصة أبي لبابة

لما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة ووجدوا ألا مفر منه طلبوا إليه أن يرسل إليهم أبا لبابة بن عبدالمنذر وكان حليفاً لهم ليستشيروه، فلما أرسله إليهم ورأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ لهم.. وقالوا له يا أبا لبابة أترى أن نترل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار إليه بيده إلى حلقه "إنه الذبح" قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله... "بإذاعته سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم" ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ربط نفسه في المسجد إلى عمود من أعمدته، وقال لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله ألا يطأ بني قريظة أبداً، وقال لا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال: "أما لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه"، ثم إن توبة أبي لبابة أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم سُلمة، فبشرت أبا لبابة بذلك ثم أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قصة أبي بلتعَة

كان حاطب بن أبي بلتعة البدري حليف بني أسد، فلما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز للغزو وتوقع أنه يريد مكة فأراد أن يكون له عليهم يد، فصانعهم وأرسل إليهم كتاباً يخبرهم فيه بغزو النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأرسله مع إمرأة واستأجرها بعشرة دنانير وقال لها أخفيه ما

استطعت ولا يراك أحد، فأخفت المرأة الكتاب في شعرها وفتلت عليه قرونها ثم خرجت به، وأخبر الله نبيه، فبعث في أثرها علياً بن أبي طالب والزبير بن العوام فلما أدركاها وسألاها أنكرت أولاً ثم لما وجدت منهما الإصرار طلبت منهما أن يعرضا عنها فأعرضا فأخرجته من شعرها ودفعته لهما فأتيا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه السلام حاطباً فقال: "يا حاطب ما حملك على هذا؟"، فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرءً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني أضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما يدريك يا عمر.. لعلّ الله قد اطلع على أهل بدر يوم بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، فأنزل الله عز وجل في حاطب هذا: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ

تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"[1].

وليس لنا على هذه القصة تعليق إلا أنه لم ينج حاطب من سيف عمر إلا بأسبقيته في بدر وشهادة النبي له ووقوفه صلى الله عليه وسلم مدافعاً له "لا عنه" ولولا ذلك لأُخذ بالسيف.

ولهذا كله كانت تنقية صفوف المجاهدين وتمحيصهم أمراً ضرورياً لا محيص عنه للقائد الذكي المبصر، والقتال في سبيل الله ليس كالقتال لأمر الدنيا، فلا يدخل في زمرة المجاهدين إلا المسلمون أولاً ولذلك رد النبي صلى الله عليه وسلم أعرابياً مشركاً كان يريد القتال في صفوف المسلمين قائلاً له: "لا يقاتل معنا إلا مسلم"، فالمسلمون لا يستعينون بالمشركين أبداً ولا يقاتل إلا من صفت قلوبهم واطمأنت أنفسهم وطهرت نواياهم وأرادوا الموت في سبيل الله "هذه الصفات الخاصة منهم"، ولذلك كان الواحد منهم بعشرة والله يضاعف من يشاء، وأما الذين خرجوا لأمر الدنيا فهم غثاء كغثاء السيل.

هذا والإيمان بالمبدأ والمحافظة على العقيدة أمران لازمان للمجاهد المؤمن لا بد أن يكون على علم ومعرفة بما حُشد له.

وفي قصة طالوت عليه السلام في القرآن الكريم من سورة البقرة عملية دقيقة في اختيار القيادة وتنقية الجنود وتصفيتهم، وذلك من قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى .."[2] إلى قوله تعالى:

---

(١) الممتحنة، آية ٤.

(٢) البقرة، آية ٢٤٦.

"فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ .."[1]، فيجب قراءتها والتدبر فيها وتطبيقها عملياً على كل حالة تناسبها، وقد فعل نبينا صلى الله عليه وسلم مع جنوده المخلصين مثل ذلك لما خرج لبدر، فليطلع عليها في كتب السيرة من يشاء.

ولما انتقى رجاله أخذ يستشيرهم، فأدلى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما برأيهما، ثم قام المقداد بن الأسود رضي الله فقال: "والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكنّا نقول لك إنا معكما مقاتلون، والله لنقاتلن عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك ولو خضت بنا بحراً لخضناه معك ولو علوت جبلاً لعلوناه معك، ولو ذهبت بنا برْك الغماد لتابعناك"، فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك تابعوه، فأشرق عند ذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم لأنه تبين صدق العزيمة وقوة اليقين وسلطان العقيدة عند المهاجرين.

ولكن الأنصار، الأنصار الذين بايعوه عند العقبة في البيعة الثانية إنهم كذلك يجب معرفة اليقين عندهم وسلطان العقيدة عليهم، لذلك قال عليه السلام للمرة الثالثة: "أشيروا عليَّ أيها الناس" فلما أحس الأنصار أنه يريدهم، وكان سعد بن معاذ صاحب رايتهم ورأيهم، التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "لكأنك تريدنا يا رسول الله"، قال: "أجل" قال سعد: "يا رسول الله لقد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليها ألا ينصروك إلا في ديارهم وإني أقول عن الأنصار

---

[1] البقرة، آية ٢٥١.

وأجيب عنهم: صل حبال من شئت واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت وعادِ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تابع لأمرك، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإنّا لصُبُرٌ على الحرب صُدق عن اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فَسرْ على بركة الله فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك"، فسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين"...

والخلقي أولاً في:

آداب القيادة

وهو تهيئة النفوس المؤمنة لمواقف البطولة بتربيتها تربية سليمة وإعدادها إعداداً صحيحاً لمهمتها والصبر عليها والثبات في البأساء والضراء وحين البأس.

ولقد كانت الحرب في الإسلام خيراً على المسلمين، فأعزهم في ديارهم ومكنتهم من أعدائهم وملكتهم ما لم يملكون، ونشرت دعوهم وأطلقت سلطانهم في العالمين.

والإعداد الخلقي هو الشحنة الروحية والقوة المعنوية التي يجب بعثها في نفوس المسلمين ونشرها في محيطهم وتصريفها بينهم، ولقد أعد القرآن الكريم منهجاً عالياً ليس في طاقة البشر أن يأتوا بمثله، وقبل البدء في ذكره يجب علينا أن نلفت الأنظار إلى أمرين مهمين:

أولهما: أن المبادئ الوضعية على قصورها وطغيانها تجد لها من الأتباع والجنود من يؤمن بها ويدافع عنها.

ثانيهما: أن طبيعة القتال وهي سنّة الله في خلقه وفطرته التي فطر الناس عليها يجب أن تكون محصورة في حدودها الطبيعية، وعلى هذا يجب أن تكون القوة والقتال في خدمة الدعوة الربّانية التي هي أسمى الدعوات وأحق المبادئ بالاتّباع والتضحية.

وقد علمنا القرآن الكريم أن رجال دعوته أربعة أصناف:

الصنف الأول:

وهم الدُعاة المختارون من الله تعالى الذين تتضح الفكرة عملياً في حياتهم "أخلاقاً وأعمالاً"، "ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ .." (1).

الصنف الثاني:

وهم الصديقون المخلصون والأعوان الثابتون الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، "ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ .." (2).

الصنف الثالث:

وهم الجنود المدرّبون المجهّزون الذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"(3).

---

(1) الانعام، آية ١٢٤.

(2) الأحزاب، آية ٣٩.

(3) المائدة، ٥٤.

الصنف الرابع:

وهم الوارثون الذين يرثون الأرض بإذن الله ويعمرونها بأمر الله ويحكمونها بكتاب الله، "ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ"[1]، "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ"[2].

وتبيان ذلك في قوله تعالى: "ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ .."[3].

هذا والقائد رأس الجماعة وأمير الكتيبة وإمام الجند وإليه وعليه ترجع وتدور كل المهام والأعمال، ويجب أن يتصف بصفات مميزة ويتأدب بآداب خاصة، وهي كثيرة في كتاب الله نكتفي منها بما يأتي:

١. أن يكون عالماً بكتاب الله فقيهاً حافظاً ممتازاً على غيره.
٢. أن يكون عارفاً بالحروب ومعداتها داهية في أساليب القتال.
٣. أن يكون قوي البدن حائزاً لثقة رجاله واحترامهم "وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ"[4].
٤. أن يكون دائماً هادئ الأعصاب ثابت الجنان صلب العود كثير الاختبار لجنوده سريع الحركة بينهم محرضاً لهم على القتال كثير التذكير لهم

---

(١) الحج، آية ٤١.

(٢) الانبياء، آية ١٠٥.

(٣) النساء، آية ٦٩.

(٤) البقرة، آية ٢٤٧.

بالأمجاد والبطولات السابقة "فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ .."[1]، "وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ"[2].

٥. ألاّ يكون عاطفياً محضاً ولا منطقياً محضاً وإنما يكون رجلاً يحكم سلطان العقل القرآني في كل أمر، فلا يترك كل شيء للقياس والحس والنظر وإنما يجعل للشعور والوجدان مع الظواهر نصيباً، أي أن يكون ربّانياً في علمه وعمله، "وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝"[3]، "وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ"[4].

٦. أن يكون عادلاً إذا حكم ولو مع أعدائه أو على أحبائه، "وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ[5] .. وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ "[6].

٧. أن يكون وفياً بعهده حتى مع الأعداء، "وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ "[7].

---

(١) النساء، آية ٨٤.

(٢) إبراهيم، آية ٥.

(٣) آل عمران، آية ٨٠.

(٤) الحجرات، آية ٧.

(٥) المائدة، آية ٨.

(٦) البقرة، آية ٢٣٧.

(٧) النحل، آية ٩١.

٨. أن يكون كتوماً صبوراً، فلا يُعلم أحد بنواياه أو خططه، ولا يأتمن إنساناً على أسراره، وكان صلى الله عليه وسلم يحذر من كل أحد ولا يمنع بشاشته أحداً، "وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ "(١).

٩. أن يصر على رأيه إن عزم، فلا يتردد ولا يأخذ برأي غيره أو بعاطفته مهما كان مقام صاحب الرأي أو العاطفة إن خالف كله أو بعضه كتاب الله،"وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ"(٢)، "فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ "(٣).

١٠. ألا يصدق نبأ جاءه إلا بعد أن يتبين ويتمحص، "إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ..."(٤).

١١. ألا يتورط في مدخل قبل أن يعرف المخرج منه.

١٢. ألا يرتجل خطته قبل الدراسة وجمع المعلومات، "وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾"(٥).

١٣. ألا يجزع إن أصاب صفوفه تصدّع أو فر بعض رجاله، بل يمسك قلبه بالاطمئنان إلى الله، ويذكر دائماً قول الله تعالى: "وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ .."(٦)، "وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ

---

(١) النساء، آية ١٠٢.

(٢) المائدة، آية ٤٩.

(٣) آل عمران، آية ١٥٩.

(٤) الحجرات، آية ٦.

(٥) الاسراء، آية ٨٠.

(٦) آل عمران، آية ١٧٦.

عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ"[1]، "مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ .. "[2].

١٤. ألا يكربنه أمر عدوه أبداً مهما كان قوياً فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، وليذكر قوله تعالى: "وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ "[3].

١٥. أن يكون على صلة تامة دائمة بأعمال الجيش الداخلية والخارجية خبيراً بأخلاق الناس وطبائعهم "سورة التوبة".

١٦. ألا يكون مستبداً برأيه، وأن يتخذ له بطانة من أهل الرأي والصلاح، "وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ..."[4]، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في ذلك لما نزل المسلمون أدنى ماء من بدر وكان الحبّاب بن المنذر ابن الجموح رضي الله عنه عليماً بالمكان، فلما رأى ذلك تقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله أرأيت هذا المترل، أمترلاً أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب المكيدة، فقال الرسول الكريم: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال الحبّاب: يا رسول الله فإن هذا ليس بمترل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فنترل ثم نعوّر ما وراء القُلُب ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، ولم يلبث النبي عليه الصلاة والسلام أن رأى صواب ما أشار به الحبّاب حتى قام ومن معه وأتبع رأي

---

(١) النحل، آية ١٢٧.

(٢) آل عمران، آية ١٧٩.

(٣) الصافات، آية ١٧٣.

(٤) آل عمران، آية ١٥٩.

صاحبه معلناً إلى قومه أنه بشر مثلهم وأن الرأي شورى بينهم وأنه لا يقطع برأي دونهم، وأنه بحاجة إلى مشورة ذوي المشورة الحسنة.

١٧. أن يكون رحيماً بجنده، متفقداً لأحوالهم سامعاً لشكواهم رفيقاً في معاملتهم، "وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ"(١).

١٨. ألا يثق بغير المسلمين ولا يتولى منهم أحداً أبداً.. "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ .."(٢)، "... لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا .."(٣).

١٩. أن يحصر القتال ما أمكنه في أسبابه وحدوده، فلا يخرب ولا يدمّر ولا ينتقم.. "وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝"(٤).

٢٠. أن يخرج من كل معركة دائماً بفوائد جديدة لدينه ووطنه وجنده وإنسانيته، "قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ "(٥)، وليست هذه كل آداب القائد وإنما هي بعض منها جئنا به للمثال لا للحصر.

---

(١) آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) الممتحنة، آية ١.

(٣) آل عمران، آية ١١٨.

(٤) البقرة، آية ١٩٠.

(٥) التوبة، آية ١٤- ١٥.

وثانيهما في:

آداب الجندية

الجندي هو الآلة الحية التي تنفّذ ما تُؤمر به من غير تردد، واليد العاملة التي تعمل في إيمان وصمت، والقوة العاقلة التي تكافح في سبيل تحقيق المبدأ وتركيز العقيدة وحمايتها، وتجاهد في إبراز الدعوة للعالم في قوة وكرامة وترغم المناهضين لها على السكوت عنها أو الخضوع لها أو اعتناقها.. ولما كانت الجندية هي روح المؤمنين وسر حياة الدعوات، فقد حشد القرآن لدعوته كل القوى وجنّد لها كل المؤمنين بها من غير استثناء ووافق بين كل جندي وبين ما يصلح له من عمل.

ووضع لجنوده آداباً عالية وقوانين أخلاقية سامية تؤهلهم لحمل الأمانة وصيانتها وترتفع بهم وبالمحيط الإسلامي عامة على الدنيا والافتتان بها، وإن كان لم ينتزعها منهم أو يبعدهم عن السيطرة عليها والتحكم فيها، وربط بينهم وبين القوى الطبيعية المحيطة بهم بروابط متينة، ودفعهم للنظر فيها والتسلط عليها والانتفاع بها، وجعلها مدداً لهم لا ينقطع أبداً، فهم بذلك في كشف دائم وتجربة مستمرة وتطلع بعيد.

واعتبر الجندية لذلك وسيلة من الوسائل العملية التي تحقق المساواة بين طبقات المسلمين وتذلل الفروق الاجتماعية فيهم، وشرط ألا يُقبل فيها إلا من تحققت فيه خصال ثلاث، هي:

١. الإيمان بالفكرة والإخلاص لها والاستعداد للتضحية فيها.
٢. القدرة على الجهاد مالياً وجسدياً (أي الإنفاق والقتال).
٣. التجرد لها مما سواها، والتعلق بأهدافها، ونكران الذات فيها والطاعة المطلقة لأوليائها.

وآداب الجندية كثيرة نجتزئ منها ما يأتي:

١. المبايعة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره "إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"(١).

٢. الوفاء بالوعد، والصدق في العهد حتى الموت "مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾"(٢).

٣. الثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾"(٣).

٤. استصحاب الطمأنينة وسكون الجوارح وطرد الأوهام والتخلص من الوهن والحزن "وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾"(٤).

٥. الإقدام الحازم والشجاعة الصادقة من أول المعركة إلى آخرها "فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا .."(٥).

(١) الفتح، آية ١٠.

(٢) الاحزاب، آية ٢٣.

(٣) الانفال، آية ٤٥.

(٤) آل عمران، آية ١٣٩.

(٥) محمد، آية ٤.

٦. الصبر حين البأس، ومصابرة العدو عند المجاهدة، والمرابطة والتيقظ عند هدوء المعركة، وتقوى الله ومراقبته عند النصر "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ "(١).

٧. مطاردة العدو حتى يقطع دابره ومداومة القتال حتى النصر مهما كانت الإصابات والخسائر كثيرة من غير وهن ولا ضعف ولا استكانة "وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ "، " وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ "(٢).

٨. عدم التسليم مطلقاً مهما كان الأمر أو الدعوة إلى الصلح قبل انتهاء المعركة بالنصر أو الموت، حتى وإن كان ميزان المعركة في يد العدو ولاحت بوادر النصر له، "فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾"(٣).

٩. الإيمان بأن الفرار من العدو خروج من الإسلام وكبيرة لا توبة منها "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا

(١) آل عمران، آية ٢٠٠.

(٢) النساء، آية ١٠٤.

(٣) محمد، آية ٣٥.

إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝"(١).

١٠. استشعار الرضى بقضاء الله والتسليم لقدره والاطمئنان لحكمه والطاعة المطلقة لأولي الأمر "طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ۝"(٢)، "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ"(٣).

١١. عدم التنازع مطلقاً على أي أمر في القتال والإنفاق دائماً مع التسامح الأخوي والتجرد من الشخصيات والصبر على العمل والطاعة والأخوة "وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝"(٤).

١٢. التحرر من المعاصي الباطنة والظاهرة صغيرها وكبيرها، فإن نصر الله لا يتترل على العاصين "إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ"(٥).

١٣. نفي الفزع من العدو والخوف من كيده واعداده فإن الله أقوى وأعز "إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم

---

(١) الانفال، آية ١٥-١٦.
(٢) محمد، آية ٢١.
(٣) النساء، آية ٥٩.
(٤) الانفال، آية ٤٦.
(٥) آل عمران، آية ١٥٥.

مُّؤْمِنِينَ ۝ "(1)، "وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝"(2)، "إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝"(3).

14. نفي اليأس إذا أحاط بهم العدو، واستحضار حقيقة الإيمان بنصر الله وأنه حق عليه سبحانه للمؤمنين "إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا"(4)، "وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝ "(5).

15. إدراك الحقيقة المعروفة، وهي أن الحرب دواليك يوم لك ويوم عليك "إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ.."(6)، وفي هذا عزاء كبير إذا وقع للجندي المسلم ما لم يكن يحسب وفيه كذلك تحفيز وتجديد.

16. الإيمان المطلق بأن القتال في سبيل الله وأن المقتول شهيد وأنه حي وفي الجنة وألا سبيل إلى الجنة إلا عن طريق القتال، "۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ

(1) آل عمران، آية 175.
(2) الانفال، آية 18.
(3) النساء، آية 76.
(4) الأحزاب، آية 10- 12.
(5) البقرة، آية 214.
(6) آل عمران، آية 140.

ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ"[1].

١٧. الترفع عن الطمع في الغنائم والعمل للحق في ذاته "وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ "[2].

١٨. الإيمان الصادق بأن النصر من عند الله وان الوسائل ستائر للقدرة الربانية وأن الأجر في الجهاد على صدق النية وحسن العمل والوفاء بالعهد، "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ "[3].

١٩. إحساس الجندي بالمسئولية العامة كإحساس القائد واعتباره شريكاً في العبء الكبير مع استقلاله في الجانب العملي الذي يقوم به وارتباطه بالنتيجة من غير تأثر بروح المتخلفين " وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ "[4]، " عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ "[5].

٢٠. مداومة تجديد النفس وإعدادها لكل تضحية واستمساكها بهدى الله دائماً الذي لا يمكن معرفته والحصول عليه إلا عن طريق الجهاد، "وَٱلَّذِينَ

---

(١) التوبة، آية ١١١.

(٢) آل عمران، آية ١٦١.

(٣) الانفال، آية ١٧.

(٤) آل عمران، آية ١٥٣.

(٥) المائدة، آية ١٠٥.

جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝"(1)، وبسكون روح الحق دائماً في قلوبهم لترديدهم دائماً لقول الله تعالى "رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ "(2).

ومجموع هذه الآداب وما يترتب عليها في النفوس المؤمنة والدوافع لها من حياة المسلمين الخاصة تكون ما نسميه الآن بالروح المعنوية، هذا والجندي الإسلامي في إعداده الرباني لا يمكن أن يوجد له نظير في الدنيا، فشتان ما بين من يريد الله والدار الآخرة وبين من خرج بطراً ورئاء الناس، وبين ما يدبره الله وبين ما يصنعه العبد، وإن الجندي الذي يفهم مهمته ويدرك غايته ويؤمن بالقتال كوسيلة إلى مثل أعلى وحياة خالدة لا تتحقق السعادة بها إلا بهذه الوسيلة فيخرج إليها طواعية وقربى وهو أحرص على الموت منه على الحياة لا يمكن قط أن يقف أمامه جندي على النقيض منه في الفكرة والعقيدة، جندي خرج مدفوعاً بمطامع غيره أو بهوى نفسه لا يدري من أمر نفسه أو سبب قتاله لغيره شيئاً، يتوارى من خصمه ويحرص على حياته، والجندي الإسلامي فوق ذلك مزوّد فوق ما تقدم بالأسلحة ومدد آخر يؤمن به وإن لم يره ويشعر بآثاره وإن لم يحصره بحواسه.

(1) العنكبوت، آية ٦٩.

(2) آل عمران، آية ١٤٧.

من هذه الأسلحة وهذا المدد.

١. السكينة التي يبعثها الله في قلوب المؤمنين "هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ"(١).

٢. الشوق الذي يقذفه في قلوبهم إلى رضوانه وجناته وما فيهما من نعيم مقيم "۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ"(٢).

"وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾"(٣).

٣. المقت والكراهية والاحتقار الذي يزودهم به لأعدائهم وعلى مقاتليهم "إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ"(٤)، "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ .." (٥).

٤. الحب والألفة والوحدة التي ميزهم بها وربطهم.

---

(١) الفتح، آية ٤.

(٢) آل عمران، آية ١٥.

(٣) آل عمران، آية ١٦٩-١٧٠.

(٤) التوبة، آية ٢٨.

(٥) المجادلة، آية ٢٢.

حكاية أنس بن النضر رضي الله عنه:

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلته المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع"، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني المسلمين-، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين-)، ثم تقدم فاستقبل سعد بن معاذ، فقال: (يا سعد الجنة ورب النضر إني أجد ريحها دون أحد)، قال سعد: فما أستطيع أن أصف ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم، وجدناه وقد قُتل مثّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه رضي الله عنه، وفيه وفي أمثاله نزل قول الله تعالى: "مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ "[1].

حكاية أبي محجن الثقفي رضي الله عنه:

وأبو محجن هذا كان شاعراً فحلاً وفارساً مغواراً متعصباً للإسلام إلا أنه كان يحب الخمر وكلما ضرب عليها وأقيم عليه حدها كلما عاد إليها، وقد كان في جيش سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي ذهب لفتح فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم شرب الخمر كعادته فاحتبسه سعد في قصره الذي أقيم له في موقعه في القادسية حتى يقيم عليه الحد ثم شغل عنه بأمر الجيش فلما كان يوم أغواث وهو اليوم الثاني من أيام القتال وضاق الأمر بالمسلمين نادى أبو محجن وهو في قيده وأصفاده في قصر سعد سلمى زوجة

---

[1] الاحزاب، آية ٢٣.

سعد: وتعيريني، وقال لها: هل لك أن تخلين عني البلقاء، فلله على إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع قدمي في قيدي فأبت، فقال منشداً:

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قمت أعياني الحديد وعلقت
مصاريع من دوني تصم المناديا

فرقت له سلمى وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سعد فركبها حتى كان بحيال الميمنة فكبّر، ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنة الفرس، وكان يقصف الناس قصفاً منكراً، وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه.

وكان سعد يقول: (لولا محبس أبي محجن لقلن هذا أبو محجن، وهذه البلقاء) فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل أبو محجن فدخل القصر واعاد رجليه في القيد وقال شعراً.

فسمعته سلمى فلما أصبحت صالحت سعداً وكانت مغاضبة له، فأطلقه وقال: والله لا حبستك أبداً، فقال أبو محجن: وأنا والله ما شربتها أبداً، يعني الخمر.

يقول لهم "فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾"، ويقول لهم "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا.." [1]، وليس رفع الحرج في العبادات الروحية فقط وإنما هو كذلك في

---

(1) البقرة، آية ١٩٤.

استخدام الوسائل المعروفة والمنتظرة والمرجوة في خدمة الدعوة الربانية ما دامت تتفق مع الفطرة وكرامة البشرية.

وملة سيدنا إبراهيم عليه السلام أي طريقته وأسلوبه هي استخدام كل القوى المستطاعة والموهوبة من الله عز وجل في سبيله من غير تردد أو إحجام، بالأسلوب الذين تفرضه الضرورة وتتحقق به الأهداف والانتقال من وسيلة إلى أخرى حسب الحاجة والظرف والانتفاع بكل ما يحيط بالإنسان، فلقد كان مرة يدعو ويناقش بأسلوب لين سلس وأخرى يجادل ويحاجج بالآيات الكونية الكبرى، وثالثة يحمل سلاحه الممثل في الفأس ويحطم به آلهة الكافرين وأصنامهم، ولا يتخاذل أمام اتهاماتهم وصيحاتهم به ومحاكمتهم له على أعماله الجريئة ومرة رابعة يحاجج مليكهم ويصبر على غطرسته ويبهته بحقه وحجته ويتلقى حكمه عليه بالثالثة في النار بإيمان وقوة، ويرتقب آية الله في النجاة بيقين واتئناس ثم يتخذ طريقة أخرى في تبليغ الناس رسالة الله بالهجرة إلى أرض جديدة يعمل فيها زارعاً وحاصداً وحيناً يلوذ بالصمت والتخفي إذا كان فيها حفظ كيان دعوته وحقيقته وأخرى يلجأ في أناة وجلد وأمل ممتد وصبر بعيد إلى وضع أسس أمة جديدة وعالم جديد بإسكان إبنه إسماعيل في وادٍ غير ذي زرع عند بيت الله المحرم لتتكون من ذريته خير أمة أُخرجت للناس، وقد أورثنا الله عقيدته وطريقته، وجعله أسوة لنا في توحيده وجهاده وعمله وأمرنا بذلك، فقال تعالى: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ .." [1].

---

[1] الممتحنة، آية ٤.

وقد كشف القرآن للمؤمنين عن منابع القوة وعناصرها، وأمرهم بالبحث عنها واستخدامها ومسايرة التقدم البشري والسبق في الكشف والاختراع والسلطان، وبين لهم أنها في الحديد وما يستخرج منه من المصنوعات النافعة بواسطة النار التي هي أقوى منه، كنتيجة للفكر والعمل وثبت لهم هذه الحقيقة حتى جعلها عقيدة لا قيام لدينهم ولا لدولتهم إلا بها حيث أعلمهم أنه أنزل الحديد مع الكتاب إشارة إلى أن القوة مع الحق ولا قيام له إلا بها فقال تعالى: "وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾"[1]، فلا عزة إذن ولا قوة ولا منعة إلا بالحديد والنار، وهذه سنة الله.

وضرب لهم الأمثلة على ذلك بالملوك الصالحين السابقين من أنبياء وأولياء في قصة ذي القرنين وقصة داود وسليمان عليهما السلام.

وبالنظر في هذا القصص الكريم نرى أن منابع القوة وعناصرها مبينة فيما يأتي من غير حصر:

١. في همم الرجال المؤمنين وعقولهم وقوة العاملين معهم من الجنود الصادقين.

٢. في التمكن في الأرض واستخراج أسرارها وقواها ومعادنها والتسلط على الموجودات الكونية والانتفاع بها، "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾"[2].

---

(١) الحديد، آية ٢٥.

(٢) الكهف، آية ٨٤.

٣. في عدم الوقوف عند المعلومات الموروثة والقوى الموهوبة وإنما بالسعي في الكشف عن الجديد من العلم والقوى المكتسبة "فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾"[١].

٤. في الانتفاع بالفتح والتملك وفي الحكم والقضاء والفصل والعدل.

٥. في تنظيم القوى وتعبئتها والاستعانة بأبناء الأمة جميعاً في ذلك من غير استثناء.

٦. في استخدام العلم الصناعي والعقول المستنبطة والأيدي العاملة والمواد النافعة وخاصة النار والحديد وما يجري في فلكهما.

٧. في تحويل نتائج كل هذه القوى إلى الخير العام وخدمة الإنسانية.

وكل ذلك في قول الله تعالى: "قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي .."[٢].

والمتفهم لتاريخ الإسلام من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا يرى أن الإسلام وهو دين الله الحق، مُحاط بالأعداء في الداخل والخارج وفي حاجة دائمة إلى الحماية، ولذلك قال الله للمسلمين معلماً ومُحذراً: "وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ

---

[١] الكهف، آية ٨٥.

[٢] الكهف، آية ٩٤-٩٨.

عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً"(١)، وقال: "وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ..." (٢)، فكان حتماً علينا نحن المسلمين أن نكون دائماً على أتم الاستعداد وأقوى عدة لملاقاة عدونا وحماية ديننا ووطننا، وكان حتماً علينا أن نستخدم كل القوى في سبيل ذلك.

والإعداد المادي مركز في ثلاثة عناصر:

(١) إعداد الرجال.

(٢) إعداد العتاد.

(٣) إعداد المؤن والذخائر.

إعداد الرجال

الأولى: وتبدأ من أول الولادة حتى القدرة على حمل السلاح، وهذه أهم مرحلتي الإعداد، ويتعاون على القيام بها الأم والأب والمدرسة، ويؤثر فيها إلى حد بعيد البيئة والرفاق، فالأم المسلمة العارفة لواجبها تستطيع أن تؤدي مهمتها نحو ابنها ووطنها ودينها خير أداء، أما الجاهلة وتبعتها تقع على الدولة فهي أكبر الأضرار على ولدها، والوالد بعد الأم هو العامل الأساسي في توجيه ابنه وتكوينه ومهمته معه فطرية لا تحتاج إلى توصية فهو بطبعه مدفوع إلى صالح ابنه فإن كان هو حسن التربية والتقويم كانت تربيته لابنه سليمة، وإن كان غير ذلك ففاقد الشيء لا يعطيه، وأهم واجباته هي التربية الجسدية والخلقية.

---

(١) النساء، آية ١٠٢.

(٢) البقرة، آية ٢١٧.

والمدرسة وفيها الرفاق والمربون والمعلمون عليها أقدس الواجبات جميعاً وأعظم المسؤوليات، والحكومة مسؤولة عن اختيار برامج التربية والتعليم الصالحة وعن اختيار المربين ووسائل التربية، ويجب أن يكون البرنامج على أساس صحيح من الإسلام، والمربون قدوة حسنة ومثلاً عالية عملية تبعث في الطفل شعوره بقدسية دينه ووطنه، كما يجب أن ينشأ من أول يوم في المدرسة على آداب الجندية الإسلامية والعسكرية القرآنية بالمحافظة على المواعيد والمواظبة على الدراسة كنتيجة للقيام بأداء الصلوات في أوقاها والتدريبات الرياضية والعسكرية.

وبذلك ينشأ الطفل متعرفاً على ربه ونبيه مستشعراً سر الحياة ومهمته فيها، متبيناً وضعيته في صفوف أمته، عالماً بغاياته وأهدافه.

الرفاق والبيئة:

وهما أقوى المؤثرات في تكوينه فعلى القائمين بتربية اختيار الرفاق وإيجاد البيئة الطاهرة الصالحة ذات الطابع الإسلامي، وخلق جو قرآني صاف يعيش فيه، وتحفيظه كثيراً من القرآن والحديث والغزوات والتاريخ الإسلامي في جميع مراحل تربيته وتعليمه، وإلا فسد خلقه وعز توجيهه وضاع المجهود العملي معه هباء.

قال أحد التابعين: "وكنا نعلّم أبناءنا الغزوات كما نعلمهم الآية من القرآن"، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل"، ومر يوماً عليه الصلاة والسلام بغلمان يتصارعون فشجعهم، وبآخرين كانوا يرمون فقال لهم: "ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً"، وكان علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يقول: "علموا أبناءكم فوق ما تعلمون فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم".

والثانية: هي مرحلة الرجولة، وتبدأ من قدرة الغلام على حمل السلاح، وهي المرحلة العملية بعد مرحلة التربية والتعليم السابقة، وتتطلب هذه المرحلة تعاون عدة هيئات وجهات مختلفة على تكوين الجندي الكامل وصيانته، وأهمها:

١. الهيئة الطبية:

وتُشرف على اختيار الأصحاء ومعالجة المرضى وإسعاف المصابين والجرحى، ومن مستلزماتها وجود الأطباء النطاسيين، والممرضين الصالحين والصيدليات المستوفية والمستشفيات الثابتة والمتنقلة.

وللمستشفيات مهمتان، الأولى: مقاومة الأوبئة التي تتفشى عادة في الجيوش من كثرة العدد وهي أخطر ما يقع لها.

والثانية: هي المعالجة العامة وعمليات الإسعاف للمصابين في المعارك.

وهذه الأخيرة يقتضي أن يكون لديها ذخيرة كبيرة من المتطوعين للتمريض من الرجال والنساء على السواء، وقد ثبت في تاريخ الإسلام أن كثيرات من نساء المسلمين كنّ يتعاونّ على ذلك مع الرجال حتى في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وموقف السيدة فاطمة ابنته رضي الله عنها غير خافٍ، فلقد أصيب النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد و لم يضمد جراحه ويوقف نزف الدم إلاّ السيدة فاطمة، فقد جاءت بقطعة حصير مصنوع من سعف النخل وحرقتها وأخذت عود ووْضعته على الجرح فتماسك وجف، ولا شك أن العمليات الطبية وإعدادها داخلة في نطاق كلمة الإعداد القوي من قوله تعالى: "وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة"، ولا يصح إشراك النساء في هذا العمل الجليل بالصورة التي نشاهدها في عصرنا هذا عصر تقليد الإفرنج، وإنما يجب أن يكون ذلك على ما كان عليه الحال في زمن السلف الصالح.

وأمامنا أمثلة كثيرة على ذلك، قالت ربيعة بنت معوز رضي الله عنها في حديث لها: "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة"، وقالت أم سليم رضي الله عنها وكانت تخرج إلى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها نساء الأنصار لإسعاف الجرحى وحمل القتلى إلى المدينة وسقي الماء والدفاع عن أنفسهن، قالت: "اتخذت خنجراً يوم حنين إن دنى مني أحد المشركين بقرت بطنه"، وموقف أم عمارة المازنية يوم أحد لما انكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها نسيبة زوج زيد بن عاصم، وقد خرجت للجهاد هي وزوجها وابناها حبيب وعبدالله، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بارك الله فيكم آل بيت، اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة"، قالت أم عمارة: "خرجت يوم أُحد لأنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي فيه الجرحى فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والربح مع المسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله فقمت أباشر القتال دونه وأذب عنه بالسيف وارمي بالنبل عن القوس حتى خلصت الجراحة إليّ.

٢. هيئة التدريب على أعمال الميدان:

ويجب أن يكونوا قدوة صالحة في الخلق والعمل والنظام والاستقامة والإخلاص والتضحية والشجاعة.

٣. أماكن التدريب:

ويحسن أن يكون في الفضاء الواسع، والأماكن البعيدة، والصحراء المترامية، لتساعد على تكوين شخصية الجندي، وتجعل منه رجلاً قويّ الشكيمة، صعب المراس.

إنما الإسلام في الصحر امتهد ليجيء كل مسلم أسد

٤. ثكنات ثابتة في أماكن خاصة، وأخرى متنقلة كالخيام وغيرها.

٥. أسلحة تدريب كاملة حسنة الإعداد.

٦. حسن التوزيع:

بعد الإعداد على الأعمال الموافقة، والأماكن المناسبة، وتخصيص الواجبات، وتحديد المسئولية وصدق الحساب.

وقد وصف الله جنود الإسلام في القرآن الكريم جسمانياً وخلقياً فقال: "وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ "[1].

وقال: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ "[2].

إعداد العتاد

وهو إعداد جميع الأسلحة المعروفة واختراع أسلحة جديدة، ومن المعلوم أن المعدات الحربية تنقسم إلى قسمين، قسم ثابت وقسم متحرك.

فالقسم الثابت هو القلاع والحصون والمعامل والمصانع والمخازن والدواوين وأحواض السفن والمطارات والمستشفيات والثكنات وما إلى ذلك.

---

(١) الفتح، آية ٢٩.

(٢) المائدة، آية ٥٤.

والقسم المتحرك هو جميع الأسلحة بعد ذلك صغيرها وكبيرها برية كانت أو بحرية أو جوية.

ومن المعلوم كذلك أن الأسلحة الموجودة الآن لم تكن معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي أزمنة كثيرة من بعده، ولكنها كانت نتيجة التطوّر وتقدّم العمليات الحربية، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، وطبيعي أنها لن تقف عند هذا الحد وستظل في تقدمها حتى تسجر البحار وتنسف الجبال ويرث الله الأرض ومن عليها، والمسلمون بطبيعة دينهم مأمورون بالسبق في هذا المضمار الذي لا نهاية له.

وقد كانت هذه الأسلحة محصورة في السيف والرمح والقوس والكنانة والمنجنيق والدبابة الخشبية، ثم تطوّرت ولم يستغنَ بالحديث عن القديم في كل حال، إلا في القاذفات صغيرها وكبيرها من المسدس إلى المدفع إلى أقصى ما وصل إليه العقل البشري في القنبلة الذرية والصاروخية والهيدروجينية.

وكانت دواب الحمل قاصرة على الإبل والخيل والبغال والحمير، ولكن الله علم الإنسان ما لم يكن يعلم فأنتج السيارات والقطارات والدبابات والطائرات وما إليها، مصداق قوله تعالى: "وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[1].

"وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ"[2]، وجعلها جميعاً للرباط وامتداداً لمهمة الخيل في قوله تعالى: "وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ..."، والأسلحة الآلية هي:

---

(1) النحل، آية ٨.

(2) الصافات، آية ٩٦.

١. السلاح البرّي:

وهو كل المعدات التي وصل إليها العلم أو أنتجتها المصانع الحربية، وتُستخدم على الأرض بواسطة جنود اختصاصيين "وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝"، "وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝"[(١)].

٢. السلاح البحري:

وهو المعدات التي أنتجها العقل البشري واليد الإنسانية، وتُستخدم على سطح الماء في البحار والأنهار والبحيرات، ثابتة كانت أم جارية "وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝"[(٢)]، "وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝"[(٣)]، ويصنع الفلك "۞وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ"[(٤)]، "وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝"[(٥)].

٣. السلاح الجوي:

وهو كل صناعة تطير في الجو وتستعمل في الحرب من منطاد إلى صاروخ إلى طائرة من أي نوع كان.

وهذا السلاح هو أهم أسلحة الجيوش في هذا العصر، ولقد تخيله الإنسان قديماً واستخدمه من أزمنة سحيقة متباعدة على صور مختلفة واستخدم

---

(١) العاديات، آية ١-٤.

(٢) الرحمن، آية ٢٤.

(٣) النازعات، آية ١- ٣.

(٤) هود، آية ٤١.

(٥) إبراهيم، آية ٣٢.

الحمام الزاجل في الرسائل دليلاً على وجود الفكرة وأول من سيطر به وعليه داود وسليمان عليهما السلام، وليست قصة بساط الريح أسطورة خيالية وإنما هي حقيقة واقعة وصلتنا محرفة، وتؤيدها كثير من آيات القرآن الكريم، وقد ذكرت الإشارات في معرض الحديث عن الدولة والملك والحاكم واستعراض الجيوش وحشد الجنود والصناعات والمصانع، قال تعالى: "۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ "[1]، وقال: "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ "[2].

ولقد حفظ الله بيته الحرام من أعدائه يوم لم يكن له حراس من المؤمنين بأبابيل من الطير، تحمل قنابلها الخاصة التي أهلكت بها جيش أبرهة "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ

---

[1] سبأ، آية ١٠-١٣.

[2] النمل، آية ١٧.

مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾"[1]، "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾"[2]، ولقد أشار القرآن الكريم من قريب أو من بعيد إلى أنواع هذا السلاح بقوله مثلاً "وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ "[3]، وبقوله "وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا"[4]

ولا يرد قولنا ما ذهب إليه المفسرون الأقدمون إلى أن هذه الصافات وغيرها أصناف من الملائكة، فلسنا مقيدين بما ذهبوا إليه لأن هذا كان مبلغهم من العلم وربما لو كانوا معنا في عصرنا هذا عصر تحطيم الذرة والتسلط على الأثير لقالوا بما قلنا وذهبوا مذهبنا.

٤. سلاح الصيانة:

وهذا السلاح من أهم الأسلحة لأن عليه صيانة أسلحة الجيش عموماً من التلف وخاصة في أيام السلم، وإصلاحها إن فسدت وخاصة في أيام الحرب، وعليه توفير كثير من المادة والأموال على الدولة، فهو للعتاد بمثابة المستشفيات للجنود، وعليه أكبر قسط في الأعمال الحربية الدقيقة، وهي مبينة في المطولات الخاصة بالجيش.

٥. سلاح الإشارة:

وليس هذا بالسلاح الجديد، وإنما هو من الأسلحة القديمة إلا أنه الآن قد أخذ سمته الخاصة وصفته المتميزة وإدارته المستقلة وتعاليمه الجديدة، ومهمته تبليغ الحوادث والأوامر إلى جهاتها بشتى الطرق، ولقد كان الإنسان قديماً يُبلّغ

---

(١) الفيل، آية ١-٥.

(٢) الفتح، آية ٧.

(٣) الصافات، آية ١-٣.

(٤) الذاريات، آية ١-٣.

الإشارات ليلاً بلهب النيران، ونهاراً بدق الطبول وأصوات الأبواق، ومواجهة بإشارات مصطلح عليها أو التورية في الكلام أو الرمز أو الشفرة في الكتابة، وفي غزوة الأحزاب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه إلى بني قريظة ليتعرف خبر نقضهم للعهد وقال لهم: "انطلقوا لتنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقاً فألحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا للناس"، فخرجوا ثم عادوا فلحنوا له كما أمرهم، وقالوا له "عضل والقارة" إشارة إلى غدرهما بأصحاب الرجيع.

ويقتضي قيام ذلك كله وجود ما يأتي بالضرورة:

١. أماكن منبع القوة، ومناجم الحديد والمعادن الأخرى وحقول البترول وعيون القطر .. قال تعالى: "يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ[١] .. وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ[٢] .. أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا .." [٣]، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك..

٢. العلماء المستكشفون من أهل التجربة والأمانة، قال تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ "[٤].

---

(١) سبأ، آية ١٠.

(٢) سبأ، آية ١٢.

(٣) فاطر، آية ٢٧.

(٤) فاطر، آية ٢٨.

٣. المُخترعون والمهندسون، قال تعالى: "قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ .." [1]، وقال لداود في أحكام الصنعة وهندستها: "وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا" [2].

٤. المعامل الخاصة بالكشف والتجارب المهيأة لعلماء المادة والفنيون.

٥. المصانع الكبيرة والصغيرة المختلفة الخاصة بالصناعات الثقيلة والخفيفة، وأفران الصهر، وأحواض السفن والمنشآت اللازمة لكل ذلك وحمايتها وإخفاؤها ما أمكن.

"وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝" [3]، "يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن (١) مَّحَٰرِيبَ (٢) وَتَمَٰثِيلَ (٣) وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ (٤) وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝" [4].

٦. مخازن خاصة لكل سلاح للصيانة والحفظ وأماكن الذخائر ودواوين المهندسين والمطارات والمرافئ.. الخ.

٧. الأيدي العاملة التي تخرج كل هذا في إتقان وقوة، "وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ" [5]، "وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝" [6].

---

(١) النمل، آية ٤٠.
(٢) سبأ، آية ١١.
(٣) سبأ، آية ١٠-١١.
(٤) سبأ، آية ١٣.
(٥) سبأ، آية ١٢.
(٦) ص، آية ٣٧.

٨. تنسيق هذه الأعمال وربطها بعضها ببعض وإيجاد نظام للتعاون بينها بوضع خطة عامة وقانون يشملها جميعاً ويسيطر عليها "وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ"[1]، وهذا هو الإعداد الإداري الذي تحتمه ضرورة العمل على أساس التخصص والتكافؤ وحصر المسئولية، ووضع قانون الجزاء..

إعداد المؤن والذخائر

لا بد للجنود من مؤن ما بين طعام وشراب وكساء، ولا بد للمصانع والآلات والأسلحة من ذخائر ما بين وقود ومتفجرات وشحوم وأشياء أخرى، ولا بد كذلك لتوزيعها على اختصاصاتها من وسائل للحمل والنقل والحفظ، وكل هذا يحتاج إلى تعاون منظم محكم بين جميع الجهات المدبّرة والعاملة والمُنتجة وتسخير كل القوى تقريباً في الدولة والأمة لذلك من زراعات وتجارات وعلوم ومعارف، ونظرة متدبرة من القارئ المُفكّر يرى أن التعبئة العامة قائمة دائمة لضرورة الحال في أيام السلم وأيام الحرب على السواء، وأن الأمة كلها مجندة محشودة سواء شعر أبناؤها أم لم يشعروا.

هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً جمع كل ما سبق في يسر وإحاطة، قال عليه السلام: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه ومنبله والرامي به".

---

(١) سبأ، آية ١٢.

ومن أجل ذلك كان حتماً أن يوضع للعمل قانون ينظمه، وليس هناك مجال تفصيل ذلك، ولكن يحسن الإشارة إليه مع القصد.

قانون العمل

يمكن اختصار قانون العمل في المواد الآتية مع التجاوز، وهي:

١. وجود الضرورة التي تقتضيه.
٢. وجود الرغبة فيه وعقد النية على إبرازه.
٣. وجود العقول المفكرة والأيدي العاملة.
٤. توفر المواد الصالحة.
٥. تحديد الزمان والمكان المناسبين لإنجازه.
٦. تقسيم مراحله بالقسطاس والسير فيها بقدر.
٧. التفرغ له حتى الفراغ منه.
٨. صلاحيته لما أُنشئ له.
٩. وضوح طابع الغاية منه.
١٠. إتقان صنعه وإحسان أدائه.

قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"، وقال عليه السلام: "إن الله قد كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة"، وقال الله سبحانه وتعالى: "فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۞"[١]، وقال تعالى: "وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۞ "[٢].

---

(١) الانشراح، آية ٧- ٨.

(٢) العصر، آية ١-٣.

الإعداد الإداري

إدارة الجيش أمر خطير، ويتوقف نصره في مواقفه إلى حد بعيد على حسن نظامه وتجهيزه وإدارته وكفاءة قادته..

وإدارة الجيش مرتكز في ثلاثة عناصر أصيلة تنطوي تحتها كل الإدارات الأخرى المتفرعة عنها، وهي:

١. القيادة.

٢. هيئة أركان الحرب.

٣. قلم المخابرات.

١. القيادة

القيادة هي العقل المدبّر للمعركة والروح المسيطرة عليها، وعلى سلامة إدراكها وصدق معرفتها وحصافة رأيها وإحكام خططها وحسن إدارتها يتوقف الجزء الأكبر من النصر.

والقيادة الحكيمة بمثابة القلب السليم في الجسم السليم يوزع كميات الدم المضبوطة على الأعضاء بنظام ودقة وسلامة من غير ارتباك أو تزاحم، ولذلك كانت القيادة القوية هي التي تشرف تمام الإشراف على كل الإدارات والعمليات في الجيش بقدرة محيطة وسيطرة كاملة، وهي قسمان:

أ. القائد العام.

ب. المجلس الحربي الأعلى.

القائد:

القيادة في الجيش الإسلامي حق شرعي للإمام وله أن يُنيب عنه من يراه أهلاً لذلك من المسلمين الصالحين، وللقائد حقوق كثيرة، وعليه واجبات أكثر حددها القرآن الكريم جميعاً، وجعل الإيمان بها شرطاً أساسياً لصحة العقيدة وسلامتها، ونحن نكتفي هنا بذكر بعضها تخلصاً من الإسراف.

حقوق القائد:

حقوق القائد أو الإمام مقررة قرآنياً على أنها حقوق النبي صلى الله عليه وسلم، وسلامة البحث وحكمة النظر في هذه الحقوق تدلنا على أنها قسمان:

١) حقوق خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بصفته الشخصية ولا تنتقل إلى غيره من بعده.

٢) حقوق عامة، وهي المقررة له بصفته الإمامية، وتنتقل إلى الإمام من بعده.

وهذه هي التي نحن بصددها، نذكر منها:

١- له حق الطاعة المُطلقة المُبصرة "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ"(١).

٢- له حق الولاية المُؤيدة بالبيعة العامة "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم"، وقال عليه السلام "أنا أولى بكل مسلم من نفسه".

(١) النساء، آية ٥٩.

٣- حق الرجوع إليه في كل أمر والرضى بحكمه في كل حال "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"(١).

٤- ألا يعمل عمل أو يقضي أمر قبل إذنه ورأيه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا "(٢).

٥- ألا يُكتم عنه أمر أو يُحفظ دونه سر "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ "(٣).

٦- ألا يُنادى من بعيد "تأدباً" أو يُطلب وهو في خلوته وراحته احتراماً "إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ "(٤).

٧- ألا يُخاطب كما يُخاطب العامة من غير مبالاة أو يُرفع الصوت عنده إجلالاً وهيباً "لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا "(٥)، "لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ "(٦).

---

(١) النساء، آية ٦٥.

(٢) الحجرات، آية ١.

(٣) الانفال، آية ٢٧.

(٤) الحجرات، آية ٤.

(٥) النور، آية ٦٣.

(٦) الحجرات، آية ٢.

٨- له حق استشارة من يشاء بغير التقيد، وله وحده حق الأمر بالعمل عند العزم والتوكل بعد أن يستقر الرأي "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"(١).

واجبات القائد:

واجبات القائد أكثر من حقوقه وقد ذكرنا منها كثيراً في آداب القيادة، ونكتفي هنا بذكر الفروض العامة على القائد، وهي الواجبات الأولى للقيادات جميعاً، وتتلخص في خمس فرائض:

١- مراقبة الله الدائمة واستمداده القوة والعون منه سبحانه وتعالى فهو العليم بالصالح الحكيم في الحكم.

٢- عدم الركون مطلقاً لغير المسلمين في أي أمر أو الاستماع إلى غير المخلصين الصادقين أو الاستعانة بغير المؤمنين، واتهام الرأي الفردي دائماً بالقصور.

٣- تطبيق الدستور القرآني عملياً في كل حال والاستعانة بأهل العلم والرأي والحكمة في ذلك.

٤- التوكل على الله دائماً في الاستشارة والإعداد وصدق العزيمة والتنفيذ.

٥- عدم الأشتغال بعمليتين في وقت واحد، أو جعل قسط مهما كان صغيراً من النفس أو الرأي لغير المسلمين الصادقين... ويُجمع ذلك كله في قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (١) اتَّقِ اللَّهَ (٢) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣)

---

(١) آل عمران، آية ١٥٩.

وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٢﴾ (٤) وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ .."[1].

وانتقال هذه الحقوق وهذه الواجبات إلى الأئمة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قول الله تعالى: "لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ "[2].

المجلس الحربي الأعلى:

ويتكون من القائد الأعلى رئيساً، ومن مجموع قواد الأسلحة المختلفة، ومن بعض الخبراء المختارين كمستشارين حربيين، ومهمته إبداء الرأي في كل ما يختص بالجيش والاشتراك في وضع الخطط ودراسة التقارير، والإشراف العام والمراقبة لها، وهم جميعاً مشتركون في الحقوق والواجبات والمسئوليات العامة متضامنين في خدمة الصالح العام.

٢. هيئة أركان الحرب

وتتكون من مجموع رؤساء الأقسام والهيئات الصناعية والهندسية والإدارية في الجيش، وهي حلقة الاتصال بين القيادة والجنود على اختلاف أقسامهم واختصاصاتهم، ومهمتها تنسيق العمليات الحربية وتوزيع الاختصاصات وتنظيم وتسليح وإعداد الجيش، وبيان الحالة العامة له أمام القيادة

---

(١) الاحزاب، أية ٢– ٣.

(٢) الحج، آية ٧٨.

والتصرف على كفاءته في القتال وإمكانيته في كل أعماله، والإشراف على التموين والتدريب والبحوث والتطورات الحربية والمسئولية الخاصة بالسياسة الاستراتيجية وتنظيم الدفاع والاتصال بالسلطات المدنية وإصدار أوامر التحركات إلى آخر ما هناك من مهام ووظائف وأعمال تتصل بالجيش من قريب أو بعيد، وكل هذا واقع تحت طائلة "وأعدوا....".

٣. قلم المخابرات

وهي الهيئة التي عليها تنظيم عملية التجسس على العدو وغيره، والترصد له وتعرّف أخباره والكشف عن مدى استعداده وعن نواحي القوة والضعف فيه، وجمع المعلومات من هنا وهناك عن كل ما فيه مصلحة الجيش وإبلاغها فوراً إلى الجهات المختصة، "ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم هيئة منظمة من هذا النوع تقوم بواجبها في مكة وغيرها من البلدان المعادية وغيرها، سنفرد لها بحثاً خاصاً إن شاء الله.

والمخابرات للجيش من الأهمية بمنزلة السلاح والجند والقيادة تماماً، ثم هي في الجيش الإسلامي رأس رمحه، ومقدمته وعيونه وكشافته، والقائد والجندي فيها يعملان بإيمان وعقيدة للحق بالحق من غير يأس أو إهمال، وبلا جزاء أو شكران، في صمت وتجرد.

وهي مهمة خاصة شاقة لا يصلح لها كل جندي يصلح لحمل السلاح ولا كل قائد يدير حركات الجيوش، ولذلك يجب أن تفرد لها إدارة خاصة مستقلة في مركزيتها تابعة للقيادة العُليا مباشرة في إدارتها خفية عن كل ما سواها من الإدارات.

كما يجب أن يختار أفرادها من أهل اليقظة والفراسة والقدرة على الاستنباط والتخفي ونكران الذات والجرأة والنجدة وقوة الأعصاب والبأس والمغامرة وذوي العلم والإيمان الممتازين.

وأهم الشروط الأساسية في أفرادها قادة وجنوداً ما يأتي:

١. فهم المهمة وإدراك الغاية والإيمان بها والرغبة في الحصول عليها والمجاهدة والصبر فيها.

٢. اليقظة المتحفزة والإحساس المرهف والدقة واللياقة وحسن التخلص من المآزق والالتفات إلى كل الأشياء المحيطة والحوادث الواقعة والاستفادة منها جميعاً والاجتهاد في الكشف عن كل جديد، ولو من غير أمر.

٣. السعي الصادق المستمر عن إيمان وعقيدة وخطة وعدم إلتزام صفة خاصة في كل مقام.

٤. الثبات عند المفاجآت وعدم اليأس إذا تأخرت أو فشلت الخطة، فإن الخوف واليأس في أمر الله كفر، قال تعالى على لسان يعقوب لأولاده: "ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝"[1]، هذا ولا يُشترط في كل رجال المخابرات أن يكونوا من طائفة معينة أو من الرجال العسكريين بالمعنى المُتعارف عليه أو أن تكون لهم صفة رسمية أو أن يكونوا من أصحاب الشهادات العلمية أو من ذوي المؤهلات والثقافات العالية، وإنما لا بد أن يكون الرجل منهم على علم تام بدقائق مهمته

---

(١) يوسف، آية ٨٧.

وعلى استعداد كامل بملكاته الموهوبة وتجاربه المكتسبة وأن يكون أنموذجاً حياً ومثلاً عالياً للرجل المسلم الحر الذي يجمع محاسن الصفات ومكارم الأخلاق.

ولا نجاح لهذا القلم إلا إذا كانت وسائله كلها قائمة على أساس صحيح من الحقائق العلمية قديمة كانت أو حديثة، ولا يصح الوقوف به عند الأساليب القديمة فحسب، بل يجب الاستفادة عن علم من كل جديد، بل من الابتداع والاستخلاص واستخدام كل ما ينفع في هذا المضمار، من غير نظر إلى مصدره، قال تعالى: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ "(١)، وقال: " وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝ "(٢).

فتسخير المخترعات والعلوم كلها وما يمكن السيطرة عليه من قوى الطبيعة في هذا العمل العظيم واجب مقدس، وهو من تمام الإسلام وكمال وجوده، قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: "أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ "(٣)،"وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝"(٤) وهذا الباب كغيره ينقسم رجاله إلى قسمين، قوّاد وجنود أو قيادة وجندية، ولكل منها آداب وقوانين يجب مراعاتها، وهي كما يأتي:

---

(١) الحج، آية ٧٨.

(٢) الكهف، آية ٨٤- ٨٥.

(٣) النمل، آية ٣٨.

(٤) النمل، آية ٤٢.

آداب القائد وواجباته

على القائد:

١. أن يتعرف على أعوانه ويكثر من تفقدهم واستعراضهم فرادى وجماعات حسب ما تقتضيه المصلحة الواقعة، فإن جدّ جديد سأل عنه واستقصاه وتعرّف عليه في الحال، وتصرّف فيه كما يجب.

٢. أن يضع لرجاله نظاماً دقيقاً يحدد فيه الكفاءات والمسئوليات والجزاءات.

٣. أن يفرض عليهم شخصيته المستمدة أولاً من قوته الذاتية وخصائصه ومعانيه ثم من حقه القانوني.

٤. ألا يغفل قط على تذكير أعوانه بمهمتهم وبالثواب والعقاب عليها في الدنيا والآخرة.

٥. أن يعطي الفرصة لمن أخفق ويناقش من تأول، فإن شاء عفى وإن شاء عاقب، ويصبر على من تأخر ويناصح من أخطأ ويعذره إن اعتذر، وينحى من أهمل ويُعاقب من تردد ويقضي على من خان ويفسح صدره لمن سعد بنجاحه.

٦. أن يتبين صدق الجندي في إيمانه واخباره وأعماله.

٧. أن يكون هذا التبيان عملياً بواسطة الجندي نفسه، فيعطيه فرصة التنفيذ والتحقق ويكلفه أداء المهمة التي كانت نتيجة أخباره لتكون النتائج العملية خير دليل على صدقه ولأنه أولى من الجميع بإتمام عمله وتنفيذ خطته وتقصّي مجهوده، ولكي لا يشعر أنه تحت المراقبة (إن كان عليه عين)، ولكي يعتقد أنه أهل للثقة وأنه عضو مهم في الهيئة التي يعمل فيها.

٨. ألا ينسى أن يوصي جنوده فرادى بأشياء قد لا يتنبه لها الجندي من أسباب الحيطة والحذر والمراقبة.

وكل هذا نجده في قوله تعالى: "وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝"[1]، "۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝"[2].

آداب الجندي وواجباته

وعلى الجندي:

١. أن يتحلى بالثقة بالنفس مع التأكد من القدرة على العمل من غير غرور أو رياء.

٢. أن يحسن أداء واجبه بدقة وصدق ويقين، من حيث المكان والزمان والموضوع.

٣. أن يلم في تقاريره بنوع الحكم الذي يجري في البلاد التي يراقبها ويتعرف على القائمين به من حيث إلمامهم به ومدى فهمهم لأنواع الحكم في البلاد الأخرى، ومن حيث أخلاقهم وعاداتهم ومؤهلاتهم ونزعاتهم الخاصة وقيمتهم الشخصية ونفسياتهم والأشياء التي تؤثر فيهم.

---

(١) النمل، آية ٢٠-٢٢.

(٢) النمل، آية ٢٧-٢٨.

٤. أن يعرف مدى الإعداد والاستعداد الحربي والاقتصادي والثقافي والعاطفي العام.

٥. أن يعرف المظهر الخارجي للمُلك وأبهته ومدى آثاره في نفوس الناس وقيمته المادية وأسلوب عرضه على الشعب.

٦. أن يتعرف على نفسية الشعب واتجاهاته كلها وأنواع الخلافات فيه وأسبابها ونتائجها والرجال المسيطرين عليه من غير الرسميين، والديانات والعقائد والخرافات والأساطير الشعبية والعادات والتقاليد العامة وتأثر الشعب بما وراء الطبيعة وآراء القادة في هذا الأمر بالذات.

٧. مقارنة هذه العقائد بعقيدة (العين) ومعرفة مدى الاختلاف بينهما وذكر رأيه الخاص في قيمة الانتفاع بهذه العقائد في توجيه الرأي العام.

٨. بيان الحكم الخاص على مجمل ما وصل إليه للاستعانة به عند اللزوم.

٩. بيان الاتجاه الجديد على ضوء الحكم السابق تمهيداً لما بعده، واستنارة للقائد، وتوضيحاً للعمل ونتائجه، فقد يحمل العبء بعده غيره، فيكون على بصيرة.

١٠. القطع بالحكم والرأي والخطة وتحمل المسئولية إذا أخذ برأيه، ونفذت خطته، قال تعالى على لسان الهدهد: "أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾"[1].

---

[1] النمل، آية ٢٢-٢٥.

وقد تلجئ الأحوال القائد إلى أن يرسل عيناً من عيونه برسالة إلى أحد أعدائه، وقد تكون المفاوضة مثلاً من نتائج هذا العمل، ونحن نجمل هنا ما يلزم اتباعه في مثل هذه الحالات من أعمال وآداب.

الرسول:

يجب أن يكون الرسول عادة ممن عرف البلاد ودرسها جيداً ويا حبذا لو كان ممن تجسس فيها من قبل، وان يكون من أهل الفطنة والدرية والحنكة ومعرفة تأويل الأحاديث، واستنباط الأمور، وألا يتورّط في قول أو فعل، وأن يتحاشى الظهور في الأماكن العامة بقدر الاستطاعة، وان يبتعد جهده عن الاختلاط المباشر السافر بأهل الحل والعقد مع مراقبتهم مراقبة دقيقة وإحصاء حركاتهم وسكناتهم من زاويته الخاصة، أي ألا تكون مهمته مقصورة على ظاهرة من حمل الرسالة والرجوع بردها، وإنما يكون كالمرصد اليقظ لكل شيء يراه أو يسمع به أو عنه، ولكل شيء يلتقي به، ولكل حال ومكان يكون فيهما، وأن يتبين أثر الرسالة فيمن أُرسلت إليه واسلوبهم في تناولها ودراستها، وأثرها في مظاهرهم، وإعداد الرد عليها، وطريقة تجمع الآراء فيها، كما يكون صيرفياً في نقد الصحيح من الزائف من المظاهر والأحاديث، ومدى ارتباط الحاكم بالمحكوم، ونوع الوشائج التي بينها، وتقدير قوة العدو، وعدد جنوده، والتيارات والخلافات في مملكته ثم صدقه وسرعة التبليغ لرؤسائه.. قال تعالى على لسان سليمان للهدهد: "ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝"[1].

---

(1) النمل، آية ٢٨.

الرسالة:

أي الكتاب، يجب أن يُراعى في الكتاب ثلاثة شروط أصلية هي:

١. أن يكون موجزاً، حسن الصياغة، دقيق التعبير وقوي المذهب.

٢. أن تتضح فيه منزلة القائد والإشارة إلى قوته وجلاله من غير إسراف أو تحد، أو تفاخر، مع عدم إحراج المُرسل إليه، أو مس كرامته.

٣. أن تُوضّح الغاية من الكتاب، ويبيّن القصد منه في قوة قاطعة، قال تعالى: "إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝"[١].

القيادة:

لن تخرج نتيجة الرسالة عن أربع حالات:

١. أما أن يلبي العدو مطلب الإسلام الأول من غير مراوغة أو هروب أو التجاء إلـــى أي أمر، وفي هذه الحالة يجب على القائد المسلم أن يريه من نفسه وخُلقه ودينه فوق ما كان يرجو، وأن يترله مترلة الأخوة إن كان قد أسلم، أو مترلة الحماية والرعاية إن كانت الجزية..

٢. وإما أن تأخذه العزّة بالإثم فلا يحسن الرد ويعتز بقوته، ويغتر بجنده، وهذا تجب مباغتته والضرب على يديه قبل أن يستعد، وعدم ضياع أي وقت معه أبداً، " قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ .."[٢].

---

(١) النمل، آية ٣٠-٣١.

(٢) النمل، آية ٣٣.

٣. وإما أن يكون من أهل المر اوغة والختل والاستفادة من الزمن والرشوة، ولعل عمله هذا يحدث في ظنّه أمراً.

وهذا يجب ألا يعطي الفرصة التي ينشدها أيضاً، فيكون الرد عليه صريحاً بإعلان المبدأ وحشد القوة وتسييرها إليه فوراً، لإبطال قصده وإفساد خطته، وإيقاعه في الفخ الذي نصبه، "وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝ "[١].

٤. وإما أن يكون من أهل المداهنات ومن أصحاب الصراع الفكري وسياسة المفاوضات وتأويل الأحاديث، والمفاوضات بالمعنى المتعارف عليه الآن دولياً لا تصلح قط كأساس بين الحق والباطل، ولا يمكن أن تكون لها نتيجة سليمة، فالمفاوضة مساومة في الحق وهي دائماً على حسابه، فمن رضي بها فقد خسر الدنيا والآخرة، لأن تبادل المنفعة على أساس الخداع لكي تكون أمة هي أربى من أمة لا يكون حقاً أبداً، والمساومة على حساب الإسلام خيانة، وخروج على حدود الله، ولا شفاعة في حد، ولا خداع في حكم، ولا مساومة على حق، وإنما الدم الدم، والهدم الهدم.

قال تعالى: "فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۝ "[٢].

---

(١) النمل، ٣٥-٣٧.

(٢) محمد، آية ٣٥.

وكذلك التعاهد مع غير المسلمين على أساس المشاركة أو الصداقة، أو الدفاع عمل باطل، لأن غير المسلمين لا عهد لهم ولا ذمة، قال تعالى: "كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝"(١)، ويقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝"(٢)، ويقول: "وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ "(٣)، ويقول: "إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ "(٤).

أما إذا كان التفاهم على الوضع الجديد في حدود الإسلام من غير لجوء إلى السيف فهذه روح الإسلام، "۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ "(٥)، والسلم هنا هو إلقاء السلاح من العدو والتسليم للمسلمين بمطالبهم.

---

(١) التوبة، آية ٨.

(٢) آل عمران، آية ١٤٩.

(٣) القلم، آية ٩.

(٤) الاعراف، آية ٢٧.

(٥) الانفال، آية ٦١.

وعلى القائد المسلم أن تكون غايته الأولى في التفاهم السلم، وحقن الدماء في حدود مطالب الإسلام، وعليه أن يحشد في سبيل ذلك كل قواه الشخصية وقوة الدولة التي تسيطر عليها من علم وجاه ومال وثقافة وحنكة وحقد، ولا يحيد أبداً عن الهدف الأول الذي من أجله قامت دولته وتألفت أمته، وهذا الحشد هنا ما يسمى في زماننا بحرب الأعصاب، وسنتحدث عنها في مقام (المعركة)..

ولقد قام بهذا العمل الجليل في بدء الدعوة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وظل مجهول المهمة من الناس قرابة العشرين عاماً سيدنا العباس بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه من السابقين بالإسلام ولكنه تخفى بالتظاهر بمناصرة المشركين حتى أنه خرج يوم بدر معهم لمحاربة المسلمين تعمية وإغراقاً في التستر، وظل كذلك حتى الفتح الأكبر، وقد استخدم معه في هذا العمل كثيراً من المؤمنين والمؤمنات الذين سلكوا مسلكه، وقد أشار الله إليهم بقوله: "وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝"[1]، هؤلاء الجنود المجهولون والأتقياء الأخفياء عيون الإسلام والمسلمين على الكفر والكافرين ومنهم كان يتكون قلم المخابرات الإسلامي في مكة، وقد سبقهم في هذا المضمار أم سيدنا موسى عليه السلام إذ أرسلت أخته في أثره لما ألقت به في اليم فوضعتا لنا قانون المراقبة والتعقب الخفي وقص الأثر والانتفاع بالفرصة، وهذا في قوله تعالى: "وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝

(١) الفتح، آية ٢٥.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾"[1].

ونختم هذا الفصل بأحكم وأجمع كتاب في واجبات القيادة والجندية وعملية أركان الحرب وتنظيم المخابرات وهو كتاب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سيدنا سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه لما أرسله إلى فتح فارس قال سيدنا عمر: "أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة على الحرب، وآمرك ومن معك من الأجناد أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجند أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يُسلط علينا، فرب قوم سُلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم، وترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم عن مترل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع، وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة

---

[1] القصص، آية ١١-١٢.

يحيون فيها أنفسهم ويرمّون فيها أسلحتهم وأمتعتهم، ونحٍّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحد من أهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا فتولوهم خيراً، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، وإذا وطأت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخفى عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره، وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عيناً لك، وليكن منك عند دنوّك من أرض العدو أن تكثر الطلائع، وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم وتنق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل فإن لقوا عدواً كان أول ما يلقاه القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد، ولا تخص بها أحداً بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك، ولا تبعثن طليعة أو سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك، ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك، ولا تؤتي بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك، والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم".

الإعداد الفنّي

الإعداد الفني هو الخطوة العملية الأولى في إبراز الإعداد الأدبي كحقيقة واقعة في ميدان الجهاد، وهو المظهر الحسي للقوة المعنوية الكامنة في نفوس المجاهدين، وهو قسمان:

عملي وخلقي، وهما يسيران جنباً إلى جنب لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

١- العملي:

يتركز في النظافة، النظام، الرياضة البدنية، والتدريبات العسكرية على اختلاف أنواعها، ثابتة ومتحركة، والتعرف على أنواع الأسلحة والذخائر وطرق استعمالها وصيانتها، وعلى كيفية القتال في جميع الأوضاع والمواقف بشتى الوسائل والأساليب وعلى معرفة استخدام الأماكن والمرافق والمعدات والانتفاع بها على أحسن وجه، وعلى الاستكشاف وجمع المعلومات، وطرق التخفي وأساليب المراوغة والمجالدة، والكر والفر في الميدان.

والنظافة:

هي أول واجبات الجندي، إذ أنها الأساس الصحي لبناء الجسم، وفيها الوقاية الأولية له من كثير من الأمراض وهي تطهير الأعضاء الظاهرة مما يعلق بها بالماء النقي، ولأهميتها فرضها الإسلام على المسلمين، وجعلها مبدأً ثابتاً لكل أعمالهم وعباداتهم، والمتدبر في حكمة الوضوء واختيار الأعضاء الظاهرة والأنف والفم والأذنين يرى أن الإسلام قصد تطهير منابع العرق والإفرازات الضارة، وقصد بالغسل تطهير جميع البدن فضلاً عن تنشيطه وإيقاظ حيويته وإعداده

للعمل في الأوقات المناسبة، قال تعالى: "مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝"(١)، وقال أيضاً سبحانه: "إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝"(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: "النظافة من الإيمان"، والنظافة مبدأ عام يشمل جميع حاجيات الجندي المسلم وأعماله.

والنظام:

وهو أساس كل إصلاح، ولا قيام لأي عمل مجيد ولا صلاح لأي أمر عظيم إلا بالترتيب والنظام، فهو ميزان الأعمال، وقوام الدول وعماد الملك، والإسلام دين الحدود والنظام والقسط، وضع لكل شيء في الوجود نظاماً مستقراً وحدوداً واضحة وجعلها شعائر فرض على المسلمين تعظيمها وجعل تعديها ظلماً وطغياناً، قال تعالى: "وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝"(٣)، وقال: "وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝"(٤)، وقال: "تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝"(٥)، فالنظام مبدأ عملي طبيعي يجري مجرى العقائد والعبادات في حياة المسلمين، والمُتدبر في حكمة الصلاة على الصورة الجماعية المنظمة يرى أن هذا المبدأ مقرر في الإسلام

---

(١) المائدة، آية ٦.

(٢) البقرة، آية ٢٢٢.

(٣) الرعد، آية ٨.

(٤) الحج، آية ٣٢.

(٥) البقرة، آية ٢٢٩.

ليسود في جميع الأعمال، وليكون القانون العام الذي تجري عليه أمور المسلمين لأنه دين والدين شعائر ونُظُم.

والرياضة:

هي تربية الجسم وتنشيطه بواسطة حركات منظمة تشترك فيها أعضاؤه جميعاً لتطهيره من الفضلات الداخلية كالدهن والعرق، ولتكوين عضلاته وتنسيقها وإعداده للقدرة على العمل الشاق والمقاومة، وهي كثيرة منها: السباحة، المشي، العدو، ركوب الخيل والدراجات والسيارات، الملاكمة، المصارعة بأنواعها، التحطيب، الضرب بالسيف والرحلات وغير ذلك، وبالجملة كل الحركات الجسمية المنظمة التي تساعد على صقل الجسم وإعداده.

ولما كانت الرياضة البدنية ضرورية لبناء الجسم وتهذيب النفس وتربية الخلق وتكوين الشخصية، ولما كانت عاملاً أساسياً في حياة الأمم وإقامة صروح مجدها ورقيها؛ فقد جعلها الإسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولم يعف منها أحداً أو يقبل فيها عذراً ورمز لها بالصلاة التي هي في هيكل مجموعة حركات منظمة رتيبة على أوضاع مختلفة تشترك في أدائها جميع أعضاء الجسم تقريباً، وما فُرضت الصلاة للاكتفاء بها رياضياً عن غيرها بل جاءت أصلاً ومنبعاً لقيام المبدأ وتقديره، حتى لا يعترض معترض على الرياضة من حيث لا تتفق مع الوقار والسمت، وما القيام والقعود والركوع والسجود إلاّ إشارات عملية إلى إلزام المسلمين بتحقيق مبدأ الرياضة البدنية كوسيلة حيوية من وسائل بناء أمتهم وقيام دولتهم ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى الحج ومناسكه والأعمال العظيمة فيه، وهو فضلاً عن كونه رحلة كشفية واقتصادية وسياسية، فهو كذلك رحلة رياضية للجسم والنفس والعقل ورحلة حربية يتحقق فيها مبدأ الفداء والتضحية والتجرد، والعجيب من أمر الرياضة في الإسلام أنها

عبادات وأعمال ذات طابع روحي وهدف إنساني ونظام رباني لتكوين الفرد والجماعة على أساس موحد جامع وشعار مميز كريم وقانون يحيط بتربية الملكات وتهذيب الغرائز والاستفادة من المواهب والقوى الطبيعية على السواء، لا كما هو عند الأمم الأخرى مظهر للتفاخر والتسلية وإشباع بعض الرغبات، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لبدنك عليك حقاً"، وقال رسول الله: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"، وقال الله تعالى في وصف المؤمنين: "مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ"[1]، وقال تعالى في وصف طالوت وثنائه عليه: "وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ "[2]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للرجل الرياضي في الخلق والجسم والعلم، ولنا فيه أسوة حسنة، فإنه كان إذا مشى مشى مستقيم العود ينحدر في مشيه انحدار السيل، وإذا توقف توقف كله وإذا التفت التفت بجميع بدنه، ولا يتأتى هذا إلا للقوى المسيطر على أعصابه القوية، وكان سواء الصدر والبطن، وهذا دليل السلامة والصحة والتريض، ولقد كان الغار الذي يتعبد فيه قبل البعثة في قمة جبل لا يصل إليه أهل الفتوة والقوة إلا بعد جهد جهيد ومشقة بالغة ومحاولة مضنية، ولا زال هذا الغار مكانه يتحدى القادرين والمستكشفين، وقد عرف عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصعد إليه وينزل منه وهو كما هو لا يرى عليه في الحالتين أثر الإجهاد، وذلك من المداومة على الرياضة البدنية بصورة ما..

---

(١) الفتح، آية ٢٩.

(٢) البقرة، آية ٢٤٧.

ولقد كان أصحابه جميعاً كذلك، لكل منهم رياضة خاصة يزاولها ويتفوق فيها على إخوانه، فكان سيدنا عمر بن الخطاب مثلاً يحب ركوب الخيل ويستطيع أن يقفز على الحصان بدون أن يمسك بشيء، وكان سيدنا علي بن أبي طالب لا يدركه مدرك في العدو، وكان المقداد بن الأسود قوي الساعد إلى حد أنه يضرب بسيفه الرجل فيقسمه نصفين، وكان طلحة والزبير من أشد المصارعين في المسلمين، وغيرهم كثير..

وحكاية عمر رضي الله عنه مع الشاب الناسك الذي مر به وقد أحنى قامته وطأطأ رأسه علامة الخشوع والتبتل فحمل عليه عمر وضربه وقال له: ارفع رأسك وأصلح قامتك لا تمت علينا ديننا أماتك الله، دليل قوي على أن الرياضة البدنية الخشنة من شعائر الإسلام ومن أساليب نشره وحججه، ولا أقوى في التدليل على ذلك من حكاية ركانة فإنه كان رجلاً صلباً شديداً ويُقال أنه كان أقوى رجل عرفته الجزيرة العربية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد كان يؤتى له بجلد البعير فيقف عليه ثم تأتي العصبة من الرجال الأشداء لينتزعوا الجلد من تحته فلا يقدرون ولا يحرك ركانة عن موضعه حتى يتمزق الجلد وإذا هم مجهودون وهو كما هو كأن لم يفعل شيئاً، جاء هذا الرجل القوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب منه أن يصارعه وشرط أنه لن يسلم إلا إذا صرعه رسول الله، فقبل النبي عليه السلام شرط ركانة وقام إليه وصارعه فصرعه عليه الصلاة والسلام، فطلب ركانة الإعادة فلم يبخل النبي عليه السلام بذلك وصارعه فصرعه للمرة الثانية، فرجا ركانة أن يصارعه النبي للمرة الثالثة فصارعه الرسول صلوات الله عليه وصرعه، فقام ركانة وهو يقول: "أشهد أن هذه ليست قوة بشر"، وهذه القصة تثبت الأخلاق الرياضية العالية التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا لم يمنعه مقام النبوة وجلال الرسالة من أن ينازل رجلاً من عامة الناس في مصارعته علانية، لأن الرياضة وسيلة من وسائل قيام الدعوة ونشرها ومن شعائر الإسلام والمسلمين، وقد

استخدمها النبي بنفسه فكيف لا تكون من قواعد الدعوة وخاصة في حياة الجنود ونظم الجيش.

التدريبات العسكرية:

هي التعليم العملي، وهو ضروري للإعداد ولا يمكن الانتفاع بالرياضة البدنية والإعداد بأنواعه إلا بالتدريب العسكري الذي هو ألزم لوازم الجهاد، وأنفع للمسلمين في حربه وسلمه من كل ما يلهيه عن ربه، وحرام على أمة وصف الله أهلها بالعزة والقوة أن يكونوا جاهلين بالأمور العسكرية في زمن ساد فيه الكفر وانحسر فيه ظل الإسلام لتمسك الكافرين بالإعداد والقوة وعزوف المؤمنين عنها استكانة وضعفاً، والله سبحانه وتعالى لم يكلف المسلمين بالتدريب على القتال والسلاح شططاً فإنه سبحانه خبير بخلقه ولا يكلف نفساً إلا وسعها، وفي وسع المسلمين أن يفعلوا على الأقل ما يفعله غيرهم إن لم يتفوقوا عليهم.

والتدريب في عصرنا هذا لا يختلف عن التدريب في العصور السابقة إلا في الشكليات تبعاً لسنة التطور والترقي، فعلينا أن نعرف القديم ونتعلم الجديد ونعلّم أبناءنا أكثر مما علمنا فإنهم مخلوقون لزمان غير زماننا، ولا عيب في أن نأخذ العلم عن أهله لأن الله تعالى يقول: "فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝"[1]، ولا تقعد بنا المشقة، فإن النبي عليه السلام يقول: "اطلبوا العلم ولو في الصين"، والتدريب يجب أن يكون في أيام السلم للتهيؤ والاستعداد حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة وهي قاعدة قائمة في حياة الإسلام والمسلمين

(1) النحل، آية ٤٣.

في زمن الحرب وزمن السلم على السواء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستفتح عليكم أرضون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه"، هذا للفرد من الأمة المنتصرة المتحكمة في الأرض، فما بالك بأفراد الأمم المغلوبة التي تريد أن تستعيد حقيقتها وحياتها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بذلك وحثهم على التدريب والرمي واعتبرهما منبع القوة، والنكوص عنهما خروج على الإسلام وجماعة المسلمين، قال عليه الصلاة والسلام: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"، وقال: "من علم الرمي ثم تركه فليس منا"، وقال: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها.."، ولقد مر صلى الله عليه وسلم بقوم ينتضلون فقال: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، ارموا أنا مع بني فلان.."، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مالكم لا ترمون"، قالوا: "كيف نرمي وأنت معهم؟" فقال النبي عليه السلام: "ارموا وأنا معكم جميعاً".

ولقد كثرت أنواع الأسلحة في هذا الزمان الذي نعيش فبه، وكل نوع منها له خصائصه ومميزاته وله فوائده وضروراته ولا غنى بأحدهما عن الآخر، ويجب على من يريد الجهاد في سبيل الله أن يلم بها جميعاً أو بأكثرها على الأقل، كما يجب على القائمين بأمر تكوين الجيوش استيفاء العدد الكافي للتخصص في كل سلاح، والأخذ بالحيطة والحذر وحسن التدبير، قال تعالى:

"وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم

مَرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ "[1].

وتختلف حالات القتال باختلاف الظروف والأماكن، فهناك القتال في الصحاري والأراضي المكشوفة، والقتال في الجبال الوعرة وفي الغابات، وفي الأراضي الزراعية التي تتخللها القنوات والترع وتملؤها الأشجار والقرى، وهناك القتال في المدن وفي الحصون ومن وراء الجدر، والقتال في الصيف وفي الشتاء، وكل هذه أماكن وحالات يختلف فيها نوع القتال كما يختلف فيها نوع السلاح، فلكل ما يناسبه، فعلى القائمين بأمر الجيش المسلم أن يدربوا جنوده على القتال في كل هذه الظروف بأسلحتها المناسبة لها...

قال تعالى: "وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ "[2]، وقال: "وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ "[3].

وقد أشار القرآن الكريم إلى ميزة الجندي الإسلامي على غيره من جنود العالم بحسن تدريبه وفقهه في القتال حتى كانت نتيجة ذلك أن يغلب الجندي المسلم عشرة من غير المسلمين، وذلك لقوله تعالى: "إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ "[4].

---

(١) النساء، آية ١٠٢.

(٢) التوبة، آية ٥.

(٣) البقرة، آية ١٩١.

(٤) الانفال، آية ٦٥.

وأشار كذلك إلى حركات المقاتل وأوضاعه في الميدان حسب مقتضيات الحال، وهي بين انبطاح وارتكاز ووقوف بقوله: "فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ "(١)، والمتبصر يرى أن هذه الآية الكريمة نزلت في آيات القتال وحالات المقاتلين وأن كلمة الذكر تفسر بالحال الذين ذكرت في محيطه.

وليس أدل على النظام والتدريب الذي أمر به المسلمين وخاصة في حروبهم وقتالهم من قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝ "(٢)، وفي هذه الآية من عوامل القوة ما سنذكره في حينه إن شاء الله.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن القرآن وهو دستور الإسلام والمسلمين وكتاب العلم والحق والقوة والنظام لم يترك أمراً من أمور الفنون الحربية إلا واشار إليه من قريب أو بعيد ليتعلم المسلمون منه ما يساعدهم على إقامة صروح العدالة، ومن ذلك أن كثيراً من الفنون الحربية يتعذر التدريب عليها في بلاد الإسلام ولا يمكن الحصول على دراستها إلا في البلاد الأجنبية ومن هنا يتحتّم أن يسافر إليها المتخصصون على هيئة بعثات عسكرية علمية في كل باب وفن من الفنون المُتعذر دراستها في حدود البلاد الإسلامية، فأمر القرآن المسلمين بذلك ورسم لهم طريق العمل للمبعوثين و لم يجعله قاصراً على التدريب الفني في المواضيع التي ذهبوا من أجلها بل أمرهم بما يأتي:

(١) النساء، آية ١٠٣.

(٢) الصف، آية ٤.

١. أن ينفر طائفة من كل فرقة في الجيش للفن الخاص بها سواء كانت في الطيران أو في غيره.

٢. التفقه فضلاً عن التعليم فيما ذهبوا إليه ليعودوا مدربين وأخصائيين لا متعلمين فقط.

٣. اعتبار هذا العمل عقيدة وديناً، وقاعدة عملية إسلامية.

٤. ألا يقتصر عمل القائمين بها على الدراسة الفنية في العلم الذين تخصصوا فيه، وإنما يتبع ذلك التعرف على أحوال البلاد التي هم فيها ومدى صلتها بالإسلام والمسلمين ومبلغ إعدادهم واستعدادهم في كل شيء.

٥. إخبار أولي الأمر بالنتائج التي وصلوا إليها بصدق وصراحة.

قال تعالى: "۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾"(١).

ويتبع ذلك ضرورة التدريب على الإخفاء والاختفاء ولذلك أصوله وقواعده، كإخفاء المصانع والمعامل وأماكن المؤن والذخائر والحظائر الخاصة بالدواب وما يجري مجراها كالطائرات وغيرها، ومكامن الجنود وأوكار المدافع والدشم والخنادق والطرق الخاصة وما إلى ذلك، والاختفاء كذلك عن أعين المراقبين والجواسيس.

"وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾"(٢).

(١) التوبة، آية ١٢٢.

(٢) الكهف، آية ١٩- ٢٠.

وكذلك التدريب على الكشف واستقاء الأخبار ومراقبة العدو واستخلاص ما يمكن من المعلومات الصادقة بحيث يكون العنصر الأساسي في هذا التدريب هو الحذر والاستقصاء، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آية كريمة على لسان موسى لأخته: " وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ "[1].

وقد أوردنا هذا في بابه بإفاضة وتوضيح.

والخلاصة أن عنصر التدريب على كل الفنون الحربية من أهم قواعد القتال وأسباب النصر، وعناصر القوة، والمتصفح لتاريخ الإسلام يجد عن ذلك الشيء الكثير، وبين دفتي المصحف الشريف وحديث الرسول ما يقرر هذا المبدأ ويفرضه.

٢- الخلقي:

وهو في الرياضة الروحية والرياضة العقلية وفي التعرف على واجبات الجندية والقيادة والتخلق بها، وتحديد المسئوليات والتعاون عليها وتوضيح الصلة بين كل من الجندي والقائد، وأساليب المعاملة بينهما والوسائل التي يسيطر بها كل منهما على أداء واجبه، وتبيان مبدأ الجزاء وقوانينه.

والرياضة الروحية:

هي تربية النفس على احتمال الشدائد ومقاومة الشهوات وكبت العواطف والنزوات وكظم الغيظ والسلطان على نزعاتها، وتعويدها على الصبر

---

(١) القصص، آية ١١.

في البأساء والضراء وحين البأس والصدق والعفة والطاعة والإحسان والتعاون والثقة والسمو بها عن كل ما يضعفها من فكر أو قول أو فعل، وذلك بإحسان الصلة بالله تعالى والقيام بشعائر الإسلام حتى تنمو فيها الروح المعنوية التي هي أمضى سلاح عند الجندي المؤمن، ولا حياة للروح المعنوية في نفس الجندي إلا إذا كانت نابعة من قلبه صادرة عن عقيدة خالصة ونتيجة لعمل مفروض تتمثل فيه حقائقها ويؤديه الجندي بنظام ويرعاه بحكمة ويقيمه بإخلاص وتذوق، والإسلام من هذه الناحية هو الدين الوحيد والنظام الخاص الذي لا تخلو عبادة من عباداته ولا شعيرة من شعائره ولا فريضة من فرائضه اليومية أو الموسمية من إحياء الروح وتهيئتها وترويضها، وإن الصيام بنوع خاص يكاد يكون أول هذه العبادات والأعمال جميعاً في القيام بهذه المهمة الغالية، فهو فضلاً عن كونه رياضة بدنية للأعضاء الداخلية فهو رياضة روحية كاملة فيها السيطرة على رغبات النفس والجسم وارتقاء بالأخلاق الإنسانية إلى منزلة لا يحققها إلا من صام لله، فعلى القائمين بتدريب الجيش التدبر في هذا الأمر وتقرير المبادئ الصالحة لروح الجنود مأخوذة من شريعة الإسلام، قال تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ..." [١]، وذلك من الاتقاء والتقية باتقاء المعاصي والذنوب والشهوات، والتقية من أوهام النفس وأمراضها.

---

(١) البقرة، آية ١٨٣.

الرياضة العقلية:

وهي في البحث والسياحة والاكتشاف، فالبحث ينتج العلم، والعلم يدفع بالإنسانية إلى الدرجات العُلى، وليس العلم قاصراً على ما وصل إليه الإنسان الآن ولكنه في اتساع دائم، "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا "، وهو فريضة على كل مسلم ومسلمة.

ولا يكون الجندي صالحاً لمهمته إلا إذا كان ملماً بتعاليم دينه وأسباب جهاده ونتائج أعماله، محيطاً بالوسائل التي يجاهد بها وبالأماكن والأوقات التي يحارب فيها "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ "[1]، "إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ "[2].

فالرياضة العقلية إذن هي استخدام المواهب والملكات فيما خلقت له وتسخيرها في اكتساب العلم وتطبيقه عملياً وإفادة المجتمع الإسلامي والإنساني منه، وقد ركز الله معانيها وحكمها في فريضة سهلة ميسرة على من يسرها الله عليه، مناسكها ورموزها بسيطة الأداء سهلة الفهم، هي فريضة الحج، وهي كما أسلفنا رحلة كشفية عسكرية، وسياحة علمية اجتماعية وسفرة سياسية اقتصادية تجمع المسلمين كافة على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وبُعد بلادهم وتباين صورهم ولغاتهم في مؤتمر عام ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات.

---

(١) الزمر، آية ٩.

(٢) الحجرات، آية ١٥.

أما آداب القيادة والجندية وواجباتها وما وراء ذلك فقد سبقت الإشارة إليها في المواضيع السابقة، وخاصة في الإعداد الأدبي، والذي نريده هنا هو أن تكون هذه الآداب وهذه الواجبات بمثابة أعمال ثابتة وأخلاق عملية يتدرب عليها الجنود بالفهم والمدارسة والتخلّق، "﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾"[1].

الإعدار المالي

الإنفاق، وهو شطر الجهاد الأول، وبدونه لا قيام للشطر الثاني, وهو القتال، والإنفاق من حيث أنه فكرة ومبدأ وعقيدة يتمشى مع فكرة القتال خطوة خطوة.

والمال قرين النفس، ولا يصح الجهاد إلا بهما معاً خالصين، وهو عصب الحروب وعمودها الفقري، وقد جعله القرآن الكريم في المترلة الثانية قبل الفتح الأكبر ثم في المترلة الأولى بعد الفتح لأسباب لا تخفى عن لب القارئ اللبيب، أهمها أن الدعوة في أول عهدها كانت في حاجة إلى الرجال أكثر من حاجتها إلى المال، فلما أصبحت دولة جاءت مترلة المال في المقدمة.

---

(١) الرعد، آية ١٩-٢٢.

والإنفاق مبدأ من مبادئ الإسلام القويمة التي لا يُقبل إسلام المرء بدونها، والتقصير فيه مع القدرة عليه نكوص وخروج وتهلكة "وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝"[1]، ولِيُنفق ذو سعة من سعته، ولو كانت حفنة من بر، ألم تر إلى المسلمين في غزوة تبوك لما ندبهم النبي صلى الله عليه وسلم للإنفاق فكانت مباراة بين المسلمين السابقين من المهاجرين والأنصار، مثل أبي بكر وعمر وعثمان وسعد ابن معاذ وغيرهم من كبار الصحابة، فقد جاء أبو بكر الصدّيق بماله كله وجاء عمر بنصف ماله، وجاء عثمان بعشرة آلاف، ثم جاء جابر ابن عبدالله الأنصاري بحفنة من بر هي كل ما كان يملك، فلمزهم المنافقون وتحدثوا كثيراً فأنزل الله في حقهم: "ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝"[2].

وما دفع جابر رضي الله عنه إلى أن يأتي بحفنة البر وهي لا تساوي شيئاً إلا تقديراً لمبدأ الإنفاق، وتنفيذاً لأمر الله وطاعة لرسوله، وحراسة لدعوته وتمكيناً لها.

والإنفاق مع أنه فرض على كل مسلم إلا أنه فرض على أساس التطوّع تربية للنفوس، واطمئناناً إلى المسلمين، وكشفاً للمنافقين، وميداناً للتسابق وإشباعاً لغريزة التفوّق، وفي ذلك فيتنافس المتنافسون.

---

(١) البقرة، آية ١٩٥.

(٢) التوبة، آية ٧٩.

والآيات التي نزلت فيه كثيرة، وهي قسمان: قسم محدد فيه القسط، وقسم مطلق لم يُحدد.

والقسم الأول خاص بالحد الأدنى من فرض الزكاة والصدقات حتى يكون كتاباً مفروضاً ومبدءاً مقرراً.

والقسم الثاني لإفساح المجال للمحسنين وفتح ميدان التسابق والتنافس في مرضاة الله.

ومن الآيات التي نزلت في النوع الأول:

"۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ .." (١).

ومما نزل في النوع الثاني قوله تعالى:

"۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ..." (٢).

"الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝" (٣).

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ" (٤).

---

(١) التوبة، آية ٦٠.
(٢) آل عمران، آية ١٣٣.
(٣) البقرة، آية ١-٣.
(٤) الصف، آية ١٠ - ١١

"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة".

وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى.

ولحث المسلمين على الإنفاق وعد الله المؤمنين الذين ينفقون بمضاعفة الأجر لهم حتى يصل إلى سبعمائة ضعف، فقال: "مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ "[1]، ولم يترك الإسلام الإنفاق في سبيل الله لإحسان المحسنين وصدقات المتصدقين واكتفى فقط بتقريره مبدأ عاماً، وإنما نظّم موارده تنظيماً ثابتاً في أمور كثيرة، منها:

١. سهم ثابت من أسهم ضريبة الزكاة، يُقدر بالثمن منها.

٢. جعله فرضاً أساسياً على المسلمين من غير تحديد الحد الأعلى له " وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ "[2].

٣. إعطاء الحاكم المسلم الحق في أخذ ما يشاء من مال المسلمين في أيام الحرب من غير قيد ولا شرط، قال عليه السلام: "أنا أولى بكل مسلم من نفسه"، وقال تعالى: "ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ"[3].

٤. جزء كبير من الغنائم والأنفال " ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ "[4].

---

(١) التوبة، آية ١١١.

(٢) البقرة، آية ١٩٥.

(٣) الاحزاب، آية ٦.

(٤) الانفال، آية ٤١.

٥. الجزية المقدورة على غير المسلمين، والمال المجني منهم.

٦. الضرائب الإضافية عند اللزوم، ومنابع الثروة والقوة العامة من غير مال الأفراد، وفضلاً عن ذلك، فإن نفوس المسلمين مُهيّئة بدعوة القرآن إلى إنفاق أموالهم في سبيل الله طوعاً من غير تدخل الحاكم لأن الله وعدهم برد أموالهم إليهم مضاعفة في الدنيا بالنصر والغنيمة، وفي الآخرة بالجنة والرضوان، قال تعالى: "وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝"[1]، وقال: "وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝"[2]، وذلك في الوقت الذي وعدهم فيه سبحانه وتعالى بأن أعداءهم مهما كثرت أموالهم وعم إنفاقهم وقوِيَ استعدادهم فهم مغلوبون لقوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝"[3].

والدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله عامة لجميع المسلمين أغنياء وفقراء، قال تعالى: "هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ۝"[4].

---

(١) سبأ، آية ٣٩.

(٢) الانفال، آية ٦٠.

(٣) الانفال، آية ٣٦.

(٤) محمد، آية ٣٨.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنحة خادم في سبيل الله، أو طروقه فحل في سبيل الله".

ولا يقبل الله مالاً في سبيله إلا إذا كان طيباً حلالاً خالصاً من الرياء والنفاق والإكراه.

قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ "(١)، وقال للمنافقين: "قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ "(٢)، ضرب مثلاً للذين ينفقون أموالهم رئاء الناس فقال: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ "(٣)، وضرب مثلاً للمخلصين الصادقين فقال: "وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ "(٤)، والخلاصة أن

---

(١) البقرة، آية ٢٦٧.

(٢) التوبة، آية ٥٣.

(٣) البقرة، آية ٢٦٤.

(٤) البقرة، آية ٢٦٥.

الإنفاق فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المال الحلال الطيب المكتسب من غير رياء أو كراهة، وأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وهذا هو سبيل المسلمين: "وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝"[1].

فعلى الذين ولاّهم الله أمر المسلمين الاتجاه بهم إلى الغاية التي حددها الله لهم بالوسائل التي اختارها لهم، وعلى المسلمين الطاعة والولاء والبذل والإنفاق، ولينصرن الله من ينصره إن الله قوي عزيز.

المعركة

لما كانت العمليات الحربية فنياً تسير دائماً في مرحلتين طبيعيتين، الأولى فيما قبل المعركة، والثانية تبدأ مع المعركة وتنتهي بنتائجها ومخلفاتها، وتعتمد الأولى على الدراسة والإعداد والحشد والتنظيم، وتعتمد الثانية على إدارة المعركة وتحركات الجيوش وتموينها، والتصرف بعد النتيجة، وقد سميت الأولى في الاصطلاح الحديث بالاستراتيج، وسميت الثانية بالتكتيك، لما كان الأمر كذلك لزم تنظيم العمل فنياً على هاتين القاعدتين في ضوء الأصول التي تعارف على أكثرها القواد الحربيون في تاريخ العالم قديماً وحديثاً، والمتأمل في التاريخ العسكري الإسلامي يراها بينة فيما يأتي:

١. وضوح الغاية من القتال دائماً في نفوس المجاهدين واستصحابها في كل معركة والمحافظة عليها من عوامل التحول الظاهرة والباطنة، وأنها في سبيل الله وإعلاء كلمته..

---

(١) النساء، آية ١١٥.

٢. أقتدار القيادة واستعدادها لمهمتها، وشعورها الدائم بحقها وواجبها واستقلالها في السيطرة على الموقف، ووجود العزيمة الصادقة عندها.

٣. التثبت من أخبار العدو ومعرفة قوته ومدى استعداده، وأماكنه وحالته المعنوية، وتحركات جيوشه وطرق تموينه.. الخ.

٤. وضع الخطة الصالحة للعمل على أساس دراسة الأماكن التي ستدور فيها المعركة والتي تقع حولها، والاستعانة بالخبراء وإشراكهم في المسئولية.

٥. تحديد الهدف الأساسي في المعركة وتركيز القوة للوصول إليه، أي الغرض والمحافظة عليه، وعدم الانصراف عنه بالاشتغال بالمعارك الجانبية أو المعوقات..

٦. كتمان الخطة كتماناً تاماً، والتستر والتخفي في أماكن التورية عند التنفيذ، وتجديد الاصطلاحات وكلمات السر حتى لا تكون ثغرة.

٧. الإعداد الكامل والتجمع السريع، والحشد المنظم والتقسيم الفني..

٨. عدم إدخال عناصر غريبة في الجيش أو اتخاذ غير المؤمنين جنوداً أو الاطمئنان لمنافق.

٩. الاقتصاد في القوات والمعدات، وعدم الإسراف فيها، فلا يُستخدم إلا المقدار الضروري.

١٠. التأكد من وجود الاحتياطي من الرجال والعتاد حتى يمكن الاستفادة منهم عند الضرورة.

١١. توزيع الاختصاصات، وتحديد المسئوليات، والاستفادة من الكفاءات، حتى لا يكون تضارب في الاتجاهات أو خلط في العمليات أو صراع بين الشخصيات.

١٢. تنسيق العمل بالتعاون المنظم الذي يربط بين القوات المختلفة فتتعاون جميعاً على تنفيذ الخطة الموضوعة بإحكام وإبداع.

١٣. تأمين المؤخرة من العدو المحارب في الطرق الحربية وغيرها، ومن العدو الخفي ودعاة الهزيمة والفوضى في الداخل، وكشف الطريق أمام الجيش وتأمينه قبل خوض المعركة.

١٤. استخدام الطريقة الهجومية مع تحصين المواقع المكشوفة بالمرابطين للانتفاع بهم.

١٥. اختيار المكان والزمان المناسبين للعمل والبدء.

١٦. التربص والحذر ودوام مراقبة العدو في المعركة وخارجها وحولها والانتفاع بأخطائه وتحركاته.

١٧. مواصلة المطاردة حتى القضاء على العدو أو تمزيق جيوشه وتشريدها.

١٨. وضع خطة الرجعة والانسحاب الصالح (للانتفاع بها عند الضرورة القصوى).

١٩. الاستفادة من الهزيمة والنصر على السواء والتخلص من مخلفات المعركة ونتائجها.

والمعركة هي الصراع بين قوتين تريد كل منهما انتزاع الحياة من الأخرى والسلطان عليها، وهي القتال لتقرير المصير وتحديد الوضعية السياسية في الأرض، ولكنها في الإسلام العمل الإيجابي الذي يفرّق بين الحق والباطل والنزال بين فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة، وعلى قدر الاستعداد العلمي والإعداد العملي والروح المعنوية تكون النتيجة.

وتتلخص عوامل النصر في المعارك التي يخوضها المسلمون في سبيل الله فيما يأتي:

١. المحافظة على الوحدة، والترابط بين جميع القوات المجاهدة وسريان روح الجماعة وسلطانها، والإيمان بها ووضوح الغاية وابتغاء الوسيلة لها.

٢. الثبات الصادق عند اللقاء ودوام الجلاد والمصابرة حتى الشهادة أو النصر.

٣. حسن الصلة بالله تعالى ومراقبته من الجماعة كلها، بذكره ودعائه والاستمداد منه.

٤. الإيمان الخالص بالنصر والفلاح مهما قلّ عدد المسلمين وكثر عدد عدوهم، ومهما أصابهم الضر.

٥. الطاعة المؤمنة المطلقة لله ولرسوله وللقادة من غير جدل أو حرج.

٦. عدم التنازع مطلقاً على أي أمر بين الرؤساء أو الشقاق بين الجنود مهما كان الاختلاف في الرأي وتعميم التسامح بين الجميع واهتمام كل فرد بعمله، فلا يلوين أحد على أحد.

٧. الصبر على الأحداث والكوارث من القادة، وعلى الجلاد والجهاد من الجنود.

٨. تنقية النفسية العامة للجيش من البطر والرياء والغرور والعجب.

٩. عدم الاستعانة بغير المسلمين حتى ولو كانت الصلة بهم حسنة، أو الركون إلى غير الله سبحانه وتعالى.

١٠. التوكل الدائم على الله تعالى وإخلاص العمل له.

وجمع ذلك كله في قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ

وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ "[1].

ولكسب المعركة يجب (بعد الاستعداد) النظر في ثلاثة أمور هي أصولها:

١. الرأي.

٢. المكيدة.

٣. الحرب.

الرأي:

أساس الأمر في الإسلام هو الرأي والمشورة، وليس رأي الجماعة (كما تقدم)، وإن كثرت ملزماً للإمام أو مفروضاً عليه (مع الاحترام والتقدير) وإنما كانت الاستشارة للاستنارة، ولا حق للأمير في الاستبداد بالرأي أو عدم الانتفاع بالنصيحة، ولكن له الحق في الأخذ أو الرفض بعد المناقشة بالحسنى.

ويجب أن يكون أساس المداولة في أمر الجيش على خمسة أصول مرعية، هي:

أ. العلم وهو الإحاطة بالشيء المُراد تمحيصه ومعرفة كل ظروفه وملابساته.

ب. النصيحة وهي إبداء الرأي الصافي من الشوائب النفسية والاغلاط الفقهية.

---

(١) الانفال، آية ٤٥-٤٩.

ج. الإخلاص، وهو خلوص نفس الناصح من كل غرض شخصي أو موجدة خاصة أو ما يشبه ذلك.

د. الصبر، وهو تلقي رأي الغير وإن كان مخالفاً بالأناة والتؤدة والتسامح المطلق والمناقشة من غير تعصب أو غرور أو ازدراء.

ه. الطاعة والتجرد عند الاجتماع على الأمر وتنفيذ كل عضو في الجماعة عمله من غير تعد على اختصاص غيره، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع أصحابه ويستشيرهم، ويقبل نصح الناصح بقبول حسن، وقد يعمل برأيه، كما كان يتقدم أهل الرأي برأيهم وإن لم يُطلب منهم ذلك، فالموقف شركة إسلامية وتعاون عام بين المسلمين، وبالرجوع إلى موقف الحباب بن المنذر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر (وقد ذُكر في آداب القيادة) يتبين لنا إلى أي مدى كان يُفهم الرأي ويؤخذ به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة"، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم".

المكيدة:

وهي تدبير الخطة وإحكامها على ضوء الظروف والملابسات والمعلومات الصحيحة وإقرار الرأي بعد التمحيص، وإعداد العدة والتصرف فيها بعد التفكير والمشورة، وربط الأعمال وتوثيق العلائق بين أنواع القوى المجاهدة ومراقبة الأمور كلها والتمهيد للمعركة بما يناسبها، واستطلاع الميدان والتأكد من المواقع والمرافق، والاستعداد لكل الفروض والمباغتات.

والمكيدة هي خلاصة الإعداد الروحي والعملي، وهي الفرصة الأخيرة لكسب المعركة، فيجب ألاّ يُبتّ فيها إلا بعد الإشراف التام على التعبئة والدراسة الصحيحة لكل جوانب الحالة الداخلية والخارجية، ويختلف النظر فيها

باختلاف المناسبات، ولكنها لا تخرج جميعها في عمومياتها على الأصول السابقة، وفي اعمال النبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لكل قائد وجندي، وحكايته الثانية مع الحباب بن المنذر أيضاً في غزوة خيبر، لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قريباً من حصون النطاة، فجاءه الحباب وقال: يا رسول الله إن أهل النطاة لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد منهم مدى سهم، ولا أعدل رمية، وهم مرتفعون علينا، وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن بياتهم، يدخلون في حمرة النخل.. تحوّل يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "أشرت بالرأي إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا"، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة رضي الله عنه وأمره باستطلاع الميدان حيث قال له: "انظر لنا منزلاً بعيداً"، فطاف محمد رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله وجدت لك منزلاً، (وكان إلى صخرة عظيمة كأنها حصن)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على بركة الله"، وتحوّل لما أمسى وأمر الناس بالتحوّل فتحوّلوا.

وهذه القصة تعرّفنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يضع قواعد المكيدة لأصحابه عملياً، وهي الرأي والنصيحة، والكشف والاستطلاع والتربص والإعداد، وما إلى ذلك من ضروريات المبادئ الأولية للحرب، وقد ذكر القرآن الكريم المكيدة على أنها التدبير والإعداد في قوله تعالى على لسان سحرة فرعون: "فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾"(١)، وقوله تعالى: "إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾"(٢)، وقوله تعالى أيضاً: "فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ

(١) طه، آية ٦٤.

(٢) الطارق، آية ١٥-١٧.

ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ "(١)، وقوله سبحانه: "أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ "(٢).

الحرب:

من شأن المسلمين أن يكونوا أعلم من غيرهم بفقه الحرب لقوله تعالى في وصف الكافرين (بأنهم قوم لا يفقهون) والحرب سنة الله في خلقه لتحقيق العدالة الربانية في الأرض وإصلاح الحياة فيها وتنقية المجتمع الإنساني من أدرانه وشوائبه، قال تعالى: "وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ "(٣)، وقال جل شأنه: "وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ "(٤)، وقال: "فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ "(٥).

والحرب وسيلة لإحياء الأمم الميتة التي استضعفها غيرها وفرّق كلمتها ومزّق جماعتها واستحوذ على خيراتها وتسلط على إدارتها، حتى أمست منطوية

(١) النساء، آية ٧٦.

(٢) الطور، آية ٤٢.

(٣) البقرة، آية ٢٥١.

(٤) الحج، آية ٤٠.

(٥) الرعد، آية ١٧.

فيه بسبب جبن أبنائها وتنكبهم طريق الجهاد وخوفهم من الموت وحرصهم على الحياة وركونهم إلى الدنيا.

وحياة الأمم في رد اعتبارها وعودة استقلالها، ولا يكون ذلك إلا بإيمانها بحقها في الحياة وجمع كلمتها وقيامها بأعباء الجهاد وإصرارها على القتال، وقد نادى الله تعالى المسلمين جميعاً وأمرهم بالأخذ بهذا المبدأ حتى تدوم حياتهم وسيادتهم، فقال: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ "[1]، ويقول للرسول صلوات الله عليه: "فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً، وأشد تنكيلاً"[2].

ويقول: "ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضكم ببعض"[3]، والخزي والعار والموت الحقيقي هو في الجبن عن مدافعة الأعداء وتسليم الديار بالهزيمة والفرار، أو بالمعاهدة والذل والاستعمار، ولقد صدق الشاعر إذ يقول:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد
لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وقوله:

يرى الجبناء أن الجبن حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقوله:

---

(1) الانفال، آية ٢٤.

(2) النساء، آية ٨٤.

(3) محمد، آية ٤.

إلف هذي الحياة أوقع في الأنفس أن الحمام مر المذاق
والأسى قبل فرقة الروح عجز
والأسى لا يكون بعد الفراق

وقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: "احرص على الموت توهب لك الحياة".

والحرب ليست محبوبة عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين لذاتها، ولا لما فيها من مجد الدنيا الزائف، وإنما هي ضرورة اجتماعية، يُقصد بها منع البغي وإيقاف العدوان والضرب على أيدي الظالمين، كما يُقصد بها إعلاء كلمة الله وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وهنا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس: لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموه فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف".

ومن الأسباب الجوهرية للحرب في الإسلام، توقّع خيانة المعاهد، أو نكثه بيمينه وخلفه لوعده، ولو بإظهار الدلائل على ذلك مثل الإرضاء باللفظ دون العمل، أو التمرد على الأوضاع الصحيحة لحياة المجتمع أو غير ذلك من الأسباب الكثيرة التي يراد بها هضم الحقوق، قال تعالى: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ "[1]، وقال سبحانه: "وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ

---

(1) الانفال، آية ٥٨.

أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ۝ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝"[1].

والحرب إما دفاعية أو هجومية:

فإن كانت دفاعية كأن أغار الكفار على أي بلد إسلامي في الدنيا لزم الجهاد عيناً على كل فرد مسلم ذكراً كان أو أنثى، فلا تستأذن الزوجة زوجها ولا العبد سيده ولا الولد أباه في الخروج، وإنما هي النفرة العامة والدفاع السريع بكل سلاح وبأية حال، وهذه الحرب لا تكون في أول أمرها منظمة، ولذلك يجب على أولي الأمر تهيئة الأمة لمثل هذه الحال وإعدادها لمثل هذه الطوارئ، وأن يبادروا بالإسراع إلى تنظيم الحشود وتوجيهها الوجهة الصالحة للوطن[2]، والاستفادة من هذه القوى استفادة طيبة، ومثل هذه الحرب كثير في عصرنا هذا وواجب المسلمين فيها مضاعف ولزوم الجهاد وفرضيته محتم عليهم الآن، فإن دول العالم كله صليبية وغير صليبية قد أجمعت على حرب المسلمين والقضاء

---

(١) التوبة، آية ١٢-١٥.

(٢) الوطن بحدوده الجغرافية أو السياسية المتعارف عليها بين الدول ليس قياساً على الوطن الإسلامي، فإن الإسلام دين ووطن وقومية وعنصرية، والأمة الإسلامية أمة واحدة وإن تفرقت البلاد واختلفت الأجناس، فكل مكان فيه مسلم ومسجد فهو وطن إسلامي يفرض الإسلام على المسلمين جميعاً في بقاع الأرض الدفاع عنه، قال عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر"، وقال تعالى: "وإن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون".

على الإسلام بكل الوسائل، فتراهم يمزقون البلاد ويسيطرون على العباد ويقتسمون الغنائم والأسلاب، والمسلمون مئات الملايين، وصمتهم عن حقوقهم وجبنهم أمام عدوهم وتخاذلهم هو الموت الزؤام، ولا بد لهم من الحرب مع الكافرين حتى يستعيدوا حقهم وحقيقتهم وتكون كلمة الله هي العُليا، وإنهم لفاعلون إن شاء الله وإنهم لمنتصرون، "وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ"[1].

وإن كانت هجومية: بقصد حماية نشر الدعوة وتأمين سلامة الدولة فإن لذلك إعداداً خاصاً مرّ ذكره في كثير من المواضع، وتكون حينئذ فرض كفاية ينظمها الإمام ويديرها بما يرى، وتختلف نتائج الحروب باختلاف أسبابها ودوافعها والإعداد لها وموافقتها وظروفها، وصفات الجنود والقائمين بها وعليها، ولقد كانت حروب الإسلام جميعاً تتفق في الأسباب وإن كانت تختلف أحياناً في الإعداد والظروف وصفات الجنود، ولذلك كانت تختلف نتائجها في بعض الأحيان تبعاً لما سبق، فمثلاً كانت نتيجة غزوة بدر غير نتيجة غزوة أحد، مع العلم بأن الاستعداد لأحد كان عظيماً وكان التنظيم الحربي دقيقاً وقوياً، ولكن تغيرت نفسية بعض الجنود في أحد ونسوا واجبهم وتخلوا عن الطاعة وأغراهم الشيطان وحبب إليهم الغنائم فزالوا عن أماكنهم وفقد الجيش وهو في المعركة عنصر السلامة والتأمين، فتمكن منهم العدو المتيقظ.

فاختلاف المعاني في نفوس الجنود من أقوى أسباب النصر وأسباب الهزيمة، فالطاعة والتضحية والسمو والصلة بالله في بدر كانت من أسباب النصر، وعصيان الرماة وحب المغنم في أحد غيّر سير المعركة وإن الله لا يغير ما

---

(1) الشعراء، آية ٢٢٧.

بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، (وللحرب في الإسلام آداب عامة مرعية سنذكرها في بابها).

والحرب نوعان: حرب خفية وحرب علنية.

فالحرب الخفية صنفان: باردة وحامية.

فالباردة:

في التجسس، والصراع الفكري، والحصول سراً على امتيازات سياسية أو اقتصادية أو استراتيجية أو غير ذلك.

والحامية:

في اصطناع الحوادث وخلق المشكلات والمنازعات بين الطوائف وتخريب المؤسسات والمرافق العامة، والقتل الفردي والتخلص بكل الوسائل السرية من أسباب الكيد الذي يقوم به العدو وعوامله.

وقد عف الإسلام بطبيعته عن الأخذ بالوسائل التي لا تتفق مع الكرامة الإنسانية في حربه الخفية، وأخذ بما يجب أن يُؤخذ به من الأسلوب الذي يناسب طبيعة الحال من غير ظلم أو بغي أو افتراء، متوخياً القصد في الأعمال العنيفة ما أمكن إلا عند الضرورة القصوى، ولم يأخذ بالظنة أبداً، ولم يبدأ العدوان قط، وإنما كانت أعماله كلها إما تجنباً لخطر أو دفعاً أو قصاصاً..

وكانت عمليات التجسس في الإسلام من أول يوم عمليات إنسانية صادقة ذات وسائل كريمة وطابع دفاعي وقصد شريف سام: فمنظمة مكة التجسسية التي كان يقوم على تنظيمها وإدارتها سراً سيدنا العباس بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، كانت مثالاً عفاً كريماً لما تذهب إليه وكانت أعمالها كلها محصورة فيما يأتي:

١. الإشراف على المؤمنين سراً في مكة بالرعاية والتزويد المادي والروحي والربط والتركيز.

٢. بث الدعوة سراً في الأوساط المأمونة.

٣. القيام بمهمة المراسلة والتبليغ بين المهاجرين في المدينة وبين ذويهم في مكة ممن يحمل لهم كريم العاطفة وصدق الولاء.

٤. القيام بمهمة المراسلة والتبليغ أيضاً بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المؤمنين الأخفياء في مكة.

٥. المحافظة بطرق خاصة على ما يمكن المحافظة عليه من غير حرج على أموال المهاجرين وأهليهم.

٦. جمع الأخبار الصادقة وتبليغها للنبي صلى الله عليه وسلم بدقة ونظام.

٧. إذاعة الإخبار الصادقة عن النبي والمهاجرين والأنصار في مكة ليكون لها أثرها في نشر الدعوة وتطمين المؤمنين وإرهاب الكافرين وتثبيتاً لمن أراد أن يسلم وفي قلبه وجل.

٨. التخفيف من حدة العدوان والبغضاء التي في صدور الكافرين تمهيداً لقبول الإسلام على مرّ الزمن، أما القتل الفردي فما كان يلجأ إليه المسلمون إلا عند الضرورة القصوى وفقدان الحيل، لحسم المواقف أو حقن كثير من الدماء أو استخلاصاً لحقوق مسلوبة أو ردعاً وتخويفاً، قال تعالى: " إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ "[1].

---

(١) المائدة، آية ٣٣.

ولقد كان المقتولون أحق الناس بالقتل غيلة وجهراً، فقد حاربوا العقيدة في نفوس المؤمنين بالفتنة والفتنة أكبر من القتل، وحاربوا المسلمين في أنفسهم وأموالهم واعراضهم، وحاربوا الإسلام في دياره وأهله، وشاقوا الله ورسوله، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب.

ونحن نكتفي هنا بذكر ثلاثة منهم، مع سياق قصصهم نقلاً عن كتب السيرة، كما هي من غير تهذيب أو تحريف للعظة والعبرة، وهم:

١. كعب بن الأشرف اليهودي

٢. أبو رافع عبدالله ابن أبي الحقيق (اليهودي في المدينة).

٣. سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي (بضواحي مكة).

وفي السيرة عبرة وعظة وتوجيه وحكم، ودفاع ورد، وهذه سنّة الله ودينه فمن سلك ملك، ومن تخلف هلك، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

سريّة محمد بن مَسلمة

التي قُتل فيها كعب بن الأشرف اليهودي لعنه الله، وكانت لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة، بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي ومعه أربعة من الأنصار إلى كعب بن الأشرف اليهودي ليقتلوه، قال ابن اسحاق: إن كعب بن الأشرف كان مع اليهود بالحلف، وكان أبوه عربياً من بني نبهان أصاب دماً في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بني النضير، فشرف فيهم وتزوّج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعباً، وكان طويلاً جسيماً، ذا بطن وهامة، شاعراً مجيداً، ساد اليهود بالحجاز بكثرة ماله، فكان يعطي أحبار يهود الحجاز ويصلهم، فلما

قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جاء أحبار اليهود من بني قينقاع وبني قريظة إلى كعب بن الأشرف ليأخذوا صلتهم على عبادتهم، فقال لهم: ما عندكم من أمر هذا الرجل، فقالوا: هو الذي كنا ننتظره ما أنكرنا من نعوته شيئاً، فقال لهم: قد حرمتم كثيراً من الخير ارجعوا إلى أهليكم فإن الحقوق في مالي كثير، فرجعوا عنه خاسئين، ثم رجعوا إليه وقالوا: إنا عجلنا فيما أخبرناك به أولاً ولما استنبأنا علماءنا غلطنا وليس هو المنتظر، فرضي عنهم ووصلهم، وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئاً من ماله، وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشعاره ويحرض كفار قريش على قتاله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مأموراً بتأليف الناس وبالصبر على الأذى كما قال تعالى: "وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝"[1]، لأنه صلى الله عليه وسلم ورد المدينة وأهلها أخلاط مجتمعون من قبائل شتى مختلفة أحوالهم وعقائدهم فأراد استصلاحهم بجمعهم على كلمة الإسلام، وكان المشركون اليهود يؤذون المسلمين أشد الأذى فصبروا على ذلك، وكان كعب بن الأشرف من أشد الناس أذىً للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، وكان قد عاهد النبي صلى الله عليه وسلم ألاّ يعين عليه أحداً، فنقض العهد سبّهُ وسبّ أصحابه، وكان من عداوته أنه لما قدم البشيران بقتل من قُتل ببدر وأسر من أُسر قال كعب: أحق هذا ترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها، فلما أيقن الخبر ورأى

---

(1) آل عمران، آية ١٨٦.

الأسرى مقرنين كبت وذل وخرج إلى قريش يبكي على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم، فترل بمكة على المطلب بن أبي وداعة السهمي وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد ابن أبي العيص، فأنتزلته وأكرمته، فجعل يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا حساناً فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد ذلك رضي الله عنهما، فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت ما لنا ولهذا اليهودي، فخرج من عندها وصار يتجول من قوم إلى قوم فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبي صلى الله عليه وسلم فيهجوهم فيفعلون معه مثل ما فعلت عاتكة، ثم رجع إلى المدينة فتغزل في نساء المسلمين وذكرهن بسوء، فلما أبى أن يترع عن أذاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا بابن الأشرف، وفي رواية من لكعب بن الأشرف، أي من ينتدب لقتله فقد استعلن لعداوتنا وهجائنا وقد خرج إلى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا، وجاء في رواية أنه حالف قريشاً عند أستار الكعبة على قتال المسلمين، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال لهم: إن الله أخبرني بذلك، ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله عليه فيه: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ "(١).

عن عروة بن الزبير قال: انبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح غدوهم ويحرضهم عليه، فلم يرضَ بذلك حتى ركب إلى قريش فاستعداهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو

(١) النساء، آية ٥١-٥٢.

سفيان والمشركون: أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه؟ وأي دين أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟، فقال: أنتم أهدى سبيلاً وأفضل، فأنزل الله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ" الآية وخمس آيات فيه وفي قريش فجزم عروة بأنها نزلت في كعب.

ومن عداوة كعب بن الأشرف له صلى الله عليه وسلم ونقضه العهد ما جاء أن كعباً صنع طعاماً وواطأ جماعة من اليهود أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الوليمة فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه، فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد أن جالسه، فقام يستره جبريل بجناحه، فلما فقدوه تفرقوا، فقال حينئذ من ينتدب لقتل كعب، ويمكن الجمع بتعدد الأسباب، ولما قال صلى الله عليه وسلم: "من ينتدب لقتل كعب؟" قال محمد بن مسلمة الأوسي رضي الله عنه: أنا الكفيل به لك يا رسول الله، وفي رواية قال: أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت، وفي رواية قال: أنت له، ثم قال له: إن كنت فاعلاً فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضي الله عنه، فشاوره، فقال: توجه إليه واشك إليه الحاجة وسله أن يسلفكم طعاماً، فمكث محمد بن مسلمة ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال: لم تركت الطعام والشراب، قال: يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا، قال: "إنما عليك الجهد"، ثم أتى أبا نائلة وعباد بن بشر والحرث ابن أوس وأبا عيسى بن جبر فأخبرهم بما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله، فأجابوه وقالوا: كلنا نقتله، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله لا بد لنا أن نقول أي قولاً غير مطابق للواقع يسر كعباً لنتوصل به إلى التمكن من قتله، قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك، فأباح لهم

القول لأنه من خدع الحرب، وكأهم استأذنوه في أن يشكوا منه ويعيبوا دينه، لأن كعباً كان يحرض على قتل المسلمين وكان في قتله خلاصهم فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه إياهم للقتل فدفعوا عن أنفسهم بألسنتهم مع أن قلوبهم مطمئنة بالإيمان، ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفراً، لكنه يُباح بالإكراه، وهذا بمترلته فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف فقال: إن هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما نأكله، وفي رواية أن نبينا أراد منا الصدقة وليس لنا مال نصدّقه، وأنه قد عنانا وإني قد أتيتك أستسلفك، قال كعب: وأيضاً والله لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وأحب أن تسلفنا طعاماً، قال: وأين طعامكم، قالوا: أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه، قال: ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل، ثم أجابهم بأنه يسلفهم، وقال: أرهنوني، قالوا: أي شيء تريد، قال: أرهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك (وقولهم هذا له على سبيل التهكم، وإن كان هو في نفسه جميلاً)، قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيُقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح مع علمك بحاجتنا، قال: نعم وإنما قالوا ذلك لئلا يُنكر عليهم بجيئهم إليه بالسلاح فواعده أن يأتيه، وجاءه أيضاً أبو نائلة وقال له: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فأكتم عني، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت النفس، فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول، فقال: إني أردت أن تبيعنا طعاماً

ونرهنك ونوثق لك، وتحسن في ذلك، وإن معي أصحاباً على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن إليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء، فقال: إن في الحلقة لوفاء، وكان أبو نائلة أخاً لكعب من الرضاع، ومحمد بن مسلمة من الرضاع، فجاءه محمد بن مسلمة وأبو نائلة ومعهما عباد بن بشر والحرث بن أوس بن معاذ وأبو عيسى بن جبر، وكلهم من الرؤوس، ولما فارقوا النبي صلى الله عليه وسلم مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم، وقال: انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم، ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى بيته وكان ذلك بالليل، وكانت الليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا من حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه أبو نائلة، ثم بقية أصحابه فعرفهم، فوثب في ملحفته فأخذته امرأته بناحيتها وقالت: إنك امرء محارب وإن أصحاب الحروب لا يتزلون في مثل هذه الساعة، قال لها: إنما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعى إلى طعنة بليل لأجاب، فنزل فتحدث معهم ساعة، وتحدثوا معه، ثم قالوا له: هل لك يا ابن الأشرف أن تمشي إلى شعب العجوز (اسم موضع كان قريباً منهم) نتحدث به بقية ليلتنا، فقال: إن شئتم، فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم أن أبا نائلة أدخل يده في باطن رأسه ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها وأمسكه من شعره وقال: اضربوا عدو الله، وفي البخاري أن ابن مسلمة قال لأصحابه: إذا ما جاء كعب فإني قاتل بشعره، أي آخذ به فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال ابن مسلمة: ما رأيت كاليوم طيباً، فقال: عندي أعطر نساء العرب وأجملهن، فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك، قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي، قال: نعم، فيحتم أن كلا من محمد بن مسلمة وأبي

نائلة استأذنه في ذلك، وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه، فلما تمكن أبو نائلة أو محمد بن مسلمة من إمساكه ضربوه بأسيافهم وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين، فلم يبق حصن إلا أوقدت عليه نار، قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفي في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله فجزوا رأسه واحتملوه في مخلاة كانت معهم، واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا على غير الطريق فقاتلوهم حتى بلغوا بقيع الفرقد كبروا وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سمع تكبيرهم كبّر وعرف أنهم قد قتلوه ثم انتهوا إليه فأخبروه بمقتل عدو الله، فقال: أفلحت الوجوه، قالوا: ووجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله، وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله، فليس بالمدينة يهودي إلا وهو يخاف على نفسه من ظفرهم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: قُتل سيدنا غيلة فذكرهم صنيعه، وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين فلم ينطقوا، ثم دعاهم إلى أن يكتبوا بينه وبينهم صلحاً، فكان ذلك الكتاب مع علي رضي الله عنه، وفي قصة مثل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر:

صرخت به فلم يعرض لصوتي
ووافى طالعاً من رأسي خدر
فعدت له فقال من المُنادي
فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها
لشهر إن وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا
وما عدموا الغنى من غير فقر

فأقبل نحونا يهوى سريعاً
وقال لنا لقد حذتم لأمر

وفي إيماننا بيض حداد
مجربة بها الكفار تُغري

فعانقه ابن مسلمة المودي
به الكفار كالليث الهزبر

وشد بسيفه صلتا عليه
فقطره أبو عبس بن جبر

وكان الله سادسنا فأبنا
بأنعم نعمة وأعز نصر

وجاء برأسه نفر كرام
هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لأنه نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبّه، وكان عاهده ألا يعين عليه أحداً، ثم جاء مع أهل الحرب معيناً عليه، قال القاضي بن عياض: إن محمد بن مسلمة لم يصرح له بالأمان في شيء من كلامه إنما كلمه في أمر البيع والشراء واشتكى إليه، وليس في كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لأحد أن يقول إن قتله كان غدراً.

وقد قال ذلك إنسان في مجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين فأمر بضرب عنقه، وإنما يكون الغدر بعد أمان موجود، وكعب كان قد نقض عهده مع النبي ولم يؤمنه ابن مسلمة ولا أحد من رفقته، لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد، ولقد كان كعب محارباً الله ورسوله، فعومل معاملة المحاربين.

سريّة عبدالله بن أنيس

رضي الله عنه الجهي السليمي الأنصاري

بعثه صلى الله عليه وسلم وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي، وكان بعرنة موضع قريب من عرفة، لأنه بلغه صلى الله عليه وسلم أنه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله: أئته فاقتله، فقال: صفه لي يا رسول الله حتى أعرفه، قال: إذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة، وذكرت الشيطان، قال عبدالله وكنت لا أهاب الرجال فقلت: يا رسول الله ما فرقت من شيء قط، فقال: آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته أن أقول فقال: قل ما بدا لك، وقال: انتسب لخزاعة، فأخذت سيفي وخرجت أعتزي لخزاعة فلما وصلت إليه لقيته يمشي ووراءه الأحابيش فهبته وعرفته بنعت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: صدق الله وصدق رسوله، وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشي وأومئ برأسي إيماء ثم دنوت منه فقال: ممن الرجل؟، قلت: من بني خزاعة، سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك، قال: أجل إني لفي الجمع له، فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي، فقلت له: عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم، قال: إنه لم يلق أحداً يشبهني، ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه، وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به، فقال: هلم يا أخا خزاعة، فدنوت منه، قال: اجلس، فجلست معه حتى إذا نام الناس اغتررته وقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلاً ودخلت غاراً وأقبل الطلب وأنا كامن في الغار وضربت العنكبوت على الغار ثم جاء رجل معه إداوة ضخمة

ونعلاه في يده وكنت حافياً فوضع إداوته ونعله وجلس يبول قريباً من فم الغار ثم قال لأصحابه: ليس أحد في الغار، فانصرفوا راجعين، فخرجت فشربت ما في الإداوة ولبست النعلين ولم يرني أحد، فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما فرجع إلى قومه، وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفاً من الطلب أن يدركني حتى قدمت المدينة فوجدته صلى الله عليه وسلم بالمسجد فقال صلى الله عليه وسلم: أفلح الوجه؟ قلت: أفلح وجهك يا رسول الله، ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري فدفع إليّ عصا وقال: تخصر بها في الجنة فإن المتخصرين في الجنة قليل، فكانت العصا عنده حتى إذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها في أكفانه، ففعلوا.

والتخصر الاتكاء على قضيب أو نحوه، وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم.

سريّة عبدالله بن عتيك

لقتل أبي رافع عبدالله أو سلاّم بن أبي الحُقيق اليهودي، وهو من الذين حزبوا الأحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير، بعث إليه صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عتيك الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه بعد وقعة الأحزاب لما قتلت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أذاه وتحريضه عليه استأذنه الخزرج في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر، قال ابن اسحق حدثني محمد بن مسلم بن شهاب عن عبدالله بن كعب بن مالك قال: كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أي يحمل كل منهما على الآخر، والمُراد أن كلا من الأوس والخزرج يدفع عن النبي صلى الله عليه وسلم ويتفاخر بذلك ولا يصنع الأوس شيئاً فيه عنه صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك، ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا أبداً فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف فذكروا سلاّم ابن أبي الحُقيق فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم في قتله فأذن لهم فخرج إليه من الخزرج خمسة عبدالله بن عتيك وعبدالله بن أنيس وأبو قتادة واسمه الحرث ابن ربعي والأسود بن خزاعي ومسعود بن سنان الأسلمي حليفة بني سلمة -بطن من الخزرج- فأمرهم صلى الله عليه وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة فذهبوا إلى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل عن الحركة

جاءوا إلى منزله وكان في حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، قال عبدالله بن عتيك لأصحابه اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أدخل الحصن، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفي شخصه كي لا يعرف كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس وكانوا فقدوا حماراً لهم فخرجوا بقبس يطلبونه، فكان ذلك سبب تقنع عبدالله بن عتيك بثوبه، فناداه البواب: يا هذا إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب، لأنه ظن أنه من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار، قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأقاليد أي المفاتيح على وتد في كوة، فقمت إلى الأقاليد وأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر الناس عنده، وكان في غرفة عالية له إليها عجلة من خشب فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلق على من داخل، وقلت إن القوم إن نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله فانتهيت إليه فإذا هو وسط عياله في بيت مظلم، قد أطفئ سراجه لا أدري أين هو، وكان عبدالله ابن عتيك يتكلم باليهودية فقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبي رافع فيظنه أنه من قومه فلا يفزع منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت، قال: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له وقالت: ذاك صاحبك، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار إليها بالسيف فسكتت، قال: فقلت أبا رافع لأعرف موضعه، فقال: من هذا، فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة وأنا دهش، فما أغنت شيئاً ولم أقتله وصاح أبو رافع فخرجت من البيت وكنت غير بعيد، فقالت امرأته: يا أبا رافع هذا صوت عبدالله بن عتيك، قال: ثكلتك أمك وأين عبدالله بن عتيك، قال: ثم دخلت عليه كأني أغيثه وغيرت صوتي، وقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع، قال: لأمك الويل إن

رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف، فضربته ضربة أثخنته فلم أقتله فصاح وقام وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى دخل في ظهره، وسمعت صوت العظم فعرفت إني قد قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثم خرجت، وكنت في موضع، وأوقدت اليهود النيران وذهبوا كل وجه يطلبون حتى إذا أيسوا رجعوا إليه وجلست كامناً وقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك صعد الناعي على الشور فقال: أنعي أبا رافع تاجر الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع، ثم انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال: أبسط رجلك، فبسطها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه وسلم فكأني لم أشتكها قط.

وفي هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر وقتل من أعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والأخذ بالشدة في محاربتهم وإيهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته.

وفي قتل أبي رافع وكعب بن الأشرف يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لله در عصابــة لاقيتهــــم
يا ابن الحُقيق وأنت يا ابن الأشرف

يسرون بالبيض الخفاف إليكم
مرحاً كأسد في عرين معرف

حتى أتوكم في محل بلادكم

فسقوكم حتفاً ببيض ذفف

مستصغرين لكل أمر مجحف

مستصغرين لكل أمر مجحف

والحرب العلنية صنفان أيضاً: باردة وحامية كذلك.

فالباردة:

هي حرب الأعصاب القائمة على الدعايات القوية بشتى الوسائل والإذاعات والنشر والصحافة، والمحالفات العسكرية ومناورات الجيوش وعقد المؤتمرات وإشاعة الشائعات وما إلى ذلك.

وقد استخدم الإسلام هذه الحرب بوسائله الكريمة الصادقة التي يؤيدها الواقع ويخدمها الحق، فلم يلجأ قط إلى الخداع والغش والكذب والتهريج، ولذلك كانت نتائجها كلها إيجابية، و لم تكن غايته من ذلك إلا الوصول السليم إلى تسليم الأعداء بالحق للحق من غير إراقة للدماء، وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين عملياً هذا المبدأ تثبيتاً له وتقريراً قولاً وفعلاً و لم يُلزم المسلمين خطة خاصة، فتوضيح المبدأ لا يعني إلتزام الخطة، فلكل زمان أسلوبه ولكل حال ضروراتها ولكل قائد خطته.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد: "نصرت بالرعب مسيرة شهر"، وقال عليه السلام: "إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين"، وقصة عمرة القضاء توضح عملياً هذا المبدأ، جاء في كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في هلال ذي القعدة سنة سبع معتمراً، وأمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية

وأمر ألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، وخرج معهم غيرهم فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان، واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين الغفاري رضي الله عنه، وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماة وقاد مائة فرس (وإنما فعل ذلك احتياطاً وتوثقاً خوفاً من غدر أهل مكة)، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه، وعليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضي الله عنه، وأحرم صلى الله عليه وسلم وترك طريق الفرج (ولبّى ولبّى المسلمون معه)، ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى (مر الظهران) فوجد بها نفراً من قريش، فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المترل غداً إن شاء الله تعالى.. فأتوا قريشاً فأخبروهم، ففزعوا وقالوا: والله ما أحدثنا حدثاً وإنا على كتابنا ومدتنا، ففيم يغزونا محمد في أصحابه، وبعثوا مكرز بن حفص في نفر من قريش حتى لقوه صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج في أصحابه، والهدى والسلاح قد تلاحق، فقالوا: والله ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم ألاّ تدخل إلاّ بسلاح المسافر، فقال عليه الصلاة والسلام: "إني لا أدخل عليهم بسلاح"، فقال مكرز: هو الذي نعرف به البر والوفاء!!.

ثم رجع بأصحابه إلى مكة فقال: إن محمداً على الشرط الذي شرط لكم، ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران، وقدم السلاح إلى بطن يأجج (موضع على أميال من مكة) وخلف عليه أوس بن خولي الأنصاري رضي الله عنه في مائتي رجل حتى قضى الكل مناسك عمرتهم رضي الله عنهم وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال ولم يقدروا على رؤيته صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يطوفون البيت، وقدم صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه بذي

طوى وخرج راكباً ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشي بين يديه، وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نضر بكم على تتزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله
قد أنزل الرحمن في تتزيله
بأنه خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تتزيله
كما قتلناكم على تأويله
يا رب إني مؤمن من قبله
إني رأيت الحق في قبوله

فقال له عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة أبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تعالى تقول الشعر، فقال له صلى الله عليه وسلم: "خل عنه يا عمر فلهي فيهم أسرع من نضح النبل"، ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة رضي الله عنه: "قل لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده"، فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس.. ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه، وطاف وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه، وقد اضطبعوا بثيابهم، (وفي البخاري ومسلم: عن أبي عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول

الله وأصحابه، فقال المشركون إنه يقدم عليكم وفد أوهنتهم حمى يثرب، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهم، فقالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى وهنتهم، لهؤلاء أجلد من كذا وكذا، إنهم لينفرون نظر الظبي).

وكان المشركون على جبل قيقعان، فأمر الرسول أصحابه أن يمشوا بين الركنين حيث لا تراهم قريش، لأنهم إنما يرونهم إذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته، وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هناك، ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يأجج يقيمون على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم، ففعلوا وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً كما شرط قريش في الهدنة، فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب ابن عبدالعزى فقالا: ننشدك الله والعهد إلا ما خرجت من أرضنا، فرد عليهما سعد بن عبادة رضي الله عنه، فأسكته النبي عليه الصلاة والسلام، وأذن بالرحيل..

ومثل ذلك وقع في غزوة الفتح الأكبر فعله النبي صلى الله عليه وسلم لإرعاب قريش فيذعنون وتحقن الدماء، فإنه لما نزل عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه مرّ الظهران أمرهم أن يوقدوا، فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش أو تسمع بها فترعب من كثرتها، قال سيدنا العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه: حين نزل النبي صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسي لأهل مكة وقلت (وا صباح قريش)، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة يخبرهم بمكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، وكان من قضاء الله وقدره أن خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي يتحسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خيراً أو يسمعون به، وقد بلغهم مسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا إلى أي جهة، فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران، فقال أبو سفيان ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، هذه كنيران عرفة، فقال بديل: هذه نيران بني عمرو (يعني خزاعة)، فقال أبو سفيان: هم أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانهم وعسكرهم، فلما دخل أبو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال العباس: فسمعت صوت أبي سفيان، فقلت: يا أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال أبو الفضل: قلت: نعم، قال: مالك فداك أبي وأمي، قلت: والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم في عشرة آلاف، فقال: وا صباح قريش والله، فما الحيلة فداك أبي وأمي، قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، ثم أجرته من الحرس أن يقتلوه، وقلت له: اركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك، فترك صاحبيه وركب خلفي، فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا، فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا عليها قالوا: عم رسول الله على بغلته، ثم خرج عمر رضي الله عنه يشتد نحو رسول الله فركضت البغلة وسبقته، فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ودخل عليه عمر في إثري، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد، فدعني أضرب عنقه، قال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله إني قد أجرته، قال العباس: ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأن أبي سفيان، قلت:

مهلاً يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أني عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به، فلما أصبحت أتيت أول النهار على رسول الله، فرأى أبو سفيان الناس بادروا إلى الوضوء، فقال: ما للناس هل أمروا فيّ بشيء؟، قلت: لا ولكنهم قاموا إلى الصلاة، فقم فتوضأ، ثم انطلقت به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبّر الناس، ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم طاعة، قوم جمعهم من هنا وها هنا، ولا فارس الأكارم، ولا الروم ذوات القرون بأطوع منهم له، يا أبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك، فقلت: إنه ليس بملك ولكنها النبوة، فقال: أو ذاك؟، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة، قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله، فلما رأى أبو سفيان مخاطبة النبي له بهذا الخطاب اللين العذب، وأنه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحاً عما جرى منه في عدوانه ومحاربته، قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك لو كان مع الله إله غيره لأغنى شيئاً، لقد استنصرت الهي واستنصرت إلهك فوالله ما لقيتك مرة إلا نصرت عليّ فلو كان إلهي محقاً وإلهك مبطلاً لكنت غلبتك، ثم قال صلى الله عليه وسلم: ويحك يا أبا سفيان ألم يكن لك أن تعلم أني رسول الله، قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك، أما هذه ففي النفس منها شيء قال العباس، فخفت عليه أن يبادر أحد بقتله لأنه ليس وقت مجادلة لا سيما مع شدة حنق المسلمين عليه،

فقلت: ويحك أسلم واشهد ألا إله إلا الله وان محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك، فأسلم وشهد شهادة الحق، ثم قال أبو سفيان: يا رسول الله أدع الناس بالأمان، أرأيت إن اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم، من كف يده وأغلق داره فهو آمن.."، قال العباس: قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، وأمر صلى الله عليه وسلم منادياً أن ينادي بذلك كله إلا من استثناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم، قال العباس: ثم قلت لأبي سفيان النجاء إلى قومك.

وأول عمل في حرب الأعصاب في الإسلام كان يوم أن أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد قال لما أسلمت تذكرت أي أهل مكة أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت؟ فذكرت أبا جهل، فجئته فدفعت عليه الباب، فقال: من بالباب؟، فقلت: عمر بن الخطاب، فخرج إلي وقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي ما جاء بك؟، قلت: جئت لأخبرك أني قد أسلمت، فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به.

ولما أسلم عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألسنا على الحق إن حيينا أو متنا؟ قال: نعم، قال: فلم نخفي إسلامنا حيث يعلن الكفر أهله؟، اخرج بنا يا رسول الله إلى المسجد لعل الله يغيظ بنا الكفار، وما زال رضي الله عنه يراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج بالمسلمين من دار الأرقم ابن الأرقم إلى المسجد حتى وافقه على ذلك، فخرج المسلمون في صفين منتظمين على رأس أحدهما عمر بن الخطاب، وعلى رأس الآخر الحمزة عم النبي يكبرون ولهم كديد ككديد الطحين، حتى دخلوا المسجد، فنظرت قريش إليهم فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها.

وسمى النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب يومئذ "الفاروق" لأن الله فرق به بين الحق والباطل، وقال بن مسعود رضي الله عنه: "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر..".

وحرب الأعصاب في الإسلام محدودة بإظهار الدعوة الإسلامية في ثوبها الحقيقي ذي القوة والعزة والجلال والتحرر، حتى يطمئن الضعيف الخائف وينهزم المتجبر، ويميز الله بها الخبيث من الطيب، ويتعرف كل معسكر على رجاله، فآثارها في تاريخ الدعوة الربانية آثار باقية لأنها فواصل بينة في التاريخ، وقد أشار القرآن الكريم إلى نوعين من أنواعها، أحدهما يمثل الباطل وأهله والثاني يمثل الحق وأهله، وبيّن كذلك النتيجة الإيجابية لكل منهما، فكانت الهزيمة لأهل الباطل، وكان النصر لأهل الحق، والعاقبة للمتقين.

فالأولى من قصة موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة، فلنوردها كما جاءت في كتاب الله تعالى.. "قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ۝ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ

أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۝ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝ "(١).

والثانية في قصة سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ نوردها كذلك كما جاءت في القرآن الكريم، قال تعالى: "۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ "(٢)، "فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ

(١) طه، آية ٥٧-٧٦.

(٢) النمل، آية ٢٧.

لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا
قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن
مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ
قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ
ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ
﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى
ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن
قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ"[1].

ونأخذ من خبر سليمان مع بلقيس الأمور الآتية في حرب الأعصاب من غير حصر أو تقييد، وهي:

١. حشد القوى المادية والأدبية والعسكرية والعلمية في استقبال العدو لأخذه ولسلب لبه وتحطيم أعصابه.
٢. اختيار مكان المقابلة فلا يكون إلا حيث تبرز فيه دلائل القوة والعزة والثراء من العمائر والمصانع وما إلى ذلك.

---

[1] النمل، آية ٣٦-٤٤.

٣. اختيار الأوضاع الخاصة بالجلوس، فتراعى وضعية القائد وبروز منزلته ومقام الجند من حوله، ومكان العدو أو رسوله، بحيث يكون الأخير في مكان تسهل على المراقبين مراقبته بدقة بل ويسهل التأثير عليه فيه بأوضاع الجالسين معه أو مستقبليه أو المفاوضين له.

٤. اختيار الزمان بحيث يكون في الوقت الذي تكون فيه أعصاب المسلم هادئة مستريحة ونفسيته مهيأة للسيطرة والتسلط وإرادته متمكنة من القدرة على تسيير دفة الحديث، وفي وقت تكون فيه طبيعة العدو في درجة التهافت النفسي.

٥. اختيار الأعوان والحاشية من أهل الحرب والسياسة والعلم والصناعة والاقتصاد والبأس.

٦. اختيار مواضيع الحديث بحيث لا تعدو النواحي العليا للإسلام والناحية الخاصة التي من أجلها كان هذا الاجتماع مع استصحاب فكرة القطع في الأمر وسيطرة العقيدة الإسلامية وحسم النزاع في الحال.

٧. اختيار أسلوب الحديث، بحيث يكون مقتضباً عند الإجابة هجومياً عند السؤال، مباغتاً عند الانتقال، صريحاً عند الطلب قضائياً عند الحكم غليظاً عندما يحاول العدو أن يجد لنفسه مجالاً رقراقاً عاطفياً عندما يكون الحديث عن الإخاء الإنساني، وكل ذلك في هدوء وصدق وترفع كريم.

٨. العناية بوضع برامج الانتقالات ومفاجآت العدو بآية بعد أخرى من آيات القوة والصناعة.

٩. استخدام العلم بمصطلحاته ووسائله للطغيان على مدارك الخصم وقواه وحشد كل القوى لتحطيم مقاومته المعنوية، فلعله يسقط بهذه الحرب قبل أن يلجأ المسلمون إلى حرب الميدان ويوفر على الإنسانية إراقة الدماء.

١٠. إخفاء كل شيء يدل على ضعف أو نقص أو تهاون عن عين العدو، والحذر من أن يرى شيئاً من ذلك.

١١. الإيحاء للعدو في كل حال بالمبدأ والوسيلة والغاية الإسلامية وتفهيمه بكل لغة من غير إلحاح ألا سبيل إلى التفاهم على غير ذلك، وأنه لا رضى للمسلمين إلا بما يرضي الله سبحانه.

١٢. إذا نجح القائم بهذا الأمر واطمأن إلى نتيجة تدبيره وكيده شكر الله تعالى على ذلك واعتبر عمله جهاداً خالصاً في سبيل الله، وقال: " هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ "[١].

والحامية نوعان:

حرب عصابات، وحرب نظامية، وقد دعا القرآن اليهما جميعاً، فقال تعالى: "فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ۝ "[٢].

وحرب العصابات أخطر من الحرب المنظمة، وخاصة على الجيوش النظامية والمرافق، وهي أقل تكاليف وأكثر نتائج وأشد فتكاً، إلا أن نتائج معاركها في الغالب غير حاسمة من الناحية العامة...

ومهمتها استكشاف أعمال العدو، وتخريب عماراته، وقطع طرق تموينه ومواصلاته، وتعويقه وإقلاقه وإجهاد أعصابه وما إلى ذلك، ويمتاز جنودها عن الجنود العاديين مميزات خاصة كثيرة، منها وأهما ما يأتي:

١. الفدائية المؤمنة، والتجرد الصادق، والصبر على المكاره.

---

(١) النمل، آية ٤٠.

(٢) النساء، آية ٧١.

٢. حسن الإدراك والإعداد والخبرة والفقه.

٣. خفة الحركة، وقوة المراس، وشدة البأس والفطنة والجرأة والدراية والسلامة.

٤. نكران الذات، والعمل للحق من غير رياء أو سمعة.

وهم في الجيش الإسلامي إذا حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا يعملون لوجه الله وابتغاء مرضاته رجاء ما عنده من فضل موعود، وقد أكد الله لهم ذلك ووصفهم بقوله: " تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ "[1].

والعصابات صنفان: حرة ورسمية

فالحرة:

لا تتقيد بالرسميات ولا تخضع لنظام الجيش العام ولا تكون تابعة له ولا تشرف عليها الحكومة، وأعمالها غير مقيدة بزمان أو مكان، وتتكون من رجال مؤمنين وأبطال مختصين يخدمون قضيتهم ويحمون وطنهم ويفتدون دعوتهم، ولا يسيئون إلى دولتهم، يعملون بوحي ضمائرهم ويخضعون لسلطان ربهم، ولا يسألون أحداً جزاءً ولا شكوراً، لا تؤخذ الحكومات بأعمالهم، وإن كانت راضية عنها وعنهم، وللعصابات نظام خاص، ولحربها أساليب متعددة ليس هذا مجال شرحها، وإنما نحن بصدد التعريف العام والإشارة العابرة...

ومثل هذه العصابات في تاريخ الإسلام العسكري كثير، نكتفي بذكر قصة أو عصابة منها تكونت في فجر الإسلام، وفي أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، للتوجيه والعبرة والحكم والاقتداء...

---

(١) القصص، آية ٨٣.

قال التاريخ: كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية وفاء لشروطه يرد الرجال ولا يرد النساء بعد امتحانهن، وممن جاءه من الرجال أبو بصير وكان مسلماً بمكة فحبسه أهلها فهرب حتى وصل إلى المدينة فكتب في رده أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق كتاباً وبعثا به رجلاً من بني عامر يُقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق، فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبيّ بن كعب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: "قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث إلينا بصاحبنا"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا البصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت، ولا يصلح في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك، فقال يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: يا أبا النصير انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق معهما وصار المسلمون يقولون له: الرجل يكون خيراً من ألف رجل، يريدون بذلك إغراءه على من معه.. حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار ومعه صاحباه، فقال أبو بصير لأحد صاحبيه ومعه سيفه: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم انظر إليه إن شئت، واستله العامري ثم هزه وقال لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل، فقال له أبو بصير: ناولنيه أنظر إليه؟ فناوله، فلما قبض عليه ضربه حتى مات ثم طلب المولى الذي كان معه يهديه الطريق فوجده قد خرج سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس في المسجد، فلما رآه عليه السلام والحصى يطن تحت قدميه من شدة عدوة وأبو بصير في أثره قد أعجزه، قال: إن هذا الرجل قد رأى فزعاً، فلما انتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد قال له: ويحك

مالك؟ قال: قتل صاحبكم صاحبي وأفلتُّ منه ولم أكذب إني لمقتول به، واستغاث بالنبي عليه السلام فأمنه، فإذا أبو بصير أناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوحشاً بالسيف وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: وفت ذمتك وأدّى الله عنك، أسلمتني بيد القوم، وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه، فقال: اذهب حيث شئت، فقال: يا رسول الله! هذا سلب العامري الذي قتلته -رحله وسيفه- فخمّسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا خمّسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن ما شأنك بسلب صاحبك، وعند ذلك ذهب أبو بصير إلى محل في طريق الشام يمر به ذوو الميرة، واجتمع إليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا يتسللون إليه، وانفلت أبو جندل بن سهيل ابن عمرو الذي رده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج من مكة في سبعين راكباً أسلموا فلحقوا بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله في مدة الهدنة مخافة أن يردهم إلى أهلهم، وانضم اليهم ناس من غفار، وأسلم هو وجُهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل، فقطعوا إمارة قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير إلا أخذوها حتى كتبت قريش له عليه الصلاة والسلام تسأله بالأرحام إلا آواهم ولا حاجة لهم بهم.

والرسمية:

فرق صغيرة من الجيش العام، مختارة من الأفذاذ المدرّبين تدريباً خاصاً يتناسب مع عملهم الفدائي العظيم، وقد سبقت الإشارة إليه، فهو استكشاف العدو والتوغل في داخل خطوطه والقيام بأعمال يعجز عنها غيرهم.

وتتكوّن هذه الفرق عادة من جماعات صغيرة فقد تكون عشرة رجال وقد تكون مائة، وقد تكون أكثر أو أقل حسب ظروف المهمة ومقضيات الحالة

والعمل، وهذه العصابات مقيدة بالرسميات وخاضعة في نظامها وإداريتها ومسئولياتها للقيادة العامة في الجيش الرسمي المنظم، والحكومة مسئولة عنها وعن أعمالها إدارياً وسياسياً، ولذا كانت مهمتها في زمن الحرب الرسمية فقط.

وتسمى هذه العصابات في الجيش الإسلامي بالسرايا، والى القارئ الكريم قصة سرية من هذا النوع الرسمي أرسلها النبيّ عليه الصلاة والسلام كشافة للمسلمين قبيل بدر.. وهي سرية عبدالله بن جحش رضي الله تعالى عنه.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قال: "لأبعثن عليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش". فبعث علينا عبدالله بن جحش رضي الله عنه وسماه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين فهو أول من تسمى في الإسلام به من غير الخلفاء كان ذلك في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة وكان معه اثنا عشر من المهاجرين إلى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بينها وبين الطائف، وكان يعتقب كل اثنين منهم بعيراً، وكتب له صلى الله عليه وسلم كتاباً، وأمره ألا ينظر إليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً، فلما سار يومين فتح الكتاب فإذا فيه: "إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصّد بها قريشاً، وتعلّم لنا من أخبارهم"، فقال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك، وبأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع، وأما أنا فناهض، فنهضوا كلهم، ولم يتخلف منهم أحد، وسلك على الحجاز، حتى إذا كان ببحران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما بعيرهما الذي كانا يتعقبان عليه فتخلفا في طلبه، ومضى عبدالله وأصحابه حتى نزلوا نخلة يترصدون قريشاً، فمرت بهم عير لهم تحمل

زبيباً وجلوداً وتجارة أخرى، وفيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابن عبدالله المخزومي والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة، فنزلوا قربهم فهابوهم، فأرشد عبدالله أصحابه إلى ما يزيل رعب أصحاب العير، فحلق بعض أصحابه رؤوسهم وأشرفوا عليهم فلما رأوهم أمنوا وقالوا عمّار لا بأس علينا منهم، فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاماً فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم دخلوا الحرم، ثم اجتمعوا على ملاقاتهم فرمى عبدالله بن واقد عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل ومن معه، واستاقوا العير فكانت أول غنيمة في الإسلام، وكان القتل أول قتل وقع نصرة لدين الله وأول أسيرين فيه، فأنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلوا وقال لهم: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"، فسقط في أيديهم وظنوا أنهم هلكوا، وعنفهم إخوانهم فيما صنعوا وتكلمت قريش، فقالوا إن محمداً سفك الدماء وأخذ المال في الشهر الحرام، وقالت اليهود نتفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم "عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبدالله، عمرو، عمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب، وواقد، وقدت الحرب" فجعل الله ذلك لخير الإسلام والمسلمين...

وبعثت قريش تعير النبي بفعل أصحاب السرية وأكثر الناس القول، واشتد الأمر، ولج اليهود، فأنزل الله تعالى حكمه في قوله: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه؟؟ قل قتالٌ فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام، وإخراجٌ أهله منه أكبر عند الله، والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب

النار هم فيها خالدون، إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم"، فكان ذلك تأييداً من الله تعالى لما صدر من تلك السرية وتقريراً قانونياً لهذا العمل العظيم، وتقسم النبي صلى الله عليه وسلم الغنيمة، وبعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الأسيرين، وهما عثمان بن عبدالله المخزومي، والحكم بن كيسان، فقال عليه الصلاة والسلام: "لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا"، يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفين في طلب بعيرهما "فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم"، فقدم سعد وعتبة بعدها بأيام، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافراً، ومن يضلل الله فلا هادي له.

وقد قال عبدالله بن جحش في هذه السرية شعراً لطيفاً لا بأس من ذكره، وهو قوله:

تعدون قتلاً في الحرام عظيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد الراشد
صدودكم عما يقول محمد
وكفر به والله راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهلهُ
لئلا يُرى لله في البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتلة
وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب واقد

دماً وابن عبدالله عثمان بيننا

ينازعه غل من القيد عاقد

الحرب النظامية:

وقد سبق ذكر الكثير عن القواعد العامة لها، وهي في جملتها لا تخرج عن نطاق أمرين:

١. العقل المفكر.

٢. اليد العاملة.

فالعقل المفكر في القيادات والإدارات وسلاح المهندسين، وسلاح الإشارة وقلم المخابرات.

واليد العاملة وتشمل الجنود والعمال والصناع، وسلاح الصيانة، والآلات والدواب والعمارات والقائد الكفء هو الذي يسيطر على كل هذه القوات ويحميها ثم هو الذي يستطيع أن يقضي على ما يماثلها عند أعدائه، ويبدأ أول ما يبدأ بضرب الرؤوس المفكرة والإدارات ثم يثني بالقضاء على الأيدي العاملة، وهذه خطة القائد المسلم الذي تعلمها من القرآن الكريم، وتلقى هذا الدرس من الله تعالى بعد أن أمر الله به الملائكة يوم أنزلهم للقتال في صفوف المسلمين في غزوة بدر بقوله تعالى: "فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝"[١]، وهذه القاعدة فضلاً عن كونها قاعدة عامة في وضع الخطة، فهي كذلك قاعدة خاصة لكل جندي في قتاله، سواء كان بالقذافات أو بالسيوف، فيضرب خصمه فوق رأسه أو يقطع يديه فلا يستطيع أن يعمل عملاً بعد ذلك.

---

(٢) الانفال، آية ١٢.

والحرب النظامية تحتاج دائماً إلى أشياء رئيسية تدور رحاها عليها..

وهي الجيش وتعبئته وتقسيمه والميدان ودراسته والخطة وإحكامها والمعركة وإدارتها، والجيش مجموعات من القوات العاملة وغير العاملة تسيطر الأولى على الثانية بقانون وتستخدمها بنظام، ولا يمكن للجيش أن يؤدي مهمته إلا إذا توفرت فيه عوامل النظام والتعاون والمرونة وصلاحية كل جزء من أجزائه الحية والصماء للعمل في الحدود الخاصة به.

وعلى القيادة والرؤساء والمرءوسين جميعاً تقع المسئولية العامة كل عضو في اختصاصه، والقوات الأساسية في الجيش هي قوة المشاة بأنواعها ومعداتها وقواعدها الثابتة والمتحركة وقوات الفرسان، سواء كانت على الخيل أو ما يقوم مقامها، والمدفعية وسلاح الإشارة وسلاح المهندسين وسلاح الطيران ولكل عمله واختصاصه.

والجيش نوعان: ثابت "مرابط" ومتحرك "متنقل".

فالثابت يقوم في القلاع على الثغور وفي الحصون على الحدود البرية والبحرية وعمل هذا الجيش دائم لا ينقطع في زمن الحرب والسلم على السواء لإرهاب العدو وحماية الوطن وتثبيت قواعد الحكم، وميدان قتاله حيث هو والمتحرك وهو المتنقل في كل ميدان كما تقتضيه الظروف والأحوال، وهذا يحتاج في زمن الحرب أضعاف ما يحتاجه في زمن السلم.

ولكل نوع منهما نظامه وتعبئته وإدارته، وكل ذلك واقع في دائرة قوله تعالى: "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"(١).

ومن تمام الكيد في الحرب حسن التعبئة، وتقسيم الجيش، وقد وضع القرآن الكريم أساس هذين الأمرين بدقة وإحكام ونفذهما النبي صلى الله عليه

(١) الأنفال، آية ٦٠.

وسلم في حروبه، والدارس لتاريخ الإسلام العسكري يستطيع أن يتعرف على ذلك من غير كبير جهد.

فالتعبئة يكاد يحسها القارئ في قول الله تعالى: "مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿﴾"(١)، وفي قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: "فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا"(٢)، وفي قوله تعالى: "انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿﴾"(٣)، "إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾"(٤).

---

(١) التوبة، آية ١٢٠.

(٢) النساء، آية ٨٤.

(٣) التوبة، آية ٤١.

(٤) التوبة، آية ٣٩.

ومبدأ تقسيم الجيش وتنظيمه يراه المتدبر لكتاب الله في قوله تعالى: "وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ "(١)، ويراه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يغلب اثنا عشر ألف من قلة".

ويكاد القارئ يرى الميدان وفصائل الجيش المختلفة وأسلحته المتباينة ويسمع دوي الطائرات وقعقعة السلاح وضجيج الآلات، ويرى السرعة والخفة، والانقضاض والكر والفر في وقت الصباح للمعركة التي صبح بها جيش من جيوش الله أعداء فتوسط جمعهم ومزق شملهم وقطع أوصالهم إذا قرأ "وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝ "(٢).

ويكاد يرى الجو وقد احتجبت الشمس عنه بأبابيل الطائرات قاذفات القنابل على اختلاف أنواعها الموفورة بالزاد والذخيرة والجنود والجاريات في يسر فوق ذلك بالأوامر والقيادة إذا قرأ قوله تعالى: "وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ۝ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ۝ "(٣)، وقوله تعالى: "وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا ۝ فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا ۝ فَٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْرًا ۝ فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا ۝ "(٤)، ويكاد يرى

---

(١) الانفال، آية ٦٥– ٦٦.

(٢) العاديات، آية ١–٥.

(٣) الصافات، آية ١–٣.

(٤) الذاريات، آية ١–٤.

بعينيه تعاون القوات البرية مع البحرية والجوية ويرى المنشورات الملقات من الجو لمن في الأرض للتوجيه والذكر إذا قرأ قوله الله تعالى: "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝"[1].

ويا حبذا لو قرأ الرجال العسكرية قادة وجنوداً الآيات الآتية وتدبروا فيهن وتعلموا في أي شيء نزلت وتخلقوا بهن، يا حبذا لو قرءوا معنا قوله تعالى: "وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ۝ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ

---

(1) المرسلات، آية ١-٦.

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا
تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ
يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ
أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ
قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ
ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟
غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ
وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ
مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ
لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ۝ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ

ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ
لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ
تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ
كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم
مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ
ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ
أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ

بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞"[1].

والحرب لا يمكن أن تُدرس في الكتب ولا بد من التدريب العملي عليها في ميادين القتال، ولكي يكون فينا مجموعة ممتازة من القادة والجنود لا بد أن نصنع لهم الحروب ليتخرجوا فيها، والأمر الآن لا يحتاج إلى هذه الصناعة، فهذا هو العدو يطأ بأقدامه الثقيلة ونعاله المتمكنة أقداس وطننا وجميع الأوطان الإسلامية، وجيوشنا والقائمون عليها لا يهتمون إلا بالملابس والطعام، وسوف يأتِ الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

ولا يخرج الميدان في الحرب النظامية عن ثلاث حالات: إما بعيداً واسعاً مترامي الأطراف، أو قريباً ضيقاً، أو محدوداً في الطرقات والشوارع والمدن، ولكل ميدان أدواته الحربية الخاصة، فللأول المدافع البعيدة المرمى

---

(1) آل عمران، آية ١٤٦–١٧٥.

والطائرات والحاملات والزاجرات والدبابات وغيرها، وإن كان الثاني كانت المدافع الصغيرة وما يجري مجراها، وإن كان الثالث فهناك الأسلحة الصغيرة والقنابل اليدوية والسيف، ولكل ميدان من هذه الميادين نوع خاص من التدريبات العسكرية، والجندي المسلم جدير بالتدريب عليها جميعاً وأهل للعمل في كل الميادين وبكل الأسلحة، وحسبك أن تعود إلى موقف عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بدر وقد سأل النبي بعض أصحابه بقوله: "كيف تقاتلون؟"، فقام عاصم وقال: يا رسول الله إذا كان العدو على مائتي ذراع كان التراشق بالنبل، فإذا كان قيد رمح كانت المداعبة بالسنان حتى إذا التحم الأقران كانت المجالدة بالسيف حتى يظهرنا الله على عدوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت الحرب، من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم".

ولقد تغيرت أدوات الحرب واتسعت ميادينها ولكنها لا تخرج في التقسيم عما ذكر عاصم وأيّد رسول الله، فيا حبذا لو عدنا إلى نظمنا القديمة واستوحيناها وطبقنا قواعدها على الأوضاع والأسلحة الحديثة، ودرسنا تاريخ خالد بن الوليد، وعقبة بن نافع، والمقداد بن الأسود، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعبادة بن الصامت، وشرحبيل بن حسنة، والقعقاع بن عمرو، والمثنى بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين، وغيرهم من رجالات الحرب وأبطال الميادين من المسلمين في كل عصر وقسمنا جيشنا إلى كتائب أطلقنا على كل كتيبة منها اسم بطل من هؤلاء الأبطال وزودنا أفرادها بدراسة تاريخية لمن تحمل اسمه، ولم نخرج في التقسيم من الأعداد التي ذكرت في القرآن، فلا تقل كتيبة الفدائيين عن العشرين ولا تزيد على المائة، ولا تقل الكتيبة العادية عن المائة ولا تزيد عن الألف، ولا يرتفع عدد الفيلق الواحد عن الاثني عشر ألفاً، ونعتمد في إصلاحنا الداخلي على التربية العسكرية وإنشاء المصانع الحربية

والرجال الحربيين، ونواجه الدنيا بإيماننا وقوتنا، ونتقرب إلى الله بجهادنا ونسعى إليه بأموالنا وأنفسنا، ونسترد مجدنا وحقيقتنا، ونقاتل أعداءنا بدل المفاوضات معهم، ونعتبر بقول الله تعالى لنبيه محذراً له من المفاوضة مع الأعداء: "وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ "[1]، ونقاتلهم بمثل أسلحتهم بل ويخير منها مسترشدين بالراشدين من قبلنا، فلقد قال أبو بكر لخالد رضي الله عنهما: "يا خالد، إذا لقيت العدو فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به، السهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف"، وذلك مصداق قول الله تعالى: "فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ "[2].

ولا يفوتنا أن نستعرض تاريخ المعارك الإسلامية الأولى في كل وقت وننظر في الآيات التي نزلت فيها لنعرف ماذا صنع المسلمون وماذا صنع أعداؤهم وماذا فعل الله بالفريقين، قال تعالى بصدد غزوة الأحزاب: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ

---

(١) القلم، آية ٩- ١٠.

(٢) البقرة، آية ١٩٤.

ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دُخِلَتْ
عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝
وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا
۝ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ
رَحْمَةًۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ
ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝
أَشِحَّةً عَلَيْكُمْۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ
عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ
يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ۝ لَّقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ
كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا
عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا
۝ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ

عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ "(١).

وتوزيع الجنود في الميدان بعد الدراسة من الفنون الحربية العالمية التي على حكمتها وحسن تقديرها تكون نتائج المعارك، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس توزيعاً للفرق المسلحة في ميادين القتال، وكان يأخذ رأي أهل الرأي في ذلك ويتقدم إليه بالنصيحة من أدركها، ويصدق الله ما ذهب إليه لقوله تعالى: "وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ "(٢)، وبقوله: "إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ "(٣)، ويتبع توزيع الجنود وترتيب الهجوم وتوزيع الأعمال وحراسة الجيش بالمرابطين.

ففي ترتيب الهجوم يعلمنا الله تعالى إذا تعدد الأعداء أن نبدأ بالأقرب فالأقرب ليؤمن الطريق ويخلي الميدان ويشرد من خلف بمن أمام، قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ

---

(١) الاحزاب، آية من ٩-٢٧.

(٢) آل عمران، آية ١٢١.

(٣) الانفال، آية ٤٢.

غِلْظَةً "[1]، وقال: "فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ "[2]، وفي الحراسة والمرابطة يقول تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝"[3]، ويتبع ذلك كله كتمان أسرار الجيش والحذر من إذاعتها والرجوع إلى القيادة في أي أمر متصل بها قال تعالى في وصف الذين يستخفهم الأمر ولا يقدرون المسئولية تحذيراً لهم ولغيرهم: "وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ "[4]، وقال: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝"[5]، ويسبق ذلك كله تنظيم التعبئة نفسها والمحافظة على الاحتياطي والاقتصاد في الإنفاق والتجنيد لقوله تعالى: "۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝ "[6].

---

(1) التوبة، آية ١٢٣.

(2) الانفال، آية ٥٧.

(3) آل عمران، آية ٢٠٠.

(4) النساء، آية ٨٣.

(5) الانفال، آية ٢٧.

(6) التوبة، آية ١٢٢.

إدارة المعركة:

حسن إدارة المعركة والانتفاع بكل القوى بترتيب ونظام والسيطرة المطلقة على كل صغيرة وكبيرة، وقوة الأعصاب وضبط العمليات والتربص بالعدو والإشراف العام على جميع أعمال الجيش من خصائص القائد العبقري، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس في ذلك، قال علي بن أبي طالب كرم الله وجه: "كنا إذا اشتد البأس وحميت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم"، ومواقفه عليه السلام في جميع غزواته تدل على أنه القائد الذي تربى في جامعة القرآن الكريم على يد جبريل بتوفيق الله وتأييده، وقد بينا واجبات القائد في غير هذا المكان، فليرجع إليه، وللمعركة القائمة بين الحق والباطل إدارة عليا فوق الإدارة البشرية التي يقوم عليها القائد، فإنه مهما كاد الكافرون للمسلمين فإن الله من ورائهم محيط، وكيد الله فوق كيدهم وإن المعارك الظاهرة وهي معارك السلاح والأجسام يديرها القواد والأمراء، وهؤلاء قد تكون قيادتهم حكيمة وإعدادهم عظيماً، وقد لا تكون كذلك، فإن أفلحوا كلل الغار جبينهم ونسب لهم كل مجد واحتفل الناس بهم، وإن أخفقوا فلأم المخطئ الهبل، عليهم تبعة الهزيمة، ولكن ليس في الإسلام شيء من هذا أبداً، فإن نتيجة القتال في الإسلام معروفة فهي إحدى الحسنيين، وفيه شيء ليس في حسبان الناس وهو المعركة الخفية معركة العقيدة والضمائر التي يقودها ويديرها علاّم الغيوب، والمسلمون ومن يقاتلونهم خصمان اختصموا في ربهم، وعسكرهم عسكر الحق والله وليهم، أما عسكر الباطل فأولياؤهم الطاغوت، ومن حارب المسلمين فإنما يحارب الله، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم، ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين.

في هذا الميدان الذي تتنازع فيه قوة الحق وقوى الباطل، يتولى الله أمر المسلمين ويدير معركتهم بيمينه ويصرفهم بقدرته، ولا تتضح هذه الحقيقة العليا

للمسلمين ولا لأعدائهم إلا بعد أن يتبينوا مدى أعمالهم ونتيجة تدبرهم وإعدادهم وأثر وسائلهم البشرية وأنها لا تغني من النصر شيئاً، وبعد أن يصل بهم الصبر والمصابرة إلى درجة اليأس هنالك تتنزل عليهم رحمة الله ويصلهم مدده ويدركهم غوثه ويتحقق لهم قوله تعالى: "حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿﴾ "[1]، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء، ويتأكدون أن النصر من عنده والفضل له وحده، وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر.

وقد عود الله جنوده الصادقين هذا الأمر في كل معركة، وجعله على صورتين يؤمن بهما كل من خرج جهاداً في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

الأولى: قوى ظاهرة في الريح والمطر والبحر والشمس والمكروبات وما إليها من القوى الطبيعية المتعددة، كأن يأمر الله الريح فتعطل الطائرات المعادية بالغمام والضباب والصواعق والعواصف، ويأمر المطر فيوحل الأرض ويعوق السير ويهيج البحر فيغرق الفلك الذي يستعمله العدو ويرسل عليهم الجراثيم والحشرات فتنتشر فيهم الأمراض وتفتك بهم الأوبئة، الوقت الذي تكون هذه القوى الطبيعية في خدمة المسلمين.

قال تعالى: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ "، "فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿﴾ تَجْرِى

[1] يوسف، آية ١١٠.

بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ "[1].

وقال تعالى: "إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝ "[2].

وقال عز من قائل: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ "[3]، وقال أيضاً: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝ "[4].

---

(١) القمر، آية ١٤-١٨.

(٢) الانفال، آية ١١.

(٣) الصافات، آية ١٧١-١٨٢.

(٤) الفيل، آية ١-٥.

والثانية: قوى خفية باطنة هي القوى المعنوية التي لا يمكن أن توجد أبداً إلا في جند الإسلام ومعسكر المسلمين، وهي كثيرة، منها إرسال الملائكة مدداً وتثبيتاً، ومنها اطمئنان القلوب إلى نصر الله في الدنيا وجنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة، ومنها السكينة التي يملأ الله بها قلوب المؤمنين والرعب الذي يملأ به قلوب الكافرين تتزيلاً في الأولى وإلقاءً وقذفاً في الثانية، قال تعالى: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ "[1]، "إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ "[2]، "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا "[3].

هذا ومن كانت أموره كلها بيد الله فلا بد له من التوفيق والنصر، مهما كانت وسائل عدوه، ولا خوف عليه أبداً مما يحيط به ومما يمتحن به من قول أو فعل، ومهما ألقى الشيطان في أمينته فإن الله ينسخ ما يُلقي الشيطان ثم يُحكم الله آياته وهذا وعد الله للمسلمين بقوله: "لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا

(١) الانفال، آية ٩.

(٢) الانفال، آية ١٢- ١٤.

(٣) الفتح، آية ٤.

ٱهْتَدَيْتُمْ"(١)، "كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾"(٢)، ومعسكر الشيطان مهما أعزاهم وليهم، ومناهم ووعدهم، فما يعدهم الشيطان إلا غروراً، ومهما يبذلون من المال، ويسخرون من القوى، ويجندون ويحشدون ما يظنون أنهم به مسيطرون، فإنهم مغلوبون وإن كان النصر منهم قاب قوسين أو أدنى: "حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ"(٣)، وصدق الله العظيم إذ يقول: "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾"(٤)، "قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾"(٥).

وقال جلّ شأنه: "ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ

---

(١) المائدة، آية ١٠٥.

(٢) المجادلة، آية ٢١.

(٣) النور، آية ٣٩.

(٤) الانفال، آية ٣٦.

(٥) آل عمران، آية ١٢-١٣.

عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝ "(١).

وعملية القتال في المعركة ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى

تبدأ من أول لقاء العدو إلى وقت التأكد من قوته ونسبتها، وهي أهول المواقف وأهم المراحل، وشعار المسلمين فيها: "رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝"(٢)، وواجبات المسلمين المجاهدين فيها الثبات والذكر واطمئنان القلوب إلى الله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ "(٣)، ثم الضرب السريع المتواصل في المقاتل والأماكن المميتة والانقضاض كالصواعق على خطوط العدو وتمزيقها حتى تضع الحرب أوزارها: "فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ "(٤).

هذا إذا كان المسلمون هم المهاجمون، أما إذا كان العدو هو المهاجم فعلى المسلمين أن يتلقوا الهجوم بعزم وصبر من أول صدمة، قال عليه الصلاة والسلام "الصبر لأول صدمة"، ولا يفروا أبداً مهما كانت قوة العدو ساحقة،

(١) محمد، آية ١-٣.

(٢) آل عمران، آية ١٤٧.

(٣) الانفال، آية ٤٥.

(٤) محمد، آية ٤.

وضغطه شديداً، إلا إذا كان متحوّلاً من مكان إلى مكان، أو متحيزاً إلى فئة فإن المسلم لا يفر ولا يُغلب، وإنما ينتصر أو يُستشهد، ولا يؤخذ المسلمون بخدع الكافرين حتى ولو قدم الكافرون أسرى المسلمين واحتموا بهم، فالحكم الإسلامي يقول: (إذا تترس العدوى بأسرى المسلمين، فعلى المجاهدين المسلمين أن يقتلوا إخوانهم لينفذوا من ورائهم إلى أعدائهم ويفتدوا الكثير بالقليل، ويفوّتوا على العدو حيلته وكيده).

قال الله تعالى: " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ "[1].

المرحلة الثانية

تبدأ من أول معرفة قوة العدو وصموده حتى يميل ميزان المعركة، وهي المرحلة التي يتحول فيها اتجاه المعركة ويتقرر المصير في ختامها فهي نقطة التحول وموقف الاختبار ومحك البطولة ومثار الهمم ومقياس العزائم والجلد، وهي مرحلة الصبر والمصابرة والتقوى، ويعتري المقاتلين في حمأتها ثلاث حالات متتابعة، وهي:

١– الوهن:

وهو بدء الشعور بوطأة المعركة والإحساس بفقد القدرة على تحمل العبء تدريجياً، وضياع الجهد في استرداد العزيمة، وفقدان الإرادة، والسيطرة على الموقف.

---

(١) الانفال، آية ١٥.

٢- الضعف:

وهو الحالة التالية للوهن مباشرة، وهو الوقوع في هول الضربات المتتالية وعدم احتمالها أو القدرة على الرد عليها، والتواري منها، والتخلي عن موقف المقاومة لها والهجوم ثم التفكير في التخلص من الموقف بأي ثمن وحال.

٣- الاستكانة:

وهي نتيجة الضعف والتخاذل ولا دواء لها فإنها أنفاس الجبن ووسوسة الشيطان، وهي الاستخذاء والهزيمة والتسليم للعدو والعياذ بالله.

وهذه الحالات تمر بنفس الجندي الضعيف المتهالك الذي لم يخرج للقتال عن عقيدة وإنما خرج مدفوعاً بيد غيره أو لأمر ما.

والجندي المسلم الصادق ليس كذلك فإنه لم يخرج إلا بإرادة الله لإعلاء كلمته ونصرة دينه والدفاع عن أقداسه، ثم هو على علم بأن عدوه مصاب بمثل ما هو مصاب به: "وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ "[1].

والمؤمن هنا مأمور من الله عز وجل بالصبر على الجلاد وبالصبر على صبر العدو حتى ينفذ صبره، قال تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ .." [2]، وقد ضرب الله لهم المثل الأعلى بالجنود المجهولين الذين أعدهم

---

(١) النساء، آية ١٠٤.

(٢) آل عمران، آية ٢٠٠.

لنصرة دينه في كل عصر، ونزههم عن الحالات الثلاث السابقة حيث قال: "وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ "(1).

وشعار المسلمين في هذه المرحلة قول الله تعالى: "رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ "(2).

وقوله تعالى: "حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ "(3).

المرحلة الثالثة

تبدأ من ميل ميزان المعركة إلى نهايتها، وهي مرحلة خطرة جداً يجب الحذر فيها وعدم التراخي في حدة القتال أو التهاون في الضرب أو التحول عن الهدف والغرض جرياً وراء الظن أو اعتماداً على أن النصر قد يكون مأموناً، بل يجب الشد على العدو أكثر من ذي قبل، والثبات في المواقع المحددة والمواقف المعدّة، وألا يترع أي فرد من المجاهدين إلى انتهاء المعركة إلا بعد أن يصدر إليه أمر من القائد، وعلى القائد أن يواصل الضرب والمطاردة حتى يثخن العدو ويمزقه ويجليه تماماً عن ميدان القتال، وهو غير قادر على التجمع بعد ذلك، ثم يأخذ بعدها في تطهير الميدان وشد وثاق الأسرى الذين طلبوا الأمان، أما غير من طلب الأمان فلا بد من قتله والإجهاز عليه.. "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ

(1) آل عمران، آية ١٤٦.

(2) البقرة، آية ٢٥٠.

(3) آل عمران، آية ١٧٣.

أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ "[1].

وشعار المسلمين في هذه المرحلة: "بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ .." [2]، وخطورة هذه المرحلة في أنه إن كان ميل ميزان المعركة في جهة العدة فعلى المسلمين المصابرة مهما كان أمرهم ولا يهنوا أبداً حتى يستردوا موقفهم كما سبق وشعارهم "ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم"، وبعملهم هذا لا بد أن ينتصروا والحرب صبر ساعة، وليعتبروا بما وقع في غزوة حنين إذ أُعجب المسلمون بكثرتهم وتواكلوا فحمل عليهم أعداؤهم حملة صادقة فكشفوهم عن مواقفهم وثبت النبي صلى الله عليه وسلم والصادقون معه، ولولا تأييد الله تعالى لنبيه لكانت الهزيمة ساحقة، قال تعالى: "وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا .." [3].

وإن كان ميل الميزان لصالح المسلمين فيجب ألا يغتروا بهذا ولا يستعجلوا النصر ولا يتحولوا عن أماكنهم حتى تنتهي المعركة بالنصر الثابت

(1) الانفال، آية ٦٧.

(2) الانبياء، آية ١٨.

(3) التوبة، آية ٢٥.

فإن تعجلوا وأسرفوا في تفاؤلهم فقد يذهب بهم هذا وتتغير النتيجة كما وقع لإخوانهم من قبل في غزوة أحد.

وبعد التأكد من النصر يشد وثاق الأسرى وتجمع الغنائم وتحمل جميعاً للقائد للتصرف وينقي الميدان من القتلى والجرحى والمخلفات فيدفن المسلمون في لحودهم كما هم، ويركم الكافرون في قليب، ولا يترك الميدان إلا بعد تطهيره تماماً حتى لا تنتشر الأمراض بسبب تعفن الجثث، هذا والجندي المسلم أول من يدخل الميدان وآخر من يخرج منه، وما النصر إلا من عند الله.

آداب عامة في القتال.. والكماليات

للحرب في الإسلام آداب مرعية تدل على سمو القصد، ونبل الغاية، وهي كثيرة منها:

١. إعلان الحرب وعدم الخيانة "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ "(١).

٢. إنذار العدو وتخييره بين الإسلام والجزية والحرب وإمهاله ثلاثة أيام للنظر.

٣. قبول أي إشارة على الأمان والتسليم "۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ "(٢).

٤. عدم الاعتداء على الأطفال والنساء والشيوخ وأهل الصوامع، وأماكن العبادة.

٥. عدم تخريب المدن والقرى وإتلاف الزرع.

٦. عدم إذلال العدو بعد الانتصار عليه أو محاكمته "فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً .. "(٣).

٧. عدم التفاخر بالنصر والتظاهر بالقوة ومراءاة الناس "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ"(٤).

---

(١) الانفال، آية ٥٨.

(٢) الانفال، آية ٦١.

(٣) الانفال، آية ٤٧.

(٤) الانفال، آية ٤٧.

٨. الوفاء بالعهد فلا احتيال ولا تغرير ولا خداع "وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ "[1].

٩. ترك البلاد المفتوحة لأهلها إن دخلوا في الإسلام.

١٠. العدل فيهم بعد الانتصار عليهم "ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾"[2].

١١. تنظيم حراسة الجيش وحمايته من مفاسد البلاد التي يحتلها وعدم الاختلاط إلا بالصالحين وهو ما يسمى اليوم "بالبوليس الحربي".

١٢. إقامة الصلوات مع القصر والجمع والحراسة "وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟

---

(١) النحل، آية ٩١.

(٢) الحج، آية ٤١.

فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝"[1].

هذا ويخرج المسلمون للقتال، وقد آمنوا الإيمان كله بأنهم هم المنصورون أو الشهداء المقربون: "وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝"[2]، يخرجون وقد طمأنهم الله تعالى بأسباب كثيرة وآيات متعددة منها:

أنه عرفهم حقيقة عدوهم وإن كان بادي العزة والسلطان بقوله: "بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝"، وبقوله في التدليل على ضعف العدو تفرقه: " لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ "[3]، وعرفهم كذلك أن هذا العدو الذي يملك هذه القوة الظاهرة يخشى المسلمين ويرهب لقاءهم ولا يقدم على

---

(1) النساء، آية ١٠٢.

(2) الزمر، آية ٦٩.

(3) الحشر، آية ١٤.

قتالهم إلا وهو يوقن بالهزيمة، حيث قال تعالى: "لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ "(١).

وعرفهم كذلك أن العدو لن يضرهم إلا أذى لا يغير مجرى الحوادث أو يؤثر في الموقف العام بشيء، وإن تصدى لقتالهم ولاّهم دبره وفر مهزوماً لا يجد له نصيراً وضربت عليه الذلة حيثما يكون: "لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا"(٢).

وعرفهم أيضاً أن من سنته تعالى الثابتة ثبوت طلوع الشمس وغروبها، الهزام الكافرين أمام المسلمين مهما كانت القوة: "وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ "(٣).

وعرفهم كذلك أن العدو مهما كثر عدده وسعيه وانتشاره في البلاد وحسنت أجسام جنوده ونظامهم ومظهرهم فإن ذلك كله لا قيمة له أمام فزعة الحق وسطوة الإيمان: "لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ "(٤)، "وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ "(٥)، "۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ

(١) الحشر، آية ١٣.

(٢) آل عمران، آية ١١١.

(٣) الفتح، آية ٢٣.

(٤) آل عمران، آية ١٩٦.

(٥) الانفال، آية ٥٩.

تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ "(١).

وكذلك ما أودعه الله في قلوب المؤمنين من الإيمان بأن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا، وأنه موهن كيد الكافرين وأن الله غالب على أمره، وكذلك فهم المسلمين لحقيقة الحياة وعلمهم بأن الدار الآخرة هي الحياة. وتذوقهم الحقائق العليا لربانية الجهاد وأنه رهبانية المسلم.

كل هذه الحقائق وأمثالها من الشحنات الروحية المتواصلة المتعددة الأنواع والأذواق تدفع المسلم إلى اقتحام العقبات واجتياز الحواجز وتحطيم حصون الباطل وتقويض أركان الظلم.

وللحرب كماليات لم يهملها الإسلام وإنما وضعها في مواطنها وزكّاها بنوره وصبغها بصبغته، وإنها فيه لعالية وان أثرها لمجيد، مثال ذلك:-

الأناشيد

وهي ترانيم تنظيم معنوية الروح العسكرية في نفوس المجاهدين، وهي في الإسلام غيرها في غيره، فموسيقاها فيه ليست في المقاطع والجرس والتوقيع وجلجلة اللفظ والتلحين فحسب، وإنما في روحانيتها العميقة ومصدرها ومبعثها وامتداد معانيها في مدى نفوس قائليها وسامعيها، وصلتها بالله ودويها الساري في المحيط الإسلامي، وقرعها وجلجلتها المفزعة في نفوس الأعداء، ومن الأناشيد الإسلامية المشهورة النشيد الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو:

---

(١) المنافقون، آية ٤.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وحسب مرجعه من إعجاز وروح.

ومن أناشيد الصحابة رضوان الله عليهم:

اللهـــم لولا أنت مـــا اهتدينا
ولا تصدقنـــا ولا صلينـــا
فأنزلـــنْ ســكينة علينـــا
وثبــت الأقــدام إن لاقينـــا
والمشركــون قد بغوا علينـــا
وإن أرادوا فتنـــة أبينـــا

ومن الترانيم المثيرة للشعور الحي الكريم في القتال قول الصحابة رضوان الله عليهم:

نــحن الذين بايعــوا محمــدا
عــلى الجهاد ما حيينــا أبــدا

وقولهم:

بســـم الإله وبه بدينـــا
ولـــو اتخذنا غـــيره شقينـــا
يا حبذا ربا وحب دينا

ومن الأراجيز التي كانت تُقال عند الزحف ولقاءُ الأبطال قول بعضهم:

ركـــضاً إلى الله بغـــير زاد

إلا التقـــى وعمـــل المعاد

والـــصبر في الله على الجهاد

وكـــل زاد عرضـــه النفاد

غـــير التقـــى والبر والرشاد

وغير هذا كثير، ومن كماليات الحرب بل ضرورياتها كلمة السر اليومية المتجددة عند القتال وأثناء الليل، ولكل حال اصطلاح، فلقد كان للمسلمين في كل موقعة كلمة سر مصطلح عليها بين الجنود يضعها القائد، وكان لهذه الكلمة في النفوس سحر عجيب وتوجيه غريب غير المعروف عنها في زماننا هذا، فإنها كانت توقظ في النفوس عوامل العزة وكوامن القوة ودوافع العمل وتحيي فيها الشجاعة والإقدام وتبعث الحزم والعزم، فضلاً عن كونها تعارفاً بينهم، وأمثال هذه الكلمات "يا منصور أمت.." "يا خيل الله اركبي".

ونختم هذا الفصل بذكر غزوة جمعت كل ما مر ذكره في الحرب من سياسة وكياسة وإعداد وآداب وكماليات وربانيات ولم تغادر شيئاً مما في هذا الكتاب، وهي غزوة خيبر.

خيبر مدينة يهودية كبيرة ذات حصون وقلاع كثيرة ومزارع واسعة ونخيل وفواكه، تقع شمال يثرب مما يلي الشام على بعد ثلاثة أيام، كان يسكنها ويملكها اليهود ويسيطرون منها على التجارة والحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية كلها، ويقفون بقواهم الحربية المجهزة المدربة بين العرب والشام.

وكانوا شوكة قوية في ظهر المسلمين إذ أقاموا للدفاع عن أنفسهم من هجمات قريش ومن وراءها، وكانت خيبر حصن للصراع المذهبي والعنصري

والسياسي والاقتصادي في الجزيرة، وأهلها أخطر الناس على الدين الإسلامي الجديد وأشدهم عداوة له وضراوة في محاربته، ولقد جاهروا بالعداء ومشوا به في الناس وجمعوا الجموع وحزبوا الأحزاب وحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم في كل ميدان ومعركة بالمال والرجال والتحريض والكيد، وكان لا بد للنبي صلى الله عليه وسلم لكي يأمن على دينه وأتباعه من أن يحارب اليهود، بل ويرغمهم على الجلاء التام عن الجزيرة العربية، فهم فضلاً عن كونهم دخلاء ومستعمرين لا يتورعون عن التدخل في شئون الجزيرة تدخلاً مسلحاً بدءاً واعتداءً، فلا بد إذن من الرد على عدوانهم واعتدائهم وكسر شوكتهم وتحرير البلاد من سلطانهم وحماية الدعوة من كيدهم وتأمين جيوش المسلمين من خياناتهم المتكررة، ولقد كانت يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين مدينة الدعوة الإسلامية والحصن الرباني الوحيد لدين الله في الأرض، كانت مُحاطة بالأعداء من كل ناحية وكانت بين شقي الرحى، بين اليهود بعلمهم ومالهم وسلطانهم وماضيهم وعدوانهم من الشمال، وبين قريش ومن وراءها بجاهليتهم وجهلهم وطغيانهم وقوة بأسهم وكفرهم من الجنوب، وكان حتماً على المسلمين أن يحاربوا في ميدانين أو ميادين متباعدة إن كانت خطتهم مقصورة على الحرب الحامية فقط.

وليس هذا من الحصافة الحربية ولا من الكياسة العسكرية فإن القتال في ميدانين كثير التكاليف وموزع للقوى التي يجب تركيزها، وهو مهما كان الاستعداد له غير مأمون العاقبة، ولا يمكن للقائد المحنك من القتال في ميدان واحد إلا بعد أن يؤمن طرفه ومؤخرته فما بالك بميدانين ولا أمان فيهما.

إذن كان لا بد للنبي صلى الله عليه وسلم وهو القائد الرباني لكي يستطيع القتال في ميدان واحد ويضمن النتيجة لصالحه فيه بتأمين المؤخرة وطرق المواصلات والتموين من أن يختار أحد أمرين لا ثالث لهما.

١. إما أن يهادن العرب.

٢. وإما أن يهادن اليهود.

وصاحب الدعوة ليس كصاحب الملك ينظر إلى مصلحته الشخصية القريبة ويفكر في الأضرار الوقتية الناتجة من حرب المال والاقتصاد، وإنما ينظر إلى دعوته وسيرها في التاريخ والأجيال الآتية، ونظرة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نظرة نبي لا نظرة ملك، وفكرة داع لا فكرة جاب، وعقلية إمام رباني يريد أن ينتصر في معركة التاريخ الأبدية انتصاراً لا هزيمة بعده أبداً لدعوته، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لا عقلية قائد يريد أن ينتصر في حرب وقتية، وينال مجداً وسمعة في زمنه فحسب، لو كان الأمر كذلك لاختار ما يختاره غيره ولكنه وازن بين الأمرين على نور الربانية وضوء العقيدة الإسلامية.

رأى صلى الله عليه وسلم أن العرب أهله وعشيرته وعنصره وأنهم أهل البلاد وأصحابها، ولا يحول بينهم وبين الدين الجديد إلا عوامل وقتية هي الجهل والتعصب الأعمى والزمن كفيل بالقضاء عليها، وبعد حين ستتحول فيهم هذه القوة المعادية إلى قوة مؤيدة إذا تركت لهم الفرصة، وهم أهل نجدة وكرم ووفاء، والإسلام إنما جاء ليطهرهم من الوثنية ويعيدهم إلى دين أبيهم إسماعيل ويمحو من حول الكعبة الأصنام لا ليمحو الكعبة، وجاء لتثبيت قواعد الأمة العربية في أمجاد التاريخ لا ليزعزع أركانها، وليخلد لغة العرب بالقرآن الكريم لا ليقضي عليها وليسوّد العرب لا ليذلهم، فهم إن عاجلاً أو آجلاً صائرون بطبيعة الحال إلى الإسلام دينهم وملة أبيهم إبراهيم ليكون الرسول شهيداً عليهم ويكونوا شهداء على الناس.

أما اليهود وإن كان الميزان الاقتصادي في الجزيرة العربية في أيديهم، فهم غرباء دخلاء، ولهم دينهم القديم المتمسكون به المتعصبون له المترفعون به

على الناس وهم أهل عداوة للعرب موروثة وعداؤهم الجديد للإسلام ضروري لبقائهم، ولن يدخلوا الدين الجديد كعصبة أو جماعة لها كيانها وتقاليدها.

وإنما إن دخلوا فيه فهم أفراد قد تخلوا بضرورة الحال عن خصائصهم الأولى ولن يكونوا يهوداً أو عبرانيين وإنما هم مسلمين إذ لا عنصرية ولا عصبية في الإسلام، وهم أحرص الناس على عنصريتهم ووضعيتهم في التاريخ رغم تشتتهم في الأرض واضطهاد العالم لهم، فالصراع بينهم وبين العرب صراع قديم من أيام إسماعيل وإسحاق، والصراع بينهم وبين الإنسانية قديم كذلك من يوم أن كانوا شعب الله المختار.

والصراع بينهم وبين الإسلام طبيعي لأنه دين جديد كامل فيه كل ما في دينهم من خير فضلاً عن المميزات العالمية والإنسانية فيه فلا شك عندهم في أن الإسلام بذاته حرب عليهم وعلى دينهم، وهم أهل غدر وخيانة وجبن وبخل ولن يتخلوا قط عن صفاتهم الأصلية التي اكتسبوها على مر الزمان والعصور من طبيعتهم وطبيعة حياتهم في التاريخ وشعائرهم الخاصة.

فمن من المعسكرين يهادن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن من الطائفتين يخفض جناحه، ويترل عن كثير من حقوقه تمهيداً للنصر والعزة، والدخول في دين الله؟، لا شك أنه صلى الله عليه وسلم سيهادن قومه، ويعطيهم الفرصة العملية للتعرف على الإسلام بمعاملة المسلمين والصلح معهم ويبعدهم عن اليهود ومؤامراتهم المادية والأدبية، ويحول بينهم وبين العداوة باللين والمسالمة ويتحين الفرصة للقضاء على عناصر الفساد والضلال وعلى العدو الحقيقي للإسلام والعرب والمسلمين وهم اليهود، ولقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلح الحديبية هذا الصلح الذي اعتبر فتحاً مبيناً محا الله به آثار الآلام السابقة وجبر به كسر العرب والمسلمين وصحح به الأوضاع في الجزيرة ومهد به للنصر الإسلامي في التاريخ وأجلى به اليهود عن الجزيرة وأمن

مؤخرة المسلمين ومقدمتهم في فتح مكة وفتح الشام، وأعطى العرب استقلالهم التام في بلادهم العتيدة، وذهب بسلطان اليهود في مهد الإسلام ومهبط الوحي إلى يوم القيامة.

أقام النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من الحديبية ريثما أعد عدته واستنفر المسلمين وأمرهم بالتجهيز لغزو خيبر على ألا يخرج معهم للغزو إلا من شهد الحديبية، أما المتخلفون عنها من قبل فقد نزل فيهم قول الله تعالى: "سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ "(١).

خرج إليها صلى الله عليه وسلم بعد نزول سورة الفتح فسار المسلمون في ضوء هذه السورة وعلى نورها مؤمنين بالنصر مؤيدين بالوعد مطمئنين إلى أمان المؤخرة فرحين بما ينتظرهم من الغنائم الموعودة، واستعمل النبي على المدينة غيلة بن عبدالله الليثي، وكان معه عليه السلام ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس و لم يقبل من المخلفين عن الحديبية إلا من كان راغباً في الجهاد والغزو من غير نصيب في الغنائم.. التي نزل فيها وفي الحديبية قوله تعالى: "وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ "(٢)، "وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ "(٣).

---

(١) الفتح، آية ١٥.

(٢) الفتح، آية ٢٠.

(٣) الصف، ءية ١٣.

وقطعوا مراحل الطريق في ثلاثة أيام، وكان ابن الأكوع يحدو الركب ويحرك الركاب بأراجيزه المؤمنة المثيرة، قال في حداثة رضي الله عنه:

والله لـــولا الله مـــا أهديتنـــــــا
ولا تـــصدقنـــــا ولا صلينـــــــــا
فاغفر فـــداء لك ما أبقينـــــــا
والقـــــين سكينـــــة علينـــــــا
وثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــــا
إنـــــا إذا صيـــح بنا أتينـــــــا
بالصيـــــاح عولـــوا علينـــــا
ونـــــحن عن فضلك ما استغنينا
إن اليهـــود قد بغوا علينـــــا
وإن أرادوا فتنـــــة أبينـــــــا

سار المسلمون والرسول قائدهم، والله غايتهم والجهاد سبيلهم والموت في سبيل الله أسمى أمانيهم والقرآن الكريم دستورهم.

ولم تكد خيبر تحسهم أثناء سيرهم إليها حتى لقد باتوا أمام حصونها وأصبح الصباح وغدا عمال خيبر خارجين إلى مزارعهم ومعهم مساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا جيش المسلمين ولّوا الأدبار يتصايحون، هذا محمد والخميس، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمع قولهم: "الله أكبر خربت خيبر، إنا إذاً نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين".

على أن اليهود كانوا يتوقعون غزو النبي لهم، وكانوا يودون أن يجدوا الوسيلة إلى الخلاص منه أما بعضهم فنصح لهم أن يبادروا إلى تأليف كتلة منهم ومن يهود وادي القرى وتيماء تغزو يثرب دون اعتماد على البطون العربية

المعادية لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأما آخرون غيرهم فكانوا يرون أن يدخلوا في حلف مع الرسول لعل ذلك يمحو ما ثبت من كراهيتهم في نفوس المسلمين والأنصار منهم، خاصة بعد اشتراك حيبي بن أخطب وجماعة من اليهود معه في تأليب العرب لاقتحام المدينة وأخذها عنوة في غزوة الأحزاب، لكن النفوس من الجانبين كانت ملأى، حتى لقد سبق المسلمون قبل غزوة خيبر بقتل كلّ من سلام ابن أبي الحقيق والبسير بن رزام وغيرهما من زعماء خيبر.

وكانت اليهود على اتصال دائم بغطفان، ولذلك استعانوا بهم في أول ما ترامى إليهم خبر اعتزام النبي صلى عليه وسلم غزوهم.

وسواء أكانت غطفان أعانت اليهود أم كانت قد وقفت بمعزل بعد أن وعدها النبي حظاً من الغنائم فقد كانت موقعة خيبر من اكبر المواقع الفاصلة أن كانت جموع اليهود في خيبر من أقوى الطوائف الإسرائيلية بأساً وأوفرها مالا أكثرها سلاحاً، وأن كان المسلمون مؤمنين بأنه ما بقيت لليهود شوكة في الجزيرة فستظل المنافسة بين بني إسرائيل وبني إسماعيل حائلا دون تمام الغلب للإسلام، لذلك ذهبوا مستقلين لا يعرف التردد إلى نفوسهم سبيلا ووقفت قريش ووقف العرب جميعا متطلعين إلى هذه الغزوة حتى لقد كان من قريش مَن يتراهنون على نتائجها ولمن يتم الغلب فيها.

وكان كثيرون من قريش يتوقعون أن تدور الدائرة على المسلمين لما عُرف من قوة حصون خيبر وقيامها فوق الصخور والجبال، ولطول ممارسة أهلها للحرب والقتال.

ولما أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه قفوا، ثم قال: "اللهم رب السموات وما أظللن، والأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا باسم الله"،

ثم دفع رايته العقاب إلى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ودفع راية لسعد بن عبادة رضي الله عنه، ونزل بواد يُقال له الرجيع بين خيبر وبين غطفان لئلا يمدوهم، ورفع المسلمون أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم أينما كنتم"، وجاء أن عبدالله بن أُبي بن سلول أرسل إلى اليهود يقول لهم إن محمداً سائرٌ إليكم فخذوا حذركم وأدخلوا أموالكم إلى حصونكم واخرجوا إلى قتاله ولا تخافوا منه، إن عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سرح معهم إلا القليل ففعلوا وأدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة في حصون النطاة، فجاء الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إنك نزلت مترلك هذا فإن كان من أمر أمرت به فلا نتكلم، وإن كان هو الرأي تكلمنا، فقال عليه السلام: هو الرأي، فقال: يا رسول الله إن أهل النطاة لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد مدى ولا أعدل رمية منهم، وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون في حمرة النخل.. تحول يا رسول الله، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "أشرت بالرأي، إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا"، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فقال: "أنظر لنا مترلاً بعيداً"، فطاف محمد بن مسلمة وقال: يا رسول الله وجدت لك مترلاً، فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله، وتحول لما أمسى، وأمر الناس بالتحول فتحوّلوا إلى صخرة عظيمة بين خيبر وغطفان كما سبق وابتنى هناك مسجداً صلى به عليه السلام طول مقامه بخيبر، وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع، فما قطع من نخيل خيبر غيرها، وذلك القطع لكشف الميدان وتسهيل العمل به وإرهاباً للعدو وكسر لقلبه.

ودخل سلام بن مشكم مع اليهود يحرضهم على الحرب والثبات فيها، والتقى الجمعان حول نطاة واقتتلوا قتالاً شديداً، وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يُقال لها الظرب، وفي يده قناة وترس.

وكان عدد الجرحى من المسلمين في ذلك اليوم خمسين، فما بال عددهم من اليهود وتوفي سلام بن مشكم فتولى الحارث بن أبي زينب قيادة اليهود، وخرج من حصن ناعم يريد منازلة المسلمين فدحره بنو الخزرج واضطروه أن يرتد إلى الحصن على أعقابه وضيق المسلمون الحصار على حصون خيبر واليهود يستميتون في الدفاع عنها، إيماناً منهم بأن هزيمتهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم هي القضاء الأخير على بني إسرائيل في بلاد العرب.

وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم يُقال له ناشر، فكشف المسلمين حتى كاد ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا اليوم قُتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهما برحى أُلقيت عليه من الحصن، ألقاها عليه أحد اليهود، وكان محمود قد حارب حتى أعياه القتال، وثقل السلاح، وكان الحر شديداً فانحاز إلى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحى فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندت عليه فأدركه المسلمون فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة إلى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراح ومكث النبي صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يُقاتل أهل حصون النطاة، يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإذا أمسى رجع إلى المحل ليداوي جراحه، وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضي الله عنه فطاف عمر بأصحابه حول

العسكر فأتى برجل من يهود خيبر في جوف الليل فقال اذهب بي إلى نبيكم حتى أكلمه فانتهى به إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخله عليه، فقال رسول الله لليهودي: ما وراءك؟ قال: تؤمنني يا أبا القاسم؟ قال: نعم، قال: لقد خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراويهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن (يعني حصن الصعب) من حصون النطاة منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شاء الله" قال: أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى !! قيل: ما هي؟، قال ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن، قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعى إلى الإسلام، فقال: أنظرني..

واشتد الأمر فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أناساً من أصحابه فلم يكن فتح، ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، لا يولي الدبر، يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل أخيك، وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند رسول الله إلا ورجا أن يُعطاها، حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم، وقول علي بن أبي طالب لما بلغته مقالة النبي وكان مريضاً بعينيه: "اللهم لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت" فلما أصبح النبي عليه السلام بعث إلى علي كرم الله وجهه، فقيل له: يا رسول الله إنه يشتكي بعينيه، فقال: من يأتيني به، فذهب إليه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب

عينيه فعقد له لواءه الأبيض، فقال علي: يا رسول الله إني أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمي، فتفل صلى الله عليه وسلم في كفه ودلك عيني علي فبرأ بإذن الله، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى علياً الراية وقال له: امض بها حتى يفتح الله عليك، ودعا له ولمن معه بالنصر ووجهه إلى الحصن، فخرج علي رضي الله عنه حتى ركزها تحت الحصن، فأطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: علي بن أبي طالب، قال اليهودي علوتم والتوراة ثم خرج إليه أهل الحصن، وكان أول ما خرج إليه الحارث أخو مرحب وكان معروفاً بالشجاعة فانكشف المسلمون ووثب علي رضي الله عنه إليه فتضاربا وتقاتلا فقتله علي وانهزم اليهود إلى الحصن ثم خرج إليه مرحب وهو يرتجز ويقول:

وقد علمـــت خيبـــر أني مرحـــب
شـــاكي الســـلاح بطـــل مـــجرب
إذا الحـــروب أقبلـــت تلهـــب
إذا الليـــوث أقبلـــت تخـــرّب
أطعـــن أحيانـــاً وحينـــاً أضـــرب
إن حمـــاي للـــحمـــى لا يقـــرب
يحجم عن صولتي المجرب

فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول:

أنا الـــذي سمتـــن أمـــي حيـــدرة
كليـــث غابـــات كـــريه المنظـــرة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ثم حمل مرحب على عليّ رضي الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يُقاتل حتى فتح الله الحصن، ثم جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها إلى داخل أبنية الحصن.

وإنما سقط هذا الحصن بعد أن قتل قائده، مما يدل على استماتة اليهود في القتال واستماتة المسلمين في الحصار وفي الهجوم، بعد حصن ناعم فتح المسلمون حصن القموص بعد قتال شديد، وبعد أن قلت المؤونة عندهم قلة توجه بسببها جماعة منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكون إليه أمرهم ويطلبون إليه ما يسدون به رمقهم، فلم يجد شيئاً يعطيهم إياه، وأذن لهم في أكل لحوم الخيل، على أنه بعد أن تم لهم فتح حصن الصعب بن معاذ قلت حاجتهم أن وجدوا فيه طعاماً كثيراً مكن لهم من متابعة قتال اليهود وحصارهم في سائر حصونهم، واليهود أثناء ذلك كله لا يسلمون في شبر أرض ولا يسلمون حصناً إلا بعد أن يدافعوا عنه دفاعاً شديداً وبعد أن لا يبقى لهم على صد هجوم المسلمين قوة، وقتل عند ذلك مرحب اليهودي، قتله محمد بن مسلمة، خرج مرحب كعادته وقد جمع للحرب سلاحه وأكمل عدته وهو يرتجز، فصاح النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه من لمرحب، فقال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر قتل أخي بالأمس، فأذن له النبي عليه السلام بالخروج له، فتصاولا حتى كاد مرحب يقتله لكن ابن مسلمة اتقى سيفه بالدرقة فوقع السيف فيها فعضت به فأمسكته وضربه ابن مسلمة حتى قتله، وكذلك كانت هذه الحرب بين المسلمين واليهود ضروساً قاسية وكانت منعة حصون اليهود تزيدها شدة وقوة..

ومِمن قُتل من المسلمين الأسود الراعي، كان أجيراً لرجل من اليهود يرعى له غنماً، وكان عبداً حبشياً يسمى يساراً، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال: يا رسول الله أعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليه فأسلم، فلما أسلم قال: يا رسول الله إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وهي أمانة للناس والشاة والشاتان، وأكثر من ذلك، قال: اضرب في وجهها فإنها سترجع إلى ربها، فقام الأسود فأخذ حفنة من حصى فرمى بها في وجهها وقال ارجعي إلى صاحبك فوالله لا أصحبك، فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم ذلك الأسود فقاتل مع المسلمين فأصابه سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه نفر من أصحابه فأعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله لم أعرضت عنه، قال: إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ينفضان التراب عن وجهه، ويقولان: ترب الله وجه من ترب وجهك، وقتل من قتلك، وقال عليه السلام: "لقد كرم الله هذا العبد وساقه إلى خير قد كان الإسلام من نفسه حقاً".

وحاصر المسلمون بعد ذلك حصن الزبير وطال حصارهم إياه وقاتلوا حوله قتالاً شديداً ومع ذلك لم يستطيعوا فتحه حتى قطعوا الماء عنه واضطروا اليهود فيه إلى الخروج منه وإلى قتال المسلمين قتالاً انتهى باليهود إلى أن يلوذوا بالفرار، وكذلك جعلت الحصون تقع واحداً بعد الآخر في أيدي المسلمين حتى انتهوا إلى الوطيح والسلالم بمنطقة الكتيبة وكان آخر حصنين منيعين لليهود، هنالك استولى اليأس على نفوسهم فطلبوا الصلح، بعد أن حاز النبي صلى الله عليه وسلم أموالهم كلها بالشق ونطاه والكتيبة على أن يحقن دماءهم وقبل النبي صلى الله عليه وسلم وأبقاهم على أرضهم التي آلت إليه بحكم الفتح على أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم.

نتيجة الحرب

نتيجة الحرب دائماً عند المسلمين واحدة، وهي الشهادة للأفراد والظفر للجماعات، لقوله تعالى: "وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ"[1]، ولقوله: " قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝ "[2].

والمتأمل في الحروب الإسلامية يتبين أموراً منها:

١. أن الغاية من القتال في الإسلام عند المسلمين دائماً في كل معركة صغُرت أو كبُرت وفي كل حرب طالت أم قصرت، هي إعلاء كلمة الله تعالى.

٢. أن الغرض الخاص من كل معركة في كل حرب خاضها المسلمون قائم محافظ عليه حتى يتحقق.. بمعنى أنه إذا كانت نتيجة المعركة في غير صالح المسلمين لا يعتبرها المسلمون تامة أو حاسمة وإنما هي جولة أولى كانت عليهم، ولا بد أن تكون الجولة الثانية لهم، لأنه ما دام الغرض لم يتحقق وغاية الحرب قائمة فإن المعركة لم تنته بعد ونتيجتها لم تُقرر.

٣. أن المعارك التي خاضها المسلمون وكانت نتيجتها في صالحهم كانت دائماً حاسمة ولها ما بعدها في تقرير المصير، ولقد كان القائد المسلم يتصرف في مخلفاتها تصرف المنتصر المقيم، المتمكن من حقيقة النتيجة.

---

(١) النساء، آية ٧٤.

(٢) التوبة، آية ٥٢.

٤. أن حالة العدو المنتصر في معركة ما غير مستقرة، ونفسه غير مطمئنة وشعوره بالنصر غير ثابت، ولا امتداد لنتائج نصره في حياة قومه، وربما كانت آثار النصر محلية ووقتية فقط.

فتصرُّف النبي صلى الله عليه وسلم في أعقاب غزوة بدر غير تصرفه في نهاية أُحد، لأن المسلمين في الأولى تحققوا من هدفهم، أما الثانية فقد فوت عليهم عصيان الرماة هدفهم، ولذلك اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أن غزوة أحد لم تنته بعد.

وخرج بالمسلمين الذين كانوا معه إلى أحد حمراء الأسد وظل فيها ثلاثة أيام تتبعاً للكفار وإرهاباً لهم وتفويتاً لقيمة نصرهم.

أما في خيبر فقد كان تصرفه فيها تصرف الحاكم المالك، وهكذا يجد الباحث حسن تصرف القائد المسلم عقب كل معركة بما يناسب نتائجها..

ويتبع النتيجة مشكلات السلم، وهي في أربع:

١. الأنفال والغنائم.
٢. الأسرى.
٣. العدو المغلوب.
٤. المسلمون بعد النصر.

الأنفال والغنائم

الأنفال هي الغنائم التي يحصل عليها المسلمون من غير قتال، وهذه لله ولرسوله لا يأخذ منها المجاهدون شيئاً كما وقع للمسلمين في غزوة بني قينقاع وآيتها: " يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ "، أما الغنائم وهي كل نيل ناله المسلمون من الكافرين بالقتال، وتُقسم بين المسلمين للراجل نصف الفارس بما قدر الله بعد حجز الخمس لله ورسوله، ولا يحل لجندي أن يأخذ

من الغنيمة العامة شيئاً إلا إذا نادى القائد بينهم بأن كل من قتل كافراً فله سلبه ومن أسر عدواً فله فديته، وأمانة الجنود المسلمين معروفة مشهورة لأنهم يؤمنون جميعاً بمراقبة الله لهم، وفي قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعد فتح مدائن فارس، وقد وقع المسلمون على غنائم ما كانت لتخطر لهم على بال، وما كانوا ليعرفوا لها قيمة فما فتن بريقها نفوسهم، قال سعد: "والله إن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت إنهم على فضل أهل بدر"، وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: "والله الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة، فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم وزهدهم".

وآية الغنائم قول الله تعالى: "﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ" [1].

وللإمام أن يعطي من يشاء ويحرم من يشاء لصالح الدعوة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة قلوبهم من قريش ومع الأنصار في أموال هوازن وفي حنين..

الأسرى

الأسير عدو سقط في الميدان على صورة ما في يد المسلم، فإما أن يُسلم وإما أن يُقتل، وإما أن يفتدي نفسه، وإسلامه أحب إلى المسلمين، والإسلام يجبّ ما قبله.

والأسرى في حرب المسلمين قليل، لأن المسلم لا يأسر عدوّه إلا في نهاية المعركة، والأسير عالة على آسره، وضغثاً على إبالة، والتصرف فيه من حق

---

(١) الانفال، آية ٤١.

القائد وحده، إن شاء قتله، وإن شاء قبل فيه الفدية، إن لم يسلم بعد أن يعرض عليه الإسلام ويرغبه فيه، ولا يصح أن يكون للمسلمين أسرى إلا بعد أن تدين لهم الدنيا، وبعد أن يثبتوا لأعدائهم قوتهم وسلطانهم، ويصبح في استطاعة دولتهم الإنفاق على الأسرى مدة الأسر.

أما والعدو قوى والمسلمون في أول أمرهم فلا يصح أن يبقوا على الأسرى أو يحملوهم معهم، ففي ذلك بلاء عظيم، وخطأ جسيم، لأن الأسير قد يتظاهر بالإسلام، أو يفتديه أهله، فإذا رجع إليهم حمل إلى الكفار كل ما رأى وكل ما سمع عن حال المسلمين، ولذلك قال الله تعالى: "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ "[1]، فالقتل أولى من الفدية في أول الأمر، أما بعد ذلك فلا بأس من المنّ أو الفداء، كما قال تعالى: "فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ "[2].

وآية عرض الإسلام على الأسرى قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ "[3].

---

(١) الانفال، آية ٦٧-٦٨.

(٢) محمد، آية ٤.

(٣) الانفال، آية ٧٠.

العدو المغلوب

يحارب المسلمون لتكون كلمة الله هي العليا، لا يبغون دنيا ولا يسعون وراء مجد كاذب، أو صيت ضائع، وإنما ليحرروا الإنسانية من عبودية الشيطان، وظلم الطاغوت، ولا يلجأون للقتال إلا بعد أن يتقدموا بدينهم للناس سمحاً حنيفاً، وهو أصلح ما تصلح به البشرية، يحملونه إلى الناس بضاعة كريمة بلا أجر ولا ثمن، فمن قبله فإنه منهم، وكان ذلك أحب إليهم وخلّوه وأرضه، ومن لم يقبل رضوا منه بالجزية وهي أقل من عشر غلة أرضه، وذلك لضمان الأمن ورجاء الهدى، فمن لم يقبل كان القتال.

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا

فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

وما دامت ضرورة القتال في الإسلام هي إثبات الحجة وضمان الطاعة، وحماية الدعوة ورجاء الهداية والأمان والسلامة من العدو فالمسلمون إذن غير معتدين وليسوا بظالمين، وإنما هم المصلحون أهل السلام، وهناك ضرورة للقتال وحكمة لا تُخفى على المنصف، وهي أن المسلمين لو حملوا رسالتهم إلى جيل من الناس ثم رفضها ولم يقاتلوه عليها بعد أن يأبى الجزية فقد ضلوا حقيقتهم وضيعوا دعوتهم وأطمعوا فيهم عدوهم، فهم إذن بحكم وصفيتهم الإنسانية وحملهم أمانة الله ورسالته إلى خلقه مضطرون للقتال للإرهاب لا للإرغام وللحماية لا للجناية، وللأمان لا للسلطان، وللحق لا للعدوان.

وما دام هذا أمرهم فمعاملتهم للعدو المقهور في منتهى العدل والرحمة، والدلائل التاريخية على ذلك كثيرة، والعهود التي كان يعطيها النبي صلى الله عليه وسلم لليهود وغيرهم تبين حقيقة هذا الأمر.

والعهود التي أعطيت من المسلمين لأهل الشام يشهد بها التاريخ على الوفاء وحسن المعاملة.

فلقد كانت الجزية في عقود الصلح تؤدى للمسلمين لقاء دفاعهم عن حربه من لم يسلم في المال والعقيدة والوطن، وما كان لهم قط أن يتدخلوا في سياسة البلاد الداخلية إلا بقدر ما يمس حدود الإسلام، وعقود الصلح بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين الكثيرين من رؤساء البلاد المسيحية التي فتحها في بلاد الشام، وضمان حماية بيعهم وكنائسهم ومعابدهم وأحبارهم ورهبانهم أكبر دليل على عدالة الإسلام وأهله.

ووصية أبي بكر لجيش أسامة رضي الله عنهما "لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تقعروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له..".

ويوم دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً بعد أن خرج منها طريداً فخاطب أهلها قائلاً: يا معشر قريش، ما تظنون إني فاعل بكم؟ قالوا خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: إني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم إذهبوا فأنتم الطلقاء، كل هذا وغيره دليل تاريخي على رحمة المسلمين بالمنهزمين أمامهم ولم يحدث قط أن اعتدى المسلمون على من أمنوهم، ولم يذكر التاريخ مرة واحدة أن المسلمين نكثوا أيمانهم مع من عاهدوهم حتى يكون الذمي هو البادئ بالنكث، والله تعالى يقول للمسلمين: "وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ

جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا"(١)، ويقول: "إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ "(٢)، وخلاصة القول أن المسلمين لا ينتقمون ولا يستغلون ولا يعتدون وإنما يعاملون العدو المغلوب بالعدل والرحمة، فلا تنكيل ولا تخريب ولا أذى.

المسلمون بعد النصر

لم يشهد التاريخ لأمة من الأمم بمثل الشهادة الكريمة التي شهدها للمسلمين غازين ومنتصرين، فلقد كان المسلمون أول قتالهم مجاهدين، وبعد انتصارهم مصلحين مسالمين، و لم يؤذوا من انتصروا عليهم قط و لم يذلوهم و لم تزدد نفوسهم في غمرة النصر وفرحته من الله إلا قرباً ومن الحق إلا تمسكاً ومن الناس إلا تواضعاً وعزة وفضلاً، ألم تر إلى قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝ "(٣).

ويكفي أن نورد هنا كلمة الأحنف بن قيس بعد أن تم للمسلمين فتح خراسان، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على نبيه:

"ألا إن ملك المجوسية قد ذهب، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف

(١) النحل، آية ٩١.

(٢) التوبة، آية ٤.

(٣) النصر، آية ١-٣.

تعملون، فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم، فإني لا أخاف على هذه الأمة ألا تؤتى إلا من قبلكم".

وفي مقارنة هذه الكلمة يقول اللورد اللنبي عند انتهاء الحرب العالمية الأولى ودخول الجيش البريطاني فلسطين الإسلامية بمساعدة العرب أنفسهم، قال: الآن قد انتهت الحروب الصليبية، "فتذكروا أيها المسلمون".

أو بكلمة هتلر عندما دخلت جيوشه بولونيا منتصرة وقد وقف على أطلال مدينة وارسو قال: "وكانت هنا مدينة تسمى وارسو" يكفي هذا ليعلم الناس أن المسلمين إذا انتصروا رحموا، وإن حكموا عدلوا، وكان جهادهم في الحرب والسلم سواء كله ابتغاء مرضاة الله وفي سبيله وحده لخير الإنسانية جمعاء، ولم تغير الدنيا نفوسهم أو تذهب بهم زخارف الحياة فتصرفهم عن واجباتهم العُليا، ويوم فعلوا ذلك وغيروا ما بأنفسهم أذل الله دولتهم وأذهب ملكهم فلم يعد له اسم.

إسمع إليه يقول "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝ "[1].

هذا شأن المسلمين الصادقين والمجاهدين المخلصين.

وأختتم هذا الكتاب بما تيسر من سورة التوبة وببعض الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في الجهاد والقتال..

---

(١) الرعد، آية ١١.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ
بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟
إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ
مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ
لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم
بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا

قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَرْقُبُونَ فِي
مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
۝ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ
ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا
نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَٰتِلُوهُمْ
يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ
يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ۝﴾ (١)

صدق الله العظيم.

(١) التوبة، آية ١-١٦.

بعض الأحاديث الشريفة

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ، أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور (متفق عليه).

٢. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله تعالى: قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي، قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي، قال: الجهاد في سبيل الله (متفق عليه).

٣. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي العمل أفضل، قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله (متفق عليه).

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (متفق عليه).

٤. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أي الناس أفضل؟ قال: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، قال: ثم من؟ قال: ثم مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره (متفق عليه).

٥. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها (متفق عليه).

٦. عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رباط يوم ليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه أجرى

عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان (رواه مسلم).

٧. وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

٨. عن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

٩. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم، لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلافة سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل ثم أغزو فأُقتل ثم أغزو فأُقتل (رواه مسلم، وروى البخاري بعضه) (الكلم: الجرح).

١٠. وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى اللون لون دم والريح ريح مسك (متفق عليه).

١١. عن معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة، ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها كالزعفران وريحها كالمسك (رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث حسن).

١٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (رواه الترمذي وقال حديث حسن) (الفواق: ما بين الحلبتين).

١٣. وعنه قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد (متفق عليه) وهذا لفظ مسلم.

١٤. وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل أو الموت مظانة أو رجل في غنيمة أو شعفة من هذا الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير" (رواه مسلم).

المصـــادر والمراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير الطبري، الإمام الطبري.

٣- تفسير ابن كثير، ابن كثير.

٤- تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب.

٥- القرآن والقتال، محمود شلتوت.

٦- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني.

٧- شرح الإمام النووي، صحيح مسلم.

٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل.

٩- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ابن هشام.

١٠- جوامع السيرة ابن حزم.

١١- الأستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر.

١٢- تاريخ الطبري.

١٣- تاريخ الكامل، ابن الأثير.

١٤- فتوح البلدان، البلاذري.

١٥- مروج الذهب، المسعودي.

١٦- البداية والنهاية، ابن كثير.

١٧- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون.

١٨- المحلى، لابن حزم.

١٩- الأم للشافعي.

٢٠- عبقرية محمد، عباس محمود العقاد.

٢١- الأبطال، توماس كارليل.

٢٢- الوعد الحق، طه حسين.

٢٣- فجر الإسلام، أحمد أمين.

٢٤- سيف الله خالد بن الوليد، أبو زيد شلبي.

٢٥- تاريخ التمدن الإسلامي، جورجي زيدان.

٢٦- الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت.

٢٧- شريعة الحرب في الإسلام، محمد المعراوي.

٢٨- السلام في الإسلام، حسن البنا.

٢٩- الجهاد في الإسلام، محمد شديد.

٣٠- الجندية والسلم، أمين الخولي.

٣١- نظام السلم والحرب في الإسلام، مصطفى السباعي.

٣٢- أسس الصحة النفسية، عبد العزيز القوصي.

٣٣- الرسول القائد، محمود شيت خطاب.

٣٤- القتال في الإسلام،.محمود شيت خطاب.

٣٥- الفرقة في الحرب، كتاب عسكري.

٣٦- إدارة الحرب، كتاب عسكري.

٣٧- الدعوة إلى الله، علي بن حسن الحلبي.

٣٨- الدعوة الإسلامية، طريقة شرعية صادق أمين.

٣٩- اعلام الموقنين، ابن القيم.

٤٠- المنهج الحركي للسيرة النبوية، محمد منير القطان

٤١- رسالة ناصحة إلى العلماء والدعاة، محمد صابر أمين.

٤٢- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ربيع بن هادي.

٤٣- لماذا اعدموني، سيد قطب.

٤٤- الأستقامة، ابن تيمية.

٤٥- طريق الدعوة، مصطفى مشهور.

٤٦- الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعة، سليمان مرزوق.

٤٧- الحركات الإسلامية المعاصرة، عائض القرني.

٤٨- أضواء البيان، محمد أمين الشنقيطي.

٤٩- حلاوة الإيمان، سليم الدبلالي.

٥٠- الاربعون في الدعوة والدعاة، علي حسن السعودية.

٥١- حكم الإنتماء، بكر أبو زيد السعودية.

٥٢- القتال في الإسلام، أحمد نار السعودية.

٥٣- طبقات ابن سعد.

٥٤- فقه الدعوة إلى الله، مجموعة كتاب قطر.

٥٥- الفرق بين الفرق، البغدادي.

٥٦- مجموعة الرسائل، حسن البنا.

٥٧- مجموعة فتاوي ابن تيمية.

المراجع الأجنبية:

١- Life of Mohmmad by Sir Willim Muir.

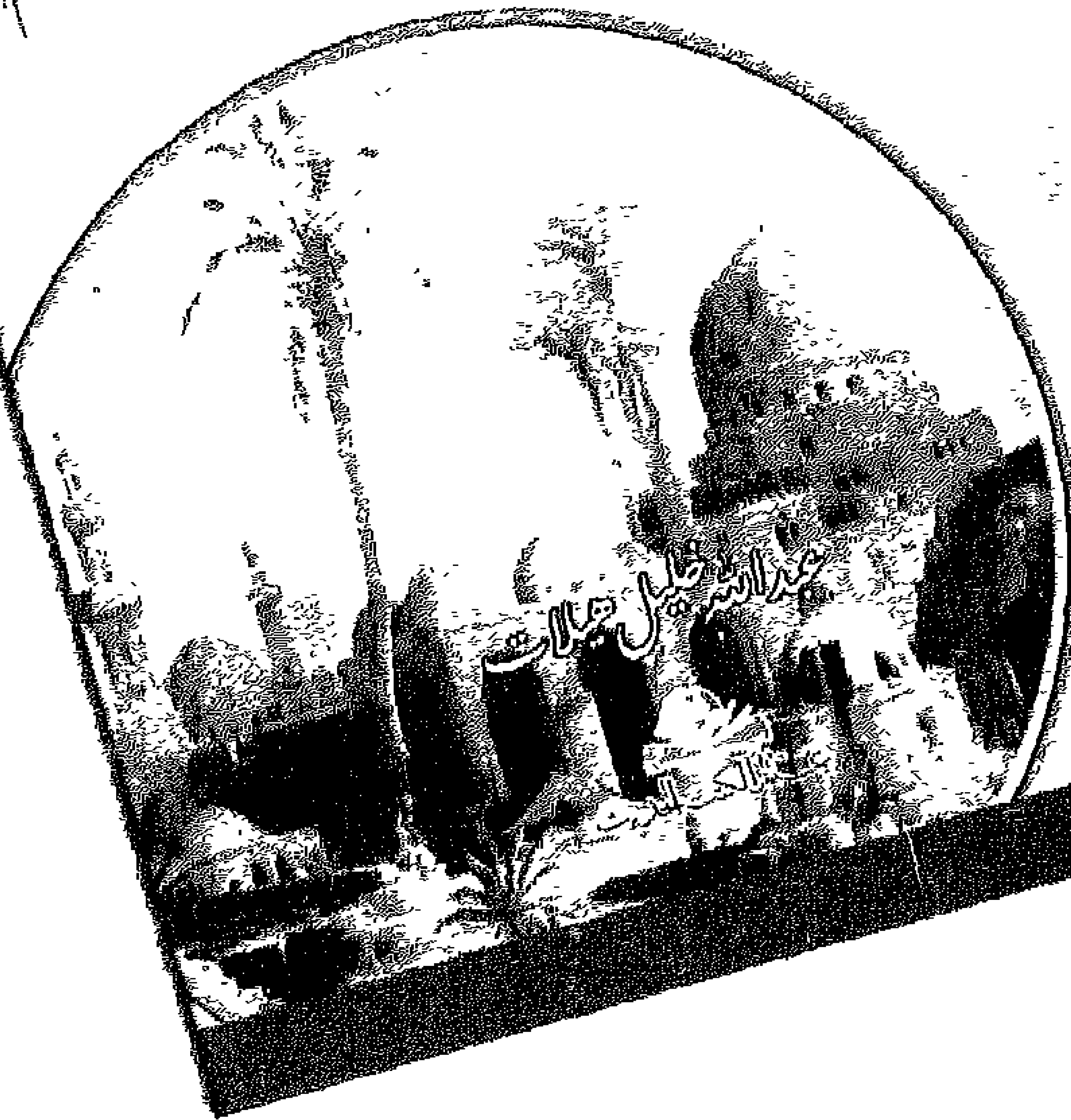
٢- The Spirit o Islam to Sayed Amir Ali.

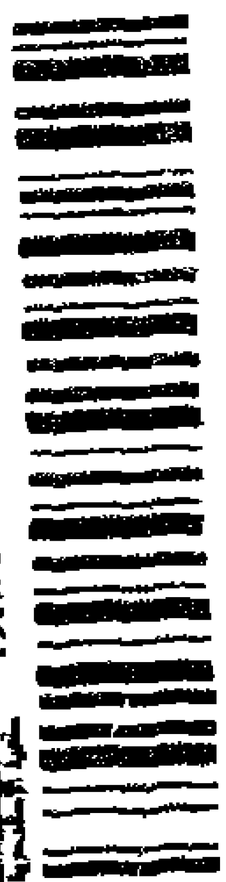
٣- Mohmmad by Margalioath.

٤- War and rlaqion by Mohmmad marmaduke Pickthall.

٥- Quran and War by mauliv sadr-ud-Din.

تم بحمد الله





عالم الكتب الحديث

عالم الكتب الحديث - جدارا للنشر والتوزيع

اربد- شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي
هاتف (٧٢٧٢٢٧٢ ٢ ٠٠٩٦٢) فاكس (٧٢٦٩٩٠٩ ٢ ٠٠٩٦٢)
صندوق البريد: (٣٤٦٩) الرمزي البريدي: (٢١١١٠)
WWW.ALMALKTOB.COM